

محور العدد

الإمام المهدى

# رسالت القلم

## إسلامية ثقافية شاملة

١٩

السنة الخامسة - العدد التاسع عشر - رجب الأصب ١٤٣٠ هـ - يونيو ٢٠٠٩ م

اقرأ بعيونك

- ♦ أمل الأحرار.. في حوار مع السيد الشاهرودي
- ♦ أنصار الحجة المنتظر
- ♦ المنتظرون لصاحب الأمر من منظور قرآني
- ♦ دعاوى البابية والنيابة الخاصة زمن الغيبة الكبرى
- ♦ نظرة في عوامل الثورتين الحسينية والمهدوية
- ♦ دروس أخلاقية من سورة الفاتحة

Resalat Alqalam

## زمنُ الجمْحِ المُرْتَقِبُ

لقد حظي أهل الإيمان برعاية ربانية فريدة تقضي بجمعهم على التقوى، مهما كان التشظي، ومهما كانت الرؤى والمواقوف، فهذه الحياة والرعاية وقد استمدت جدارتها من يوم المؤاخاة في مدينة الرسول ﷺ، وتعاليم الأئمة الأطهار علية السلام، وسيرتهم المباركة، ونور تلك الفرقة الأسر للأباب، كلها كانت الضمانة للعودة، وكانت الرهان على اللقاء، وهذا ما تذعن به حناياً أهل الإيمان من يرون وحدة أهل التقوى شاخصةً للعيان في روح الشريعة، فكان ذكرهم آناء الليل وأطراف النهار: (أين جامع الكلمة على التقوى؟).

وعلى ما تقدم فالجمع للكلمة على التقوى نوعان: جمعٌ تشريعيٌ اهجهت به نصوص الشريعة، وبالفت في حق الأخوة الإيمانية بنحوٍ منقطع النظير. وجمعٌ تكوينيٌ قائمٌ ومنظر، قائم بقيام العالم بالحجة التي لوارتفعت لساحت الأرض بأهلها، ومنظرٌ مرتقب في النظر لطاعة المهدى الغراء، فكما حدثنا التاريخ وعلى لسان الأعداء أن لأهل هذا البيت نوراً يسطع بالحقيقة بين أعينهم، وأنهم كانوا كالأنمار المنيرة إذا برزوا للنزال، وأن من رأهم عرف أنهم على الحق، وغير ذلك مما يفصح عن هذا النور المحيّر، ولهذا-وكما يقول بعضهم- فإننا لسنا بحاجة لعلامات نميز بها صاحبنا عن غيره حينما نراه، بل نفسٌ وقوفه بين أيدي الناس مستندًا إلى بيت الله جل جلاله، ونورٌ فاطمة بين عينيه يدلّك على أنه هو هو، ولسان حالك يقول: بك عرفتك، وأنت دلتني عليك. فليس لقلبٍ خالطٍ دمَهُ الإيمانُ أن يتغافل عن هذا المنتظر، فهو السراجُ المنير وتلك القلوبُ فراشاته المدققة به،

تطوف عليه وتسجّل الله، وحينها يكمل الجمّع لكلمة أهل الإيمان على التقوى. وإنما كان في أهل الضلال من يتّقن تحويل المهزائم لانتصارات، وتقديم الهروب على طبق المبادرة والسلام، فأهل الإيمان أجدر بتحويل الصعب إلى محطات تزوّدهم بالمحبة وتُفديهم بعضهم لآخر، وهم مع ذلك لا ينتظرون مثل هذه المجامع الاضطرارية والجمع الإلهي يحدو بهم للقاء تكليفاً وخلقاً، ويحوطهم بجمعية التكويني والتشريعي، فليس تكتيكاً، ولا مقايضةً، ولا مهلاً للمنة، بل سلوك راسخ رسوخ الحق وعلى امتداد الطريق، لا يتأثر بسلوك طرف من أطراف أهل الإيمان مهما شطّ أو احتلّ، ولا يلقي بالمنة في أدائه لقسسه من هذا الجمع، ولا يرجو من ذلك جزاء ولا شكوراً، كيف لا؟! وجمعه تكليف كفائي يسقط بأدائه عن نفسه أولاً، وعن الآخرين ثانياً.

وسيبيقى عود أهل الإيمان أصلبَ من أن تثال منه يد الفتنة، مهما تباعدت الرؤى، وفي اليوم الذي نتنازل فيه عن أضعف الإيمان هذا ندرك أننا لسنا على دين ذلك الإمام، فذلك الإمام إمام جمع، يجمع الكلمة على التقوى، والقلوب على المحبة والمداية، فهو المهدىُّ وهو المهادى وبظهوره تتم المداية.

رئيس التحرير

# أمل الأحرار الحجة المنتظر

في حوار مع سماحة آية الله السيد حسين الشاهرودي

حاوره: علي أحمد الكريبابادي

كـ تشرفت «رسالة القلم» بإجراء هذا الحوار حول الإمام الحجة عـ مع سماحة آية الله السيد حسين الشاهرودي عـ، وهو أحد أساتذة البحث الخارج المعروفين في الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة، وابن المرجع الكبير سماحة آية الله العظمى السيد محمود الشاهرودي تـ، ومن المعروفين بالتواضع والأريحية، فلذلك صار ملادا لطلبة العلوم الدينية. وكان الحوار معه في ليلة الجمعة حيث فرغ سماحته من إماماة المصلين في مسجد الإمام الرضا عـ بجوار مرقد الطاهرة فاطمة العصومية عـ في قم المقدسة، وكان كالتالي.

❖ سماحة السيد قبل الله أعمالكم.

□ تقبل الله منا ومنكم.. وفقكم الله...

❖ بسم الله الرحمن الرحيم، ما هو مقام الإمام المهدي عـ من بين الأنتمة والرسل عـ؟

□ أما من بين الرسل ما سوى نبينا محمد عـ بحسب الأخبار الكثيرة الواردة من طرقنا والتي نعتمد عليها، مقام الأنتمة أكبر وأفضل من الأنبياء؛ لأن الأنبياء بعد أن كانوا يتحدون يصبحون أنتمة بعد ذلك، كما جاء في قوله تعالى في حق إبراهيم عـ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ

**إِنَّمَا جَعَلْتُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**<sup>(١)</sup>، بعد الامتحان أصبح إماماً، وأما هؤلاء فهم أئمة قبل ذلك.

وأما بالنسبة للأئمة الآخرين بحسب الروايات، فإنه عليه السلام أنزل من الخمسة الطيبين أصحاب الكساء عليهم السلام وأفضل من سائر الأئمة، ولعل سبباً أفضليته على سائر الأئمة، طول مدة غيبته، وتجبر عه للغصص والمشاكل؛ فإنه أكثرهم مسؤولية من جهة طول الزمان.

❖ في الحديث: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)، ما هي المعرفة المطلوبة بالنسبة لصاحب العصر والزمان عليه السلام، وهل هناك تناقض أو تماض بين غيبته وبين معرفته؟ وما هي فائدة معرفته في غيبته؟

□ هذه ثلاثة أسئلة، بالنسبة للسؤال الأول: فإن المعرفة لها درجات، وكلما كانت أكثر كانت أحسن، لكن الرواية تذكر أن المقدار اللازم لكي يعنده عن الميetyة الجاهلية هو أن يعرفه، فالمقدار الأقل من المعرفة هو ما جاء في بعض الأخبار في تفسير ما جاء في الزيارات (عارفاً بحقه) أو (عارفاً به) قال: «أن تعرف أنه إمامٌ مفترض الطاعة»، إذا عرف أنه إمام مفترض الطاعة فهذه معرفة به، غایة الأمر المعرفة لها درجات، لكن المقدار اللازم هو هذا.

والسؤال الثاني: أصلاً، لا شك في عدم المنافاة، مثلاً نحن الآن نعرف النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه على الرغم من أنه رحل عن هذه الدنيا إلى العالم الآخر فضلاً عن غيبته، وأيضاً نحن نعرف الله تعالى وبدون معرفة الله يكون الشخص كافراً، ومع ذلك نقول: الله لا يرى، وهو غائب عن الأعين، ولئن كان الإمام الحجة عليه السلام أحياناً يرى، أو أنه يرى من غير أن نعرفه كما جاء في الأخبار أنه: (كل سنة يحضر الموسم وترونه ولا

تعرفونه، ويراكم ويعرفكم)<sup>(٢)</sup> فهذا بطريق أولى، وهذا مجرد كون الشخص غائبا لا يؤثر في معرفته، وكذلك العكس، فأحيانا يكون الشخص أمامك جالسا وليس بغائب، وتراه بأم عينيك ومع ذلك لا تعرفه، فالمعرفة والغيبة ليس بينهما تناف، المهم أن تعرف أنَّ هذا الإمام هو ابن الحسن العسكري عليه السلام؛ يعني من أولاد النبي الأعظم عليه السلام، وأنه مفترض الطاعة، هذا كاف في معرفته. وأما قول بعضهم أنَّ إمام الزمان المراد منه هو القرآن أشتباه، لأنَّه يقول: (إمام زمانه)، والقرآن إذا كان إماما وقدوة فهو قدوة في جميع الأزمنة، لا أنه إمام زمان شخص دون شخص، الحال أن الرواية تقول: (من مات ولم يعرف إمام زمانه) فمعناها أن لكل زمان إمام وكل شخص لابد أنَّ يعرف ذلك الإمام الذي في ذلك الزمان.

**وأما الجواب عن السؤال الثالث:** ففائدة معرفة الإمام، تخلصُ الإنسان من الميّة الجاهلية، لأنَّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميّة جاهلية، فكما أنَّ معرفة النبي عليه السلام تكون سببا للإسلام، ومن لا يعرفه يكون غير مسلم، ومن لا يعرف الله لا يكون موحدا، والحال أنها غائبة عن الأنطـار، ومع ذلك ففائدة معرفته أنه يخرجنا -معرفة النبي- من غير الإسلام إلى الإسلام ، فالفوائد كثيرة وأحدها التخلص من الميّة الجاهلية، كحال معرفة النبي ومعرفة الله. أما كونه غائبا أو حاضرا فلا يؤثر في فائدة معرفته، وإلا لقلنا أنه لا فائدة في معرفة النبي عليه السلام، والحال أن غيبة النبي عليه السلام أكثر من غيبة الإمام الحجة عليه السلام كما قلنا، فهو عليه السلام رحل من هذه الدنيا، ولكنَّ الإمام الحجة عليه السلام موجود، الإمام الحجة عليه السلام يُرى بدون أن يعرف، والنبي عليه السلام لا يُرى.

## ❖ سيدنا ما هو الهدف من الغيبة؟

□ في الروايات ورد أنَّ الهدفَ الأصلِيَّ يَتَضَعُّ بَعْدَ أَنْ يَظْهُرَ وَيَحْضُرُ، يَتَبَيَّنُ الْهَدْفُ الْكَاملُ، وَبِنَحْوِ كَامِلٍ حِينَهَا يَعْرُفُ، لَكِنَّ الْأَسْبَابَ وَالْأَهْدَافَ الْمُذَكُورَةَ فِي الْأَخْبَارِ مُتَعَدِّدةٌ، مِنْهَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَاضِرًا لِكَانَ يَبْتَلِي بِبَيْعَةِ الْفَسَاقِ، مُثْلِ ابْتِلَاءِ اتْنَا بِإِقَامَةِ الْعَلَاقَاتِ مَعَ الدُّولِ الْكَافِرَةِ عَبْرِ تِبَادُلِ السَّفَارَاتِ وَمَا مَاثِلُ ذَلِكَ، بِخَلَافِ مَا لَوْ كَانَ غَائِبًا، الرَّوَايَاتُ تَعْبُرُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي عَنْقِهِ بَيْعَةً لِأَحَدٍ، فَلَوْ ظَهَرَ وَأَرَادَ حَارِبَةً دُوَلَةً كَافِرَةً لَا تُسْتَطِعُ الْاحْتِجَاجُ عَلَيْهِ بِالْأَمْانِ الْمُأْخُوذِ مِنَ الْحُكُومَةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَبْرِ تِبَادُلِ السَّفَارَاتِ، الْإِمَامُ لَا يَحْتَجُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسُ فِي عَنْقِهِ بَيْعَةً لِأَحَدٍ، وَأَيْضًا مِنْ فَوَائِدِ الْغَيْبَةِ أَنَّهُ فِي الْبِداِيَّةِ وَكَمَا وَرَدَ فِي الرَّوَايَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ كَانَ يَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ الْأَعْدَاءِ، فَكَمَا قُتِلَ آباؤُهُ الطَّاهِرُونَ كَانَ سَيُقْتَلُ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ اسْتِشَاهَادَ آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ عَلَيْهِمُ الْبَرَّ لَيْسَ بِمُخْطُورَةٍ اسْتِشَاهَادَهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ إِمَامٍ يَأْتِي إِمَامٌ مَكَانَهُ لِيَقُولَّ مَكَانَهُ بِدُورِهِ، بِخَلَافِ الْإِمَامِ الْأَخِيرِ فَحِينَما يُقْتَلُ وَيُسْتَشَهِدُ لَا يُوجَدُ مَنْ يَقُولُ مَكَانَهُ، وَلَذِلِكَ يُشَيرُ إِلَيْهِ الْإِمَامُ عَلَيْهِ لَبْطَنَهُ أَيُّ أَنَّهُ يُقْتَلُ، فَعِيبَتِهِ لَكِي لَا يُقْتَلُ، وَهَذَا كَانَ يَنْعِنْ حَتَّى مِنْ اسْمِهِ الشَّرِيفِ، فَلِمَذَا يَنْعِنُ الْاسْمَ؟ يَجِيبُ إِلَيْهِ الْإِمَامُ عَلَيْهِ: (لِأَنَّهُ إِذَا عَرَفَ الْاسْمَ وَقَعَ الْطَلبُ)، وَهَذِهِ أَصْحَاحُ الرَّوَايَاتِ لِأَنَّ كُلَّ سَلْسِلَتِهَا ذَهَبِيَّةٌ، فَالرَّوَايَاتُ الْمُعْتَبَرَةُ الْأُخْرَى بَعْضُهُمْ قَدْ يَتَوَقَّفُ فِيهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَشَكَّلُ بِإِشْكَالٍ وَلَا يَقُولُونَ بِمُجَحِّيَّةِ الْخَبْرِ الْوَاحِدِ بِسَبَبِ الرَّوَايَاتِ، وَلَكِنَّ خَصُوصَهُ هَذِهِ الرَّوَايَةُ غَالِبًا يَقْبِلُهُمْ، السَّيِّدُ الْحَمِيمِيُّ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ السَّيِّدُ الشَّهِيدُ الصَّدِرُ يَلْتَزِمُ بِأَنَّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ جِيدَةٌ جَدًا، الرَّوَايَةُ الَّتِي فِي آخِرِهَا يَقُولُ إِلَيْهِ الْإِمَامُ عَلَيْهِ: (إِذَا وَقَعَ الْاسْمُ وَقَعَ الْطَلبُ، وَإِذَا وَقَعَ الْطَلبُ - أَشَارَ إِلَى بَطْنِهِ - أَيُّ يُقْتَلُ إِلَيْهِ الْمَحْجَةُ؛ أَيُّ أَنَّ الْاسْمَ أَيْضًا كَانَ مَمْنُوعًا، فَيَبْدُو أَنَّ

أصل المسألة للحفظ على روحه عَلَيْهِ الْكَلَمُ، فكان في ذلك الزمان حتى معرفة الاسم يؤدي إلى الطلب، لذلك في ذلك الوقت كان ذكر الاسم حراما، ولكن بعد ذلك انتفى ذلك الأمر، فحتى لو عرف الاسم ما كانوا يستطيعون طلبه. فلذلك نقول: أحد أسباب الغيبة هو الخوف عليه. وورد في الأخبار بعض الأمور الأخرى مثل أن الله عَزَّزَ ملائكته ليس ببخل، وكذلك هو عَلَيْهِ الْكَلَمُ ليس ببخل، فلو كنتم أنتم تتقبلون وجوده لما كان يبخيل، لكن بما أنكم لا تتقبلون وجوده، فإما أن تقتلوه، وإما أن تشردوه، فلذلك غاب، من هذه الجهة، وإلا إذا فرض أنَّ الناس يصيرون جيدين كما جاء في بعض الأخبار، يسأل الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ: متى يظهر الإمام الحجة عَلَيْهِ الْكَلَمُ الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ يجيئه بأنك تعرف الجواب من خلال أحوال أصحابك وأقربائك وجيرانك، فمتى ما صاروا متدينين بالمعنى الواقعي فالإمام الحجة ليس ببخل، إذن فأصل الغيبة ليس من قِبَلِه، بل من باب أنه لا يكون له مورد، ككل شخص يريد أن يقيم حكومة إسلامية يرى الوضع غير مهيأ.. يعني الغيبة حالة ضرورية، كما نقول أنه لا يريد الغيبة، الناس صاروا سبباً للغيبة، وكما قال ذلك العالم: (وجوده لطف، وتصرفه لطف آخر، وغيته منا) يعني الغيبة ليس فيها فائدة لنا بل فيها ضرر علينا، لكن لماذا وقعنا في هذا الضرر؟ لأجل تصرفاتنا، يعني نوعاً ما الغيبة فيها ضرر، فيها خسارة لوجود الإمام الحجة عَلَيْهِ الْكَلَمُ، فلا نستطيع أن نقول: ما هي فائدة الغيبة، بل فيها خسارة، لكن لماذا وقعنا في هذه الخسارة؟ نقول: ككل خسارة في الدنيا، لماذا يقع الإنسان فيها؟ لأنَّه لا يختار الطريق الصحيح فحينها يقع فيها.

❖ ذلك يعني أن السبب راجع إلى الناس؟

□ نعم، في الرواية أن سببه هذا، لا لأنَّه على الرغم من تهيئة الناس لإقامة

الحكومة العالمية الإسلامية ومع ذلك يغيب، لو كان كذلك لكان بخلا، والبخل لا يكون بالنسبة إليه عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلى أن يتهدأ الصعيد لإقامة الحكومة حينها يظهر عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### ❖ هل يظهر الإمام الحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ هادياً أم منتقماً؟

□ بحسب الأخبار الاثنان، أصل نصب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هداية الأمة، غاية الأمر، بما أن الإمام أو أي شخص يكون له القوة والقدرة، لابد في ضمن الهدایة أن يأخذ بحق المظلوم، لأنَّ القرآن يؤكِّد أنَّ الظالم ملعون، فلا بد أن يكون ضد الظالم ومع المظلوم، والأمير كذلك في نهج البلاغة يقول: (كونوا للظالم خصما وللمظلوم عونا)، فهذا أحد أعماله من باب أن وظيفته أن يكون للمظلوم عونا، فالمظلوم من أهل البيت، وأمه الزهراء فهو ينتقم لهم بحسب الآية القرآنية: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾<sup>(٣)</sup> بما أن الله جعله ولية لدم الزهراء ودم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيرهم، فالقرآن يقول: ﴿جَعَلَنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾، الله أعطاه هذا السلطان، فقط يقول القرآن: ﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾، يعني فقط بقدر الحق الشرعي يأخذ، لا يأخذ أكثر من ذلك، مثلا لأجل حمزة قال النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه يقتل سبعين شخصا في مقابلة، جاء الوحي ينهى عن ذلك ويقول له بأن يجعل نفسها بنفسه، وكذلك لو كان هناك أشخاص يرضون بقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ففي بعض الروايات أنه يقتل الراضين بقتل الحسين، كيف؟ لأنَّ القرآن يجعل الراضي بقتل أحد قاتلا، فقد جاء في القرآن خطابا لليهود المعاصرین للنبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>؛ يعني أيها اليهود لماذا قاتلتم الأنبياء السابقين، فلهذا أحدهم يسأل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: كيف يقول القرآن ذلك وهؤلاء لم يعاصروا أي نبي، هم لم يقتلوا الأنبياء السابقين، والنبي موجود بعد لم يقتلوه، فكيف يقول القرآن أنهم قتلوا هم -

بصيغة الماضي -؟ حينها يجبيه الإمام عَلَيْهِ الْكَفَافُ أن القرآن هكذا يحكم، أن من رضي بعمل قوم فهو منهم، فلهذا إذا كان هناك من يرضي بقتل الحسين عَلَيْهِ الْكَفَافُ فهو من قتله، وكذلك من يرضى بظلم الزهراء فهو ظالم لها، كما قال ذلك الشاعر:

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أعظم يلقىها  
حرقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تباعي وبنت المصطفى فيها

فالقرآن ينسب القتل حتى إلى الراضي، ثم يقول: ﴿جَعَلْنَا لِوَكِيْمِ سُلْطَانًا فَلَا  
يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾<sup>(٥)</sup>.

#### ❖ ما هو تصوركم بالنسبة لعلامات الظهور وحتميتها؟

□ علامات الظهور نقطع بأنّها متحققة، إلا أنّ المشكّلَ أنَّ في الأخبار تقسيماً للعلامات إلى أقسام ثلاثة؛ البعيدة والمتوسطة والقريبة، وورد في الروايات أنَّه قد تكون عالمة موجودة ولكن الفاصلة بين هذه العالمة وبين ظهوره مدة طويلة جداً، فلذلك لا يمكن الاعتماد على مثل هذه العلامات ما دامت مواجهة بهذه المشكلة، إلا على القسم الأخير من العلامات، وهي المتصلة بالظهور، لا أنّها منفصلة عن الظهور ولو بسنين كثيرة، وتلك العلامات المتصلة لآن لم تتحقق، وهي مثل طلوع الشمس من مغربها، والصوت من السماء، والكف في السماء، وهكذا السفياني بالشكل الذي يأوي في الصحراء وتحسُّف به الأرض، هذه الأمور لم تحصل حتى الآن، لكنْ إذا تحققت تكون متصلة بظهور الحجة، فما حدث ليس متصلة بظهور الحجة، والتصل بظهوره عَلَيْهِ الْكَفَافُ لم يحدث، لكن مع ذلك نحن نتفاءل بالخير، لأنَّه: (تألوا بالخير تجدوه)، وكل جمعة -كما عليه الأخبار- ننتظر ونترقب ظهوره عَلَيْهِ الْكَفَافُ؛ يعني الأمل والرجاء لا

منافاة فيه مع عدم اطمئناننا بقرب ظهوره، لكن باب الاحتمال والرجاء موجود، بل إذا نیأس فذلك ذنب كبير، لأنّه ورد في الروايات أنَّ الیأسَ من رحمة الله ذنبٌ كبير، فمن يیأس من ظهوره هو آیس من رحمة الله وأنَّ الله قد أراد إظهاره عَلَيْهِ الظَّلَامُ وَالسَّلَامُ، إذا قلت: لا لن يأني الآن فهو بنفسه ذنب كبير.

❖ بعضهم يحاول تطبيق هذه العلامات على بعض الحوادث التي حدثت،  
فيعتبر مثلاً قيام الجمهورية الإسلامية في إيران بداية الظهور؟

□ نحن نوافق ذلك، ولكن بالقيد الذي جاء في الروايات، أنه قد تكون الفاصلة بين العلامة وبين ظهور الإمام عَلَيْهِ الظَّلَامُ مثلًا خمسة سنّة، فإذا كانت الفاصلة بيني وبينه خمسة سنّة، فكما يقول الشاعر: إذا مت عطشانا فلا نزل قطر. بحسب كلام ذلك الشخص وأنا لا أقبل هذه المقوله، بل إذا مت فلينزل قطر للآخرين، فلهذا إذا كانت خمسة سنّة فهذه كأنّها ليست بعلامة، ما دام لا يوجد ضمانة أنه بعد العلامة بيومين أو خمسة عشر يوماً كما في بعض الأخبار، أو في نفس اليوم يأني الإمام الحجة عَلَيْهِ الظَّلَامُ فوجود هذه العلامات مبتلاة بما في هذه الرواية كانْ تكون الفاصلة كبيرة جداً.

❖ وقد يحصل بدأء في علامات الظهور؟

□ ذاك إضافة على هذا، يزيد على الطين بلة، لكن إذا فرض أنه حتى بدون البداء، الرواية تقول أن العلامة الآن، معناها أن الإمام يظهر لكن متى يظهر؟! أي مقدار بقي؟ بالنسبة إلى الله هو حتى بالنسبة لليوم القيمة يقول: ﴿يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾<sup>(٦)</sup>، في يوم القيمة إذا كان قريبا فالحجۃ كذلك ظهوره يكون قريبا بسبب هذه العلامات، فإذا جعله قريبا، فالقريب بأي معنى؟ بالمعنى المتضمن مثل هذا المقدار من

الفاصلة، فلذلك نحن لا نعتمد على هذه العلامات إلا على العلامات التي ذكرت الروايات أنها متصلة بالظهور، العلامات الحتمية، والعلامات المتصلة، والاحتمالية بمعنى أنه لا بدء فيها، المهم الاتصال، متصلة يعني في حدود خمسة عشر يوماً يأتي، فلهذا أنا أوفق على كون هذه علامات، لكن ما فائدة هذه العلامة بالنسبة لي؟ التي تقول بأنَّ الإمام الحجة عليه السلام يظهر بعد خمسين سنة، فما الفرق بين كونها بعد خمسين سنة أو خمسة آلاف سنة؟ أنا لن أدركه حينما أموت بعد مائة سنة.

❖ ما رأيكم فيما يتناقل عن بعض العلماء بين الفينة والأخرى أن شيوخ هذا الزمان سوف يدركون الإمام، لا فقط خصوص الشباب؟

□ على حد الاحتمال والرجاء أنا أوفق ذلك، لكن إذا وصل إلى حد التوقيت فالروايات تقول: كذب الواقتون، وحتى لو اتفق أن اتصل شخص بالواقع فعلم أنَّ الإمام الحجة عليه السلام يظهر بعد سنة، هذا المطلب إذا أسرَّه لا يضر، لكنْ إذا أظهره وأشاعه فإنَّ الله تعالى يعذبه لأجل أن يكذبه يؤخره، كما ورد في بعض كلمات الصالحين السابقين، ذكروا لي بأنَّ الإمام الحجة قال: أني أردت أن أظهر ولكن بسبب ذياعكم تأخر الظهور، وفي الروايات أيضاً ورد أنَّ الإمام الصادق عليه السلام كان مقدراً أن يكون هو الإمام المهدي عليه السلام، وبشر أصحابه بأنه سوف يأخذ الحكومة العالمية الإسلامية، ويكون هو المهدي لكنَّ الشيعة أذاعوه، وبسبب إذاعة الشيعة لذلك الإمام الصادق عليه السلام يقول أن هذا كان سراً من أسرار آل محمد عليهما السلام، وأنتم أذعتموه، فنتيجته أنه تأخر، ولكن إلى متى؟ قال أن هذا المقدار لم يحدد بالسنين، التأخر السابق من زمان أمير المؤمنين عليه السلام إلى زمان الإمام الحسين عليهما السلام كان مقدراً، أنه يكون بعدكم سنة، فالرواية تقول أنهم قتلوا الحسين عليه السلام -صلى الله عليك يا أبا

عبد الله، صلى الله عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك يا أبا عبد الله- فتأخر إلى زمن الإمام الصادق عليه السلام في بين الوقت أيضاً، ولكن هذا الوقت الثاني حينما أفسسي وشاع صار تأخير، ولذلك أنا أنسح كل من يعرف واقعاً -بأي سبب من الأسباب- أن الإمام الحجة عليه السلام بعد سنة -مثلاً- يظهر، أنه لا يُظهر ذلك، لماذا لا يُظهر؟ لأنَّه إذا أظهره فإنَّ الله سبحانه وتعالى يؤخره، وأما إذا تسألون: لماذا هذا؟ وما هو ملاكه وحكمته؟ لماذا يؤخره الله؟ لأنَّه ورد في الأخبار أنَّ ظهوره فجأة، ونكتة أنه فجأة، لأنَّه إذا كان مع الإعلان فلا يستطيع أن يغلب الكفار والمرتدين إلا بالمعجزة، والله سبحانه لا يريد إظهاره بالإعجاز، وإلا لو كان يريد ذلك بالإعجاز، لجعل الله سبحانه أمير المؤمنين عليه السلام هو الحجة وجعله يقيم الحكومة الإسلامية، الله ليس بيخيل، لماذا آخرَ إلى أكثر من ألف سنة؟ إذا كان بالإعجاز والإجبار، فأمير المؤمنين يكون بالإعجاز وبالقوة والقهر والغيبة يكون حاكماً على كل العالم. فمن هنا نعرف أنَّ الله سبحانه لا يريد أن تصير الحكومة الإسلامية العالمية للإمام المهدي كلها بالإعجاز، نعم الإعجاز أمر جنبي موجود في البين، من نصرة الملائكة.. ولكن هناك شيء غير إعجازي، وهو المنصور بالرعب، وأنا لمست مثل هذا الأمر في الجبهة، فكان المقاتل العراقي يتلك الأسلحة المتطرفة جداً، ولم يكن لدينا نحن مثل ما لديهم، ولكن بما أنَّا نهجِم عليهم فجأةً، كانوا يردون أيديهم وينادون: الأمان!! ولكن إذا كان هناك جاسوس في البين يخبر العراقيين أنَّ في هذه الليلة يكون هجوم فجائي، ب مجرد أن يعرف الرئيس بوصول الخبر للخصم فإنه يلغى هذه الحملة والهجوم، لماذا؟ لأنَّ الهجوم إنما يؤثر ويكون مفيداً، إذا كان مع الإخفاء وكان فجأةً، فالروايات أيضاً تشير إلى هذا المعنى، لذلك لو فرض أنَّا نحن المؤمنون نعرف أنَّ الإمام الحجة يظهر بعد يومين، فلا بد علينا أن نخفي ذلك. فقط نهيء أنفسنا، منتظرين للظهور، كما هو معنى الانتظار

وهو أفضل الأعمال، أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، يعني أن أكون متهيئاً ولكن لا أعلن. أحدهم كان يقول: لنفس انتظار الفرج... أنا قلت له أنت إنسان عربي وتعرف اللغة، وأنَّ العرف ماذا يفهم من هذه الرواية، أنت أسلَّمْتَ أمك العجوزة في البيت، أسلَّمْتَ إِذَا جاءَكَ ضيفٌ ماذا تصنعين؟ ستنقول: أنا أعمل عاملين، سلباً وإيجاباً، سلباً: أكنس البيت، وأزيل كل الأوساخ والأمور المنفرة للضيف، وأخرجها من داري. وأما الإيجاب: فأنـا أـسـأـلـ الضـيـفـ عنـ كـلـ ماـ يـحـبـهـ، عنـ طـعـامـهـ، هـلـ يـأـكـلـ خـبـزـ؟ـ أـرـزـ؟ـ وـأـهـيـءـ لـهـ كـلـ مـاـ يـرـيدـ، أـمـاـ إـذـاـ كـانـتـ هـيـ مـنـتـظـرـةـ؟ـ بـلـ تـضـحـكـونـ نـائـمـةـ، وـلـمـ تـقـمـ بـتـهـيـئـةـ الـطـعـامـ وـلـاـ كـنـسـ الـبـيـتـ، تـقـولـ أـمـهـاـ مـنـتـظـرـةـ؟ـ بـلـ تـضـحـكـونـ عـلـيـهـاـ، قـالـ:ـ لـاـ، قـلـتـ:ـ إـذـنـ فـالـانتـظـارـ أـمـرـ عـرـفـ يـجـمـعـ بـيـنـ هـذـيـنـ الـعـمـلـيـنـ السـلـبـيـ وـالـإـيجـابـيـ، نـفـسـ ذـلـكـ اـنـتـظـارـ الـإـمـامـ الـمـهـدـيـ عـلـيـهـ الـعـلـيـاءـ، انـظـرـ هـوـ مـاـ يـبـغـضـ وـمـاـ يـحـبـ؟ـ فـأـخـرـجـ مـنـ قـلـبـكـ الرـذـائـلـ وـأـدـخـلـ فـيـ قـلـبـكـ فـضـائلـ الـأـخـلـاقـ، وـكـذـلـكـ فـيـ الـعـمـلـ، حـتـىـ تـتـهـيـأـ، حـيـنـاـ يـأـتـيـ يـرـيدـ أـنـاسـاـ مـخـلـصـيـنـ وـعـالـمـيـنـ، أـنـتـ أـيـضـاـ اـجـعـلـ نـفـسـكـ ذـلـكـ حـتـىـ إـذـ جـاءـ يـقـولـ:ـ أـنـتـ مـعـيـ، كـكـلـ شـخـصـ تـنـتـظـرـهـ فـأـنـتـ لـاـ تـنـامـ عـنـهـ فـيـ الدـارـ، فـلـذـلـكـ لـاـ نـخـتـاجـ لـتـفـسـيرـ الـانتـظـارـ كـمـاـ يـحـاـوـلـ الـبـعـضـ أـنـ يـفـسـرـهـ، بـلـ نـقـولـ:ـ ضـعـهـ عـلـىـ ظـاهـرـ الـعـرـبـيـ كـمـاـ تـفـهـمـهـ الـعـجـائـزـ.

❖ ما معنى كون المهدى علیه السلام وجه الله في دعاء الندبة: (أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء)؟

□ معنى وجه الله أنه إذا أراد الإنسان أن يتوجه إلى الله فلا بد أن تكون هناك وسيلة، إذا أنت توجهت إلى الإمام المهدى علیه السلام وبما أنه مندك في الله سبحانه، فتوجهك إليه توجه إلى الله تعالى، كما هو حال المدن والبلدان إذا سافر الرئيس

وجعل نائبا له، فنائب رئيس الجمهورية يقوم مقامه، لأنّه ليس موجوداً، فأنت إذا أردت أن تتوجه إلى رئيس الجمهورية أو الملك فأنت تتوجه إلى هذا الباب. فيعبر عن الإمام عليه السلام بأنه باب الله، ووجه الله يعني أنّه الطريق إلى الله. فقط يأتي هذا السؤال: الله ليس كملك، الملك ليس حاضرا في بلدك فأنت تتسلل بهذه الواسطة عند الملك الغائب، ولكن الله ليس كذلك بل هو حاضر موجود في كل مكان ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾<sup>(٨)</sup>، فإذا كان الله موجودا دائما، الملك إذا كان عندك، فهل تتركه وتتوجه للوزير؟ هذا سؤال قد يعرض، الجواب: نعم الله موجود، لكن إذا كان هو يجب هذا، يجب أن نتوسل بالأئمة إليه فماذا تقول؟ تقول: بأي دليل؟ نقول: القرآن يقول في أبناء يعقوب: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا حَاطِئِينَ﴾<sup>(٩)</sup>، فالنبي يعقوب عليه السلام لم يقل لهم: يا أبناء أي أنتم مشتبهون، والله ليس كملك بعيد، بل هو قريب أقرب إليكم من حبل الوريد، يسمع السر وأخفي، فأنتم رأسا استغفروا الله، لماذا تقولون لي وتجعلوني واسطة للاستغفار؟ هو لم يقل لهم هكذا، والنبي إذا رأى مشكلة ومخالفة لابد أن لا يسكت، والقانون يقول: الساكت عن الحق شيطان أخرس، فلا يصح من النبي أن يسكت عن المخالفات، وهو مع ذلك قبل منهم، قال لهم: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ فمعنى أنه صحة عملهم، وكذلك الآية التي نقرأها في زيارة النبي عليه السلام: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾<sup>(١٠)</sup>، هذا قد يقال إذا ضمننا إليه طلبهم من النبي الاستغفار، وإلا اكتفينا بالآية السابقة، أو أنّ الحواريين يقولون ليعيسى عليه السلام: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾<sup>(١١)</sup> لكن عيسى عليه السلام يقول لهم: أنتم أسألكم الله، لماذا تسألوني أنا؟ فهذا دليل على أن الله جعل طريقا، كما أنه يجب أن ندعوه الله في بعض الأماكنة ﴿فِي

**بِيُوتِ أَذْنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** <sup>(١٢)</sup>، والحال أنَّ الله في كل الأمكنة موجود، ولكنَّه يحبُّ أنْ يذكرَ في بعض الأمكنة أكثر. هنا الله أيضًا يحبُّ هذا، لأنَّه من طريق وجه الله وهو الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فتتوجهُ إلى الله بهم على الطريقة القرآنية التي يدعونا الله إليها.

❖ ما رأيكم في تطبيق الروايات (القائلة بأنَّ كل راية قبل راية المهدى فهي راية ضلال) على بعض الفئات المؤمنة التي تسعى للإصلاح في الأرض؟

◻ ورد في روایات متعددة، منها في بداية الصحيفة السجادية للإمام السجاد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، حيث كان للشهيد الصدر مقدمة عليها يبدو أنها وردت في مقام التحذير عن الادعاء، أَنَّه لا يأتي كل شخص ويدعي الحق، فهذا تحذير كما تحذر ولدك حينما يخرج من الدار، فأنت إذا لم تحذره يستسلم لك من يراه، فبيعة البيت بيعة صدقة وصدق وصفاء، وليس فيها كذب، فهذا متعدد على هذه الحالة، لكن إذا خرج من البيت يعتمد على كل أحد، فأنت لكي تقنعه من هذه الحالة تقول له: لا تتبع كل أحد. هذا في نظري لأجل الحذر، أن لا يكون المعيار عندنا في كل راية تقوم هو ادعاء أصحابها في إرادة إقامة الحق وإقامة الحدود، لا ننظر إلى ما يدعيه من ادعاءات، بل ننظر إلى عمله الخارجي، كما قال الإمام الصادق عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: (كونوا دعوة لنا بغير أسلوبكم) أي بأعمالكم، ففرض الرواية، أنه لا تنظروا إلى ادعاءاتهم وراياتهم، فقط انظروا إلى عملهم.

❖ روایات بمعنى أنَّ كل راية تخرج بالسيف..

◻ هناك روایات كثيرة في هذا الصدد، لا فقط في مقدمة الصحيفة السجادية، في الوسائل روایات كثيرة، هذه موجودة..

❖ فهل يُصرَّف في دلالة الروايات من باب أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يتوقف على إعمال القوة.

□ يعني سبب التصرف أنه إذا رأى الإنسان منافاة يفعل ذلك، وأما إذا لم ير منافاة بين إقامة الحدود وبين ذاك، من باب أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالحج، فسبب وجوب الحج الاستطاعة، ولكن هل يجب على الإنسان أن يحصل الاستطاعة؟! لا.

❖ لو بُسطت يد الفقيه؟

□ نعم لو بسطت يجب، لكن لا يجب عليه البسط، إيجاد القدرة ليس واجبا، فإذا كان قادرا وليس فيه ضرر يعمل، كما في المستطاع **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾**<sup>(١٣)</sup>، هنا أيضا توجد شروط، فإذا كان هناك ضرر فالنهي عن المنكر لا يجب، إقامة الحدود متى ما صار الإنسان مبسوط اليد يقيم، ولكن إذا كان شرط إقامة الحدود غير موجود، فعندنا قانون في الأصول وهو أن شرط الوجوب لا يجب تحصيله، ولذلك لا يجب تحصيل الاستطاعة، والذي يجب تحصيله هو شرط الواجب، فإذا كان الواجب فعلياً يجب تحصيل شرطه، لكن إذا كان الواجب مشروطاً بشرط ما فإن تحصيل ذلك الشرط ليس بواجب. ولكن إذا رأى شخص ملزمة، فالنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف يستلزم هذا الأمر، فعند ذلك لابد من حمل هذه الروايات على ما قلته من التحذير لكثرة الدجالين، فالصالحون قليلون، والدجالون كثيرون، فهذه للتحذير بأن لا تنتظروا إلى ادعائهم بل انظروا إلى عملهم.

وهذا يحتاج إلى تأمل، لأن هذا المطلب فيه نواح متعددة، من ناحية إقامة

الحدود، ومن ناحية كثرة الروايات، ومن ناحية بيان العلة كالتعبير بأنه (اصطلمته البالية، فكان ذلك زيادة في مكروهنا)<sup>(١٤)</sup>، وبعض الأخبار تقول أنك إذا عطلت عشرة حدود، أفضل من أن تقيم حدا واحدا على خلاف الحق، يعني أنك لا تجلد عشرة أشخاص زناة أو سرّاق، لا تجلدتهم ولا تقطع أيديهم، هذا أقل ضررا من أن تجلد شخصا واحدا وهو غير زان اشتباها، فلذلك فهذه المشكلة موجودة في الحدود، أحيانا إذا حصلت التباسات فنفس ضرر ذلك المورد القليل أكثر من الترك الكثير، عشرة هناك، وهنا واحد، هذا الواحد أكثر ضررا من تلك العشرة، على الرغم من أن الحد الواحد أفضل من مطر السماء أربعين يوما كما عبر في الرواية، فمطر السماء أربعين يوما كم هي فائدته؟! إقامة حد واحد أفضل منه، ومع ذلك في روايات أخرى تقول أنه إذا وقع حد اشتباها وخطأ لا سمح الله، فضرره وملكه وفاته للمصلحة أكثر مما إذا ترك الحد لعشرة أشخاص، وهذا فهذا يحتاج إلى تأمل كثير في الجوانب المختلفة، وهذا سؤال جاءني ابتداءً ولم أتأمل فيه من قبل، فهذا المقدار الذي جاء في نظري، وأنه ما من عام إلا وقد خص، يعني العام يقول: (كل رأيه) كما تقول: (كل عالم يجب إكرامه)، لكن يأتي مخصص، تقول: (أما زيدا فلا تكرمه)، فإذا ما أن يكون تخصيصا، وإما أن يكون ذلك الجواب الأول، وإنما أن يكون إخبارا عن أمر واقعي، يعني أنه يصير سببا، لا يقول أن وظيفتك ليست هذه، بل هي وظيفتك، لكنه خبر وتنبؤ بأنه على الرغم من عملك بوظيفتك إلا أنه تصطلمك البالية، مثل قولنا في زيد أن قيامه كان واجبا -على فرض قولنا بأن قيامه واجب- لكن مع ذلك اصطلمته البالية فتأذى الإمام، فمن الناحية الشرعية يقول: إنك يجوز لك أن تخرج أو يجب عليك، لكن من ناحية التكوين والإخبار الخارجي، نقول: في نفس الوقت الذي كان هذا واجبا عليك، إلا أنه في نفس الوقت يكون موجبا للأذى

عليك، وتصطلكم البلاية ويكون زيادة في مكرورها، فالاحتمالات موجودة، تحتاج للتأمل لنرى هل يوجد احتمالات أخرى، أو أي هذه الاحتمالات أحسن، هذا يحتاج إلى تأمل.

#### ❖ الإنسان المؤمن كيف يتعرف على كونه أهلاً لنصرة الإمام

المهدي عليه السلام؟ يكون مرضياً عند الإمام المهدي عليه السلام وممهداً لظهوره؟

□ بحسب الأخبار لا بد أن يسعى الإنسان لتطبيق تعاليم أجداده الطاهرين عليهم السلام على نفسه، ولكن في نفس الوقت بعض الروايات تقول أنك قد تكون مؤهلاً وتكون قد وصلت لتلك الدرجة المهمة لنصرة الإمام، ومع ذلك الله يجعلك لا تعرف بذلك؛ لأنك إذا عرفت بذلك وأنك من الأنصار قد يعرض عليك العجب، وإذا عرض عليك العجب كل ذلك يزول، بل في بعض الأخبار (الولا أن المؤمن يعرض عليه العجب لما كان الله يمنعه من صلاة الليل ولا ليلة واحدة)، لكنَّ الله يرى أنه إذا لا يمنعه من صلاة الليل فهذا يحصل له عجب، وهذا كثير من المؤمنين يبنون على أن يصلوا كل ليلة صلاة الليل، ويعدو المنبه ولكن الله أحياناً يمنعهم لأجل هذا. وأيضاً هناك رواية أخرى: (لا تخرج نفسك عن حد التقصير)، وهذا الإنسان العارف الكامل كلما كثر كماله لا بد أن لا يخرج نفسه من التقصير، بمجرد أن يخرج نفسه عن هذا الحد، وعرف بأنه كامل، فهذا يؤدي إلى نقصه، فلذلك فليس تحصيل هذه المعرفة شرطاً، بل هي مرفوضة وبمغوضة، لأنَّها تنافي قوله: (لا تخرج نفسك عن حد التقصير)، غاية الأمر أنَّ عليه أنْ يطبق على نفسه كل عمل من تعاليم الأئمة الطاهرين عليهم السلام، ويقول: أنا بعد مقصر، أنا بعد لم أصل إلى تلك الدرجة.

## ❖ ما معنى ما ورد من أن الإمام عليه السلام إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد؟

□ الآن لا تنظر إلى الشيعة القلة، فالأكثر من غيرهم وأعماهم في الغالب على خلاف الإسلام الواقعي، فإذا كان الناس كلهم متبعون على هذه الطريقة وجاء الإمام عليه السلام بخلاف ذلك يصير أمراً جديداً، وأيضاً أنه أمر جديد باعتبار أن الإسلام صار عتيقاً خلقاً بسبب عدم العمل به، فما يأتي به الإمام عليه السلام يكون أمراً جديداً. وهناك أيضاً نظرية المحقق الخراساني رحمه الله في الكفاية، يقول: إن بعض الأحكام الشرعية لم تصل إلى مرحلة الفعلية من الليالي والأيام إلى أن تظهر شمس الهدایة ويرتفع الظلام؛ فمعناه أن هناك قسمين من الأحكام لم تصل إلى الفعلية فيجعلها فعلية، فمثلاً مانع الزكاة لا يوجد له حد، بل يعزّر، لكنَّ الإمام الحجة عليه السلام يقتل، وأيضاً النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (إِنَّا أَفْضَى بَيْنَكُمْ بِالْبَيْنَاتِ وَالْأَيَّانِ)، لكن الإمام الحجة عليه السلام يأتي ويحكم -بحسب بعض الروايات- ويقضي بحكم داود؛ يعني بالحكم الواقعي، ولا تقل أنه صار على هذا أفضل من النبي، لا لم يصر أفضل من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ الفرق لا يرجع إليهما (صلوات الله عليهما وآلهما) بل يرجع إلى شعبيهما، فشعب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان شعباً متخلقاً وضعيفاً، ما كان يستطيع تحمل الحكم الواقعي، بخلاف شعب الإمام عليه السلام بحسب بعض الروايات أنه يضع يده على رؤوسهم فتكمل عقوتهم فيقبلون الواقع، فكما كان الشعب النبوى في ذلك الوقت لا يتقبل الواقع، كذلك في الرواية أن داود عليه السلام أيضاً كان هكذا يقول أني أريد الحكم الواقعي لا الحكم الظاهري، فجاء رجل شيخ وأمسك بيده شاباً وأن هذا دخل بستانى وسرق عنقوداً وكان ينتظر من النبي عليه السلام يأخذ منه الحق، ولكن النبي فعل العكس، بل قال: أيها الشاب كل البستان لك، وهذا السيف أيضاً لك، ولد حرية أن تقتل

هذا الشيخ أو لا تقتله، فالناس صارت عندهم ضجة، فقال لهم إني أعرف الحكم الواقعي، وهو أن والد هذا الشاب قُتل على يد هذا الشيخ في الزمان القديم، وسلب منه البستان، فهذا هو صاحب البستان بالإرث، وهو أيضاً صاحب الحق في القتل لأجل القصاص، لكن رأي أنه لا يستطيع أن يقول لكل الناس ذلك وأن يقنعهم، لا يقتنعوا حينما يرون الظاهر، فرجع عن قوله، وقال: يا الله اجعلني كالسابق، يعني بالحكم الظاهري حتى أخلص من هذه المعاناة، فالنبي عليه السلام أيضاً في زمانه لم يكن الناس يتبعدون جداً، بل كثيراً ما كان يقول شيئاً ويعارضه بعضهم كما في صلح الحديبية، فالشعب الذي على هذا الحال لابد أن يقول النبي لهم: إنما أقضى بينكم بالبيّنات والأبيان، كما أنك لو كنت في جمٍ من أصدقائك الذين يقبلون كل كلامك فأنت تتكلم معهم بكل ما في قلبك، ولكن لو كنت في حضور عام لا يقبلون كل كلامك فأنت تكلمهم بالمقدار الذي يتقبلونه منك، لا تكلمهم بالشيء الواقعي، فهذا الفرق يرجع إلى الشعرين، لا إلى الشخصين الشريفين عليهما السلام، فلا يصير دليلاً على أفضلية الإمام الحجة عليهما السلام على النبي الأعظم عليهما السلام.

❖ أحسنتم سيدنا.. طيب الله أنفاسكم.

□ سلمكم الله إن شاء الله.

### المواهش:

(١) البقرة .١٢٤

(٢) في كمال الدين ص ٤٤٠، عن عبد الله بن جعفر الحميري ، عن محمد بن عثمان العمري حديثه قال : سمعته يقول : «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه».

- (٣) الإسراء .٣٣  
(٤) آل عمران .١٨٣  
(٥) الإسراء .٣٣  
(٦) المعارج .٧-٦  
(٧) الحديد .٤  
(٨) المجادلة .٧  
(٩) يوسف .٩٧  
(١٠) النساء .٦٤  
(١١) المائدة .١١٢  
(١٢) النور .٣٦  
(١٣) آل عمران .٩٧  
(١٤) ميزان الحكمة ج ١ ص ١٨١

# لِعْنَةُ الْمَشَاهِدَةِ.. وَتَكَذِّبُ مَذَاهِبَهَا !!

علي فاضل الصددي

كَفَى بِسَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ... مَا انفقتُ عَلَيْهِ  
الإِمامِيَّةُ قاطِبَةً اِنْقِطَاعَ السُّفَارَةِ وَاحْتِتَامَ النِّيَابَةِ الْمُخَاصَّةِ عَنِ الصَّاحِبِ<sup>عَلَيْهِ السَّلَامُ</sup> بِوَفَاتِ رَابِعِ  
السُّفَرَاءِ عَلَيْهِ بْنِ مُحَمَّدِ السُّمْرَيِّ<sup>عَلَيْهِ السَّلَامُ</sup>، فَلَيْسَ بَعْدَ وَفَاتِهِ إِلَّا أَنْ ظَهَورَ الْحَجَّةِ<sup>عَلَيْهِ السَّلَامُ</sup>  
نَائِبُ خَاصٌّ عَنْهُ إِلَى شَيْعَتِهِ، وَأَنَّ الْمَرْجُعَ فِي زَمَانِ الْغَيْبَةِ الْكَبِيرِ إِلَى الْفَقَهَاءِ الْعَدُولِ  
الْأَمْنَاءِ عَلَى حَلَالِ اللَّهِ وَحْرَامِهِ، وَأَنَّ مَنْ ادْعَى النِّيَابَةِ الْمُخَاصَّةِ عَنْهُ<sup>عَلَيْهِ السَّلَامُ</sup> فَهُوَ كَذَّابٌ  
مُبِتَدِعٌ، بَلْ يَعْدُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ مَذَهَبِ الإِمامِيَّةِ الَّتِي يَعْرَفُونَ بِهَا<sup>(١)</sup>.

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الصَّدُوقُ<sup>عَلَيْهِ السَّلَامُ</sup> فِي الْإِكْمَالِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ الْحَسَنِ  
بْنِ أَحْمَدَ الْمَكْتُبِ قَالَ: كَنْتُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تَوَفَّى فِيهَا الشَّيْخُ عَلَيْهِ  
مُحَمَّدُ السُّمْرَيِّ -قَدْسَ اللَّهُ رُوحَهُ- فَحَضَرَتُهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ، فَأَخْرَجَ إِلَى النَّاسِ  
تَوْقِيًّا، نُسْخَتُهُ: "بِسَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدِ السُّمْرَيِّ: أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَهُ  
إِخْوَانَكَ فِيْكَ؛ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَتَةِ أَيَّامٍ، فَاجْعُلْ أَمْرَكَ، وَلَا تَوَصَّلْ إِلَى أَحَدٍ  
يَقُومُ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ الْثَّانِيَةُ (الْتَّامَّةُ)، فَلَا ظَهُورٌ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الْأَمْدِ وَقُسْوَةِ الْقُلُوبِ وَامْتِلَاءِ الْأَرْضِ جُورًا، وَسِيَّاتِي  
شَيْعَتِي (الشَّيْعَتِي) مَنْ يَدْعُى الْمَشَاهِدَةَ، أَلَا فَمَنْ ادْعَى الْمَشَاهِدَةَ قَبْلَ خَرُوجِ السَّفِيَّانِيِّ  
وَالصِّيَحَّةِ فَهُوَ كَذَّابٌ (كَذَّابٌ) مُفْتَرٌ، وَلَا حُولَّ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ". قَالَ:  
فَنَسَخْنَا هَذَا التَّوْقِيعَ وَخَرَجْنَا مِنْ عَنْدِهِ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْسَّادِسُ عَدْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يَجْوَدُ  
بِنَفْسِهِ، فَقَيْلَ لَهُ: مَنْ وَصَّيْكَ مِنْ بَعْدِكَ؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَمْرٌ هُوَ بِالْعَالِمِ. وَمَضَى رَضِيَ اللَّهُ

عنه، فهذا آخر كلام سمع منه<sup>(٢)</sup>.

ورواه الشيخ الطوسي في الغيبة، قال: وأخبرنا جماعة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، قال: حدثني أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب -بمثل ما تقدّم<sup>(٣)</sup>. والكلام في هذا التوقيع في مقامين:

**المقام الأول:** في صحة سند التوقيع، وتحديداً في وثاقة أبي محمد المكتب -بعد وضوح اتصال سند التوقيع وعدم إرساله في نقل الصدوق والطوسي<sup>(٤)</sup>، بل قرب إسناده من المعصوم في نقل الشيخ الصدوق، فهو يرويه بواسطتين عن الناحية المقدّسة للصاحب<sup>عليه السلام</sup>، وبعد وضوح وثاقة جميع رواة التوقيع، إنْ في نقل الصدوق قيئراً أو في نقل الشيخ قيئراً، ما عدا أبي محمد المكتب -، ووثاقته تبني على قبيزه، وأنه أحمد بن الحسن أو الحسن بن أحمد أو الحسين بن أحمد، فالكلام في جهة قبيزه ووثاقته تقع في مباحث ثلاثة:

**المبحث الأول:** إنه ليس أحمد بن الحسن، وقد وقع سهوًّا في بعض نسخ كتاب الغيبة للشيخ الطوسي قيئراً، ففي نسخة منها هكذا: أخبرنا جماعة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، قال: حدثني أبو محمد أحمد بن الحسن المكتب..إلخ<sup>(٥)</sup>. وقد عرفت أن الذي روى عنه ابن بابويه هو الحسن بن أحمد، والظاهر أن السهو في كتاب الشيخ الطوسي وقع من النساخ، ويؤيد ذلك أن الميرزا النوري قيئراً نقل هذا الحديث في جنة المأوى<sup>(٦)</sup> عن نفس غيبة الشيخ، إلا أن في سنته الحسن بن أحمد المكتب<sup>(٧)</sup>.

**المبحث الثاني:** أورد الصدوق في الإكمال روايةً قبل رواية بحثنا مباشرةً، وابتدا سنته بـ "حدثنا أبو محمد الحسين بن أحمد المكتب قال : حدثنا أبو علي بن همام بهذا الدعاء"<sup>(٨)</sup>، هذا وقد أكثر في كتبه من الرواية عن الحسين بن إبراهيم بن أحمد

بن هشام/هاشم المكتب<sup>(٩)</sup>، أو الكاتب<sup>(١٠)</sup>، أو المؤدب<sup>(١١)</sup>، وقد استُظهر في بعض الكلمات وحدة الوارد في سند التوقيع -أعني أبا محمد الحسن بن أحمد المكتب-، مع المسما بالحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب أو المؤدب؛ وذلك لأن الموجود في كتب الأصحاب وروایات الصدوق عليه السلام (الحسين) مصعرًا إلا ما تقدم عن موضع من الإكمال والغيبة<sup>(١٢)</sup>، فالأظهر ما عليه كتب الأصحاب وروایاته من الضبط بالحسين مصعرًا، هذا فيما يخص اسمه، وأما فيما يرتبط باسم أبيه فلأنه كما يقتصر على ذكر اسمه مع اسم أبيه<sup>(١٤)</sup>، أو يذكر -كما تقدم-، كذلك قد يقتصر على ذكر اسمه مع جده<sup>(١٥)</sup>، ولا يعني هذا تعدد الراوي؛ وذلك بقرينة المروي عنه<sup>(١٦)</sup>.

ولكن يتوجه عليه أن الموضع الذي ورد فيه ذكر الراوي بعنوان (الحسن) لا (الحسين) هو سند التوقيع الذي نحن بصدده دراسته، وقد اتفقت كلمات الأصحاب ونسخ الإكمال والغيبة على نقله بعنوان (الحسن) مصدرًا بتكتيشه بأبي محمد، وإن كانت سائر الموضع بعنوان (الحسين) ومن غير تكتيشه له. كما أن الموضع الذي استشهد به للاقتصار على ذكره باسم (الحسين) مع جده (أحمد)، وهو سند الرواية السابقة للتوقيع في كتاب الإكمال -مختلف في نقله، فقد عرفت نقله في البخار عن الإكمال بعنوان (الحسن) في موضعين، ما يعني أن نسخة صاحب البخار للإكمال كانت بهذا العنوان، كما قد أورد الرواية السيد ابن طاوس عليه السلام في جمال الأسبوع بسنته إلى جده الشيخ الطوسي عليه السلام، ومنه إلى الشيخ الصدوق عليه السلام لا عن الإكمال معنوناً شيخه بـ(الحسن)<sup>(١٧)</sup>، ومعه فلا شاهد للاقتصار على ذكر الراوي مع جده، ليطبق على سند التوقيع، على أن الشيخ الصدوق قد كنى الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام (هاشم) المكتب بأبي عبد الله في رواية له عنه في معاني الأخبار<sup>(١٨)</sup>، بينما كنية راوي التوقيع هي أبو الحسن، مما يضاعف من قيمة احتمال التعدد.

ولكن قد يقال باتحاد المكتب الراوي للتوقيع مع المكتب المعروف عليه السلام؛ وذلك لبعد أن يخرج عنه الصدوق عليه السلام روايةً أو روایتين من غير أن يعرفنا بشخصه، فقد جرت عادته أن يأخذ في التعريف بن يروي عنه، فهو رغم إثاره عن بعض مشايخه كالمكتب المعروف مثلاً، إلا أنه عندما يروي عنه فإنه يذكره باسمه واسم أبيه وجده -على الأقل-، بل قد تكرر منه ذكره بهذا النحو: «حدَّثَنَا الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب المؤدب»، فاقتصره على ذكر اسمه واسم أبيه أو جده بإضافة حرفه مصدرأً بكتينته يؤذن بعهوديته، والمكتب المعهود هو الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام لا غيره، والاقتصار على ذكر اسم الراوي واسم جده، وتصحيف الحسين بالحسن وبالعكس ليسا عزيزين، ثم إنَّه قد اتفق تعدد الكتينية مع وحدة المكتنَى، فلا يدلُّ تغايرها على تغاير الراوي وتعدده، فتدبر.

المبحث الثالث: إننا لو صرنا إلى القول باتحاد أبي محمد الحسن (الحسين) بن أحمد المكتب الوارد في سند التوقيع مع الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب/الكاتب المؤدب عليه السلام - لقلنا بصحة سند التوقيع، وعدم ضائرة المكتب بصحته - رغم عدم ورود توثيق له بالخصوص -؛ وذلك لوجوه:

الأول: إنَّ الشيخ الصدوق عليه السلام قد أكثر من الرواية عنه، ورواية الجليل مثل الصدوق عن رجل بإكثارِ كافِ عن اعتماده عليه ووثاقته.

الثاني: إنَّ الشيخ الصدوق عليه السلام قد ترضى وترحمَ غيرَ مرةٍ على المكتب عليه السلام، وهو الآخر يحمل كشفاً عن وثاقته.

الثالث: ما نقله ابن حجر في لسان الميزان، قال: «الحسين بن إبراهيم بن أحمد المؤدب»، روى عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدِي وغيره، قال علي بن الحكم في مشايخ الشيعة: كان مقيماً بقم، وله كتابٌ في الفرائض أجاد فيه، وأخذ عنه أبو

جعفر محمد بن علي بن بابويه، وكان يعظّمه<sup>(١٩)</sup>. والأخذ عن رجل مع تعظيمه ظاهر في توثيقه.

الرابع: كون المكتب<sup>خليلاً</sup> من معاريف الطائفة غير المقدوحين، وهو مساوق<sup>\*</sup> لحسن الظاهر الكاشف عن الوثاقة شرعاً وعرفاً، وهذا باب واسع مبارك. هذا كله لو صرنا إلى القول بوحدة المكتب الوارد في سند التوقيع مع المكتب المعروف، وأما لو لم نحرز الوحدة، ولو لما قدمناه في مناقشة استظهارها في بعض الكلمات - فإنه رغم ذلك لا محيس لنا عن القول باعتبار التوقيع، لتلقّيه بالقبول من الطائفة بأسرها<sup>(٢٠)</sup> الموجب لوثقنا به وركوننا إلى مضمونه.

**المقام الثاني:** في دلالات التوقيع المبارك، والحديث عنها في نقاط:-

**الأولى:** إن من أعلام ودلائل إماماً الصاحب<sup>عليه السلام</sup> وعصمته ما أخبر به من موت الشيخ السمرى فيما بينه وبين ستة أيام، ووافق الواقع، وإخباره<sup>عليه السلام</sup> بأنه: سيأتي شيعته من يدعى المشاهدة والنيابة عنه، فأتى بحرف (السين) المشعر بقرب زمان مجيء من يدعى النيابة عنه<sup>عليه السلام</sup><sup>(٢١)</sup>، وهذا ما اتفق، فقد أدعاهما بعد وفاة الشيخ السمرى مباشرةً أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي، وهو ابن أخي أبي جعفر محمد بن عثمان العمري. قال الشيخ الطوسي<sup>عليه السلام</sup>: «أخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، عن أبي الحسن علي بن بلال المهلى قال: سمعت أبا القاسم جعفر بن محمد بن قولويه يقول: أما أبو دلف الكاتب - لا حاطه الله - فكنا نعرفه ملحداً، ثم أظهر الغلو، ثم جنّ وسلسل، ثم صار مفوضاً، وما عرفناه قط إذا حضر في مشهدٍ إلا استخف به، ولا عرَفته الشيعة إلا مدة يسيرة، والجماعة تتبرأ منه ومن يومي إليه وينمس به. وقد كنا وجّهنا إلى أبي بكر البغدادي لما

ادعى له هذا<sup>(٢٢)</sup> ما ادعاه، فأنكر ذلك وحلف عليه، فقبلنا ذلك منه، فلما دخل بغداد مال إليه وعدل عن الطائفة وأوصى إليه لم نشك أنه على مذهبة، فلعنناه وبرئنا منه، لأن عندنا أن كل من ادعى الأمر بعد السمرى رحمه الله فهو كافر منمس ضال مضل، وبالله التوفيق»<sup>(٢٣)</sup>، فوالله ما كذب وما كذب.

**النقطة الثانية:** - بعد عدم الشبهة والريب في وثاقة الشيخ السمرى رحمه الله - فإخراجه توقياً للناس متضمناً أن لا يوصي إلى أحد يقوم مقامه بعد وفاته - دليل واضح على كون الشيخ السمرى رحمه الله نائباً عن الصاحب رحمه الله، ومعه فلا مسرح لما قيل<sup>(٤)</sup> بأن لا دليل على نيابته في أخبار الباب (ب/١٦ / أحوال السفراء الذين كانوا في زمان الغيبة الصغرى، كتاب الحجة، من بحار الأنوار)، مع كون الباب مشتملاً على هذا التوقيع. ثم إن تسامم الطائفة الحقة بأسرها على نيابته، وكونه الخاتم لها مما يغني عن أن يرد خبر أو خبران دليلاً على ذلك.

**النقطة الثالثة:** إن ما ورد في التوقيع من توجيه للشيخ السمرى رحمه الله بأن لا يوصي إلى أحد يقوم مقامه بعد موته، معقلاً بوقوع الغيبة التامة - نص في ختم السفارة الخاصة عن الصاحب رحمه الله.

**النقطة الرابعة:** إن سياق التوقيع شاهد على أن المشاهدة المنفيّة هي خصوص دعوى المشاهدة المقرونة بزعم النيابة عن الصاحب رحمه الله؛ فإنه عليه بعد أن وجه السمرى رحمه الله إلى عدم الوصية إلى أحد يقوم مقامه بعد موته - عقب ذلك بقوله عليه " وسيأتي شيء من يدعى المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة.. فهو كاذب مفتر" ، إذن فدعوى المشاهدة غير المقرونة بزعم النيابة عن الصاحب رحمه الله غير مشمولة بالتكذيب، ومعه فلا حاجة إلى كثير من التوجيهات والتوفيقات بين ما تضمنه التوقيع من تكذيب المشاهدة وبين دعوى المشاهدة المتکثرة جداً والمقطوعة

في الجملة. وقد عرض المحدث النوري رحمه الله في جنة المؤوي جملةً من تلك التوفيقات، وأهمها ثلاثة<sup>(٢٥)</sup>:

الأول: ما ذكره في البحار بعد ذكر التوقيع بما لفظه: "علمه محمول على من يدعى المشاهدة مع النيابة، وإيصال الأخبار من جانبه إلى الشيعة على مثال السفراء، لثلا ينافي الأخبار التي مضت وسيأتي فيمن رأه عليه السلام والله يعلم"<sup>(٢٦)</sup>، ومثل هذا الحمل لا بد منه بعد القطع بصدق تلك الدعاوى في الجملة، ولكنك قد عرفت أن هذا الحمل هو ظاهر التوقيع بقرينته سياقه.

الثاني: ما ذكره السيد بحر العلوم رحمه الله في رجاله في ترجمة الشيخ المفيد رحمه الله، بعد ذكر التوفيقات المشهور صدورها من الصاحب عليه السلام في حقيقته، من أن المشاهدة المنافية أن يشاهد الإمام عليه السلام ويعلم أنه الحجة عليه السلام حال مشاهدته له<sup>(٢٧)</sup>، ولكن هذا الحمل مفقود الشاهد عليه، وإن كان جل حكايات دعاوى المشاهدة تصرح بعدم معرفته عليه السلام حال المشاهدة.

الثالث: ما ذكره الميرزا النوري رحمه الله من أن المخفي على الأنام والمحجوب عنهم، مكانه عليه السلام ومستقره الذي يقيم فيه، فلا يصل إليه أحد، ولا يعرفه غيره حتى ولده، فلا ينافي لقاءه ومشاهدته في الأماكن والمقامات.. وظهوره عند المضطر المستغيث به، الملتجئ إليه التي انقطعت عنه الأسباب وأغلقت دونه الأبواب<sup>(٢٨)</sup> - وأضاف رحمه الله قائلاً - "ثم لا يخفى على الجائس في خلال ديار الأخبار أنه عليه السلام ظهر في الغيبة الصغرى لغير خاصته ومواليه أيضاً، فالذى انفرد به الخواص في الصغرى هو العلم بمستقره، وعرض حواجهم عليه عليه السلام فيه، فهو المنفي عنهم في الكبرى، فحالهم وحال غيرهم فيها كغير الخواص في الصغرى، والله العالم"<sup>(٢٩)</sup>. وهذا الحمل - هو الآخر - يحتاج إلى القرينة، وما ذكر بمجرده لا يكفي لدفع التكذيب عن مدّعي

الشاهد، فيما لو فهم من التوقيع مطلق المشاهدة، ولو من باب حيطة مقام السفارة عنه علّيٰ وجعل الحِمَى له، وإن كنَّا نعلم صدق مدّعي المشاهدة. كما أنه دلت بعض الروايات على اطّلاع بعض أولياء الصاحب علّيٰ على موضعه في غيبته الكبرى، منها معتبرة إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله علّيٰ: للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه (في دينه)<sup>(٣٠)</sup>. فالمتّحصّل إن المشاهدة المنفيّة هي خصوص دعواها مقرونة بزعم النيابة عن الصاحب علّيٰ، فكل من يدّعي النيابة عنه كذابٌ مفترٌ مبتدعٌ ضالٌّ مضلٌّ.

ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

### المواهش:

- (١) (وكفى بهذا حجةٌ وبرهانًا)، كما قال صاحب مكيال المكارم: ٣٢٣.
- (٢) إكمال الدين وإقام النعمة: ٥١٦ (ب٤٥ ح٤٤)، عنه في البحار: ٥١ ب٣٦١ ح١٦، ٧، ٥٢: ١٥١ ب٢٣ ح١.
- (٣) الغيبة: ٣٩٥ ح٣٦٥ ط مؤسسة المعارف الإسلامية ١٤١١هـ عنه في البحار: ٥١ ب٣٦٠ ح٧.
- (٤) والمستغرب رمي الميرزا النوري تقدّم في (جنة المأوى: ١٥٩) إيه بالإرسال، رغم أنه ذكر - ابتداءً - نقل الشيخ للتّوقيع في الغيبة، وهو مسندٌ - كما عرفت -، وبُعد نقل صاحب الاحتجاج علّيٰ (٢٩٧) له مرسلاً لا ينتج الإرسال لجميع نقوله، على أنه قد اعتذر لمرسلات كتابه بما سيأتي إن شاء الله، كما أنه من الإرسال الجازم، فلاحظ.
- (٥) كما في النسخة التي نقل عنها السيد المخوئي تقدّم في معجمه: ١٣١ في ترجمة علي بن محمد السمرى (٨٥٠٨)، فلاحظ.

(٦) جنة المأوى: ١٥٩.

(٧) لاحظ للمزيد مكيال المكارم: ٢. ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٨) إكمال الدين وإقامة النعمة: ٥١٢ (ب٤٥ ح٤٣)، وعنه في البحار: ٥٣ ب٣١ ح١٨٧: ٩٢ و١٨٧ ب٣٢٧ ح١١٥، ولكن في الموضعين نقله عنه هكذا: "حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب، قال: حدثنا أبو علي بن همام بهذا الدعاء..".

(٩) الأمالى: ٥٢١ (ح٧٠٩)، التوحيد: ٩٥ (ح١٥)، العيون: ١٥٥ (ب٤٠ ح١٠)، : ٢٥٤ (ب٥٦ ح١)، : ٢٩٣ (ب٦٦ ح٣٢ ح٢)، المعنى: ١١٠ (ب١١ ح١٤)، المعنى: ٢٩١ (ح١)، ٣٨٧ (ح١).

(١٠) التهذيب: ٩٥ (ب٤٦ ح١) "روى محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسى والحسين بن إبراهيم بن أحمد الكاتب..، لاحظ معجم رجال الحديث: ٦ - ١٨٩ - ٣٢٤٩ (١٩٠)."

(١١) الأمالى: ٣١٥ (ح٣٦٧)، ٦٣٨ (ح٨٦١)، ٦٧٩ (ح٩٢٧)، ٧٥٥ (ح١٠١٨)، ٧٦٨ (ح١٠٤٠)، التوحيد: ٢٢٤ (ب٣٠ ح٣، ٥، ٢٨٩)، ٣٧١ (ب٦٠ ح١١)، علل الشرائع: ٦٩ (ب٦٠ ح١)، : ١٣٢ (ب١١١ ح٢)، العيون: ٢٦٣ (ب٥٩ ح١)، : ٢٩٤ (ب٦٦ ح٣٤)، ٧٢ (ب٧ ح٢)، : ١٢٩ (ب١١ ح٤٢)، المعنى: ٢٨٥ (ح١).

(١٢) المكتب (بتشديد المثناة مكسورة) من يعلم (غيره) الكتابة، فهو كاتب وهو مؤذن.

(١٣) هذا والحسن وإن كان هو الأنسب بالتكلمية بأبي محمد إلا أنه لا ملازمة بين التسمية بالحسن والتكلمية بأبي محمد.

(١٤) الأمالى: ٩٢ (ح٦٧).

(١٥) إكمال الدين وإقامة النعمة: ٥١٢ (ب٤٥ ح٤٣)، وعنه في البحار: ٥٣ ب٣١ ح١٨٧: ٩٢ و١٨٧ ب٣٢٧ ح١١٥، ولكن في الموضعين نقله عنه هكذا: "حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب، قال: حدثنا أبو علي بن همام بهذا الدعاء..".

(١٦) تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي للسيد محمد علي الأبطحي: ٢. ٣٧٣ - ٣٧٢.

(١٧) جمال الأسيوعي: ٣١٥.

(١٨) معاني الأخبار: ٣٨٧ (باب نوادر المعاني ح٢٢).

- (١٩) لسان الميزان ٢: ٢٧١، وعنه في أعيان الشيعة للسيد الأمين عليه السلام: ٤١١ مضيفاً: «وعلي بن الحكم من أجزاء أصحابنا له كتاب في الرجال، وكان هذا الكتاب عند ابن حجر، ونقل عنه في لسان الميزان كثيراً، وأبو جعفر المذكور هو الصدوق».
- (٢٠) قال في مكال المكارم ٢: ٣٣٥ وما يدل على صحة هذا الحديث وصدره عن الإمام أيضاً، أن الشيخ الطبرسي رحمه الله صاحب الاحتجاج ذكره مرسلاً، من دون ذكر السنن، والتزم في أول الكتاب وصرح بأنه لا يذكر فيه سند الأحاديث التي لم يذكر أسانيدها، إما بسبب موافقتها للإجماع، أو اشتئارها بين المخالف والمألف، أو موافقتها لحكم العقل» لاحظ الاحتجاج ١: ٤.
- (٢١) ففي شرح الرضي على الكافية ٤: ٦ «وأما السين وسوف فسماهما سيبويه حرف التنفيس، ومعناه: تأخير الفعل إلى الزمان المستقبل، وعدم التضييق في الحال، يقال: نفست الخناق، أي وسعته، و(سوف) أكثر تنفيساً من السين»، وفي تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١: ٥٨٣ «فسيكتيفيكهم)...والجيء بالسين يدل على قرب الاستقبال؛ إذ السين في وضعها أقرب في التنفيس من سوف»، وفيه ٣: ٢٨٦ «(والذين آمنوا وعملوا الصالحات سند لهم جنات)...وأتى فيها بالسين المشعرة بقصر مدة التنفيس على سبيل تقريب الخير من المؤمن وتبشيره به».
- (٢٢) يعني أبا دلف الكاتب، وهو محمد بن مظفر الكاتب.
- (٢٣) كتاب الغيبة ٤١٢، وعنه في البحار ٥١: ٣٧٨، ورواية الرواية كلام ثقات.
- (٢٤) مشرعة بحار الأنوار ٢: ٢١٨.
- (٢٥) هي ثلاثة من أصل ستة، وهي المعونة بـ«الثاني» وـ«الرابع» وـ«السادس» في ص ١٦٠ - ١٦٦، فلاحظ تلك الستة في الكتاب: ١٥٩ - ١٦٦، وستعرف زيف أنها مما تقدم.
- (٢٦) بحار الأنوار ٥٢: ١٥١ بـ٢٣، كتاب الحجّة، ذيل ح ١)
- (٢٧) الفوائد الرجالية ٣: ٣٢١.
- (٢٨) جتة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجّة عليه السلام: ١٦٥.
- (٢٩) المصدر: ١٦٦.
- (٣٠) الكافي ١: ٣٤٠ (كتاب الحجّة، باب في الغيبة ح ١٩)، الغيبة للنعماني: ١٧٥ (ب ١٠، فصل ح ٢)، وعنه في البحار ٥٢: ١٥٥ (ب ٢٣، كتاب الحجّة ح ١١).

## كعوٰ النيابة قبل السفياني والصيحة

سعید جعفر حمّاد

لأنه لأن غاب عن المؤمنين إمام عصرهم سلام الله عليه وعجل الله فرجه لظروف اضطرته؛ فإن غيابه كان بأمر الله تعالى لمصلحة الإسلام والمؤمنين، وقد وعد الله تعالى بقيامه وظهوره، وبه يظهر دين الله على الدين كله، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فيعلو دين الإسلام على جميع الأديان بالغلبة والحكم والقهر لهم<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال فيها في توضيحه للآية السابقة: قال: «يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم، قال: يقول الله: والله متم نوره "ولاية القائم" ولو كره الكافرون ... الخ»<sup>(٥)</sup>.

وقال الشيخ الصدوقي في كتابه الاعتقادات في وصف الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً. وأنه هو الذي يظهر الله به دينه، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأنه هو الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، حتى لا يبقى في الأرض مكان إلا نودي فيه بالأذان ، ويكون الدين كله لله تعالى»<sup>(٦)</sup>.

وفي غيبة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ امتحان من الله سبحانه لعباده ليمحص المؤمنين، لذا يرتات

الكثير في غيبته، وجاء هذا المعنى في كثير من الأخبار منها رواية زرارة جاء فيها:  
«غير أن الله تعالى يحب أن يتحن الشيعة فعند ذلك يرتاب المبطلون»<sup>(٧)</sup>.

ولا شك في أن لغيبته سلام الله عليه حكمةٌ، وإن لم يطلع عليها شخص فعليه  
أن يسلم بها، لأنها كانت بأمر الله تعالى وأمره لا يكون إلا عن حكمة، وجاء في  
رواية عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن لصاحب هذا  
الأمر غيبة لابد منها يرتاب فيها كل مبطل، فقلت: ولم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم  
يؤذن لنا في كشفه لكم؟ قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في  
غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجاج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة  
في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره؛ كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه  
الحضر عَلَيْهِ السَّلَامُ من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى وقت  
افتراقهما. يا ابن الفضل: إن هذا الأمر أمر من أمر الله تعالى وسر من سر الله، وغيب  
من غيب الله، ومتى علمنا أنه عَزَّوجَ حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة وإن كان  
وجهها غير منكشف»<sup>(٨)</sup>.

وقد جعل الله تعالى لظهوره علامات وأمارات حتمية للمؤمنين، كما روى  
الشيخ الصدوقي بسند عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إن  
قادم القائم علامات تكون من الله عَزَّوجَ للمؤمنين...الخ»<sup>(٩)</sup>.

فهذه العلامات مستمسك ثبات للمؤمنين في غيبة الحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتكون قاطعة  
لعذر من يتخلص عنده، كما جعل الله تعالى لبني إسرائيل علامات وأمارات في صفة  
نبي آخر الزمان ومحل عاصمته، حتى بعد أن عرفوها أقبلوا نحو أطراف عاصمته  
مستوطنين ومنتظرين لقادمه، وأخذذوا يتوعدون نصارى المدينة بفتحهم بعد ظهور  
النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(١٠)</sup>، ويتوعدون أهل الأصنام بالنبي عَلَيْهِ السَّلَامُ بتكسر أصنامهم<sup>(١١)</sup>، ولكنهم

كفروا به لما ظهر حسداً وبغياء، كما قال تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتَحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١٢)</sup> لما عرفوا أنه ليس من بني إسرائيل وأنه عربي<sup>(١٣)</sup>.

وأما الثابتون على الإيمان والولایة فإنهم يؤمنون بعلامات الإمام المهدى عليه السلام وإذا ظهر سينصرون، وذلك بعد أن يروا أن العلامات الحتمية قد تحققت.

وكما أن هذه العلامات قاطعة لذر من يتخلص عن الحجة؛ كذلك هي قاطعة لذر من يدعي الاتصال بالإمام المهدى عليه السلام لأخذ التعاليم منه إلى الشيعة ولو بالواسطة في زمن الغيبة الكبرى، ومن هنا تكمن أهمية معرفة علامات الظهور للحجـة.

إن عدموعي بعض المؤمنين لعلامات الظهور ولمعنى نفس ظهور الحجة ساعد الاستعمار في جرح كيان المؤمنين بزرع الفرق المنحرفة في أوساط مجتمعاتهم، وبذلك يعصف بالخلاف فيما بينهم حتى يسهل عليه -فيما يتوهـم- من الوصول إلى مآربه، وقد استغل الاستعمار مع الوعي بالعلامات من بعض لعاظفة الجياشة التي تربط المؤمنين بإمامهم من جهة، ومن جهة ما تيسـر لديه من أفعال يتوهـم الناس أنها خارقة للعادة وأنها كرامة ومعجزة لا تصدر إلا من جهة الإمام حتى يبين لهم بأن المدعـي صادق في دعوى النيابة أو الاتصال بالنائب للإمام عليه السلام، وذلك لمعرفة الاستعمار بأن التصديق بالنيابة يتوقف على ذلك من قبل السفـراء<sup>(١٤)</sup> بعد دراسات وبحوث قامت به أنصارـه من المستشـرين. لكن الاستعمار لم ينجح ولن ينجح في وصولـه إلى أهدافـه النهـائية.

فما من شـبهـة في كون الوعـي بالـعلامـات يقطعـ الطريقـ عنـ المـغـرضـينـ، وقدـ أـكـدـتـ الروـاـياتـ علىـ عـلامـاتـ ظـهـورـ الحـجـةـ عليـهـ السـلامـ.

## علامات حتمية

يمكن أن نعرف أهم علامات الظهور من خلال ما ركزت عليه الروايات من العلامات الحتمية، وهي قد ركزت على خمس علامات:

١. ظهور السفياني.
٢. الصيحة.
٣. الخسف بالبيداء.
٤. اليماني.
٥. قتل النفس الزكية.

ومن تلك الروايات الدالة على ذلك صحيحة عمر بن حنظلة: قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قبل قيام القائم خمس علامات محتومات اليماني، والسفيني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»<sup>(١٥)</sup>. ومنها: معتبرة ميمون البان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «خمس قبل قيام القائم عليه السلام: اليماني والسفيني والمنادي ينادي من السماء وخفف بالبيداء وقتل النفس الزكية»<sup>(١٦)</sup>.

ومنها: معتبرة أبي حمزة الشمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: «إن خروج السفيني من الأمر المحتوم؟ قال لي: نعم، واختلاف ولد العباس من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم»<sup>(١٧)</sup>. ويرويها الشيخ الطوسي مع إضافة في متنها: عن أبي حمزة الشمالي: قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: خروج السفيني من المحتوم، والنداء من المحتوم، وطلع الشمس من المغرب من المحتوم، وأشياء كان يقوها من المحتوم. فقال أبو عبد الله عليه السلام: واختلاف بني فلان من المحتوم، وقتل النفس الزكية



من المحتوم وخروج القائم من المحتوم..الخ»<sup>(١٨)</sup>.

ومنها ما جاء في رواية لأبي بصير: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «إن قدام هذا الأمر خمس علامات: أولاهن النداء في شهر رمضان، وخروج السفياني، وخروج الخراساني، وقتل النفس الزكية، وخسف بالبيداء..الخ»<sup>(١٩)</sup>. ومنها رواية عبد الله بن سنان: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ أنه قال: «النداء من المحتوم، والسفيني من المحتوم، واليماني من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف يطلع من السماء من المحتوم، قال: وفرعة في شهر رمضان توقظ النائم، وتتفزع اليقظان، وتخرج الفتاة من خدرها»<sup>(٢٠)</sup>. ومنها مرسلة زياد القندي عن غير واحد من أصحابه، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ، قلنا له: السفيني من المحتوم؟ فقال: «نعم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، والقائم من المحتوم، وخسف البيداء من المحتوم، وكف تطلع من السماء من المحتوم، والنداء من السماء. فقلت: وأي شيء يكون النداء؟ فقال: منادٍ ينادي باسم القائم واسم أبيه عَلَيْهِ الْكَلَمُ»<sup>(٢١)</sup>.

وهناك علامات لآخر الزمان وما يجري فيه من الفتن والفسق والظلم والجور، ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع كتاب الغيبة للشيخ للنعماني، وكتاب الملاحض والفتن للسيد ابن طاووس وكتاب الفتنة لنعيم بن حماد وللداني.

### دعاوى إيصال تعاليم الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ إلى الشيعة في الغيبة الكبرى

التشرف بمشاهدة الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ في زمن الغيبة الكبرى في نفسها ليست مستحيلة عقلاً في حالات خاصة، كما حصل لجماعة من كبار العلماء كما نقلَ العلامة المجلسي<sup>(٢٢)</sup> والشيخ عباس القمي عن بعض من تشرف برؤية الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ، ولكن الرؤية التي تقترب بدعوى نقل تعاليم من الإمام إلى الشيعة بحيث يكون الناقل باباً

لوصول ما يحتاجه الشيعة من قبل الإمام عَلِيٌّ، سواء كان النقل عن الإمام عَلِيٌّ  
مباشرةً أو كان بدعوى واسطةً أيضاً، فإن هذا ما ينفيه التوقيع المعروف الصادر عن  
صاحب العصر والزمان عَلِيٌّ قبل تحقق الصيحة وخروج السفياني، روى هذا التوقيع  
الشيخ الصدوق، قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب قال: كنت بمدينة  
السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمرى - قدس الله روحه -  
فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ» يا علي بن محمد السمرى، أَعْظَمُ اللَّهَ أَجْرَ إِخْوَانَكَ فِيهِ؛ فَإِنَّكَ مَيْتَ مَا بَيْنَكَ  
وَبَيْنَ سَتَةِ أَيَّامٍ، فاجْمَعْ أَمْرَكَ وَلَا تَوْصِ إِلَى أَحَدٍ يَقُولُ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ  
الغَيْبَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَلَا ظَهُورٌ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ عَزَّ ذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الْأَمْدِ وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ،  
وَامْتِلَاءِ الْأَرْضِ جُورًا، وَسِيَّئَاتِ شَيْعَتِي مَنْ يَدْعُو الْمَشَاهِدَةَ، أَلَا فَمَنْ ادْعَى الْمَشَاهِدَةَ  
قَبْلَ خَرْجِ السَّفِينِيِّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كاذِبٌ مُفْتَرٌ، وَلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ  
الْعَظِيمِ»<sup>(٢٣)</sup>.

فالشيخ الصدوق قد أدرك وحدث عمن أدرك السفير الرابع، بل عمن أدرك  
السفير الثالث أيضاً، كأبيه، والحسن بن أحمد المكتب، ويبدو أن الشيخ الصدوق  
ذكره باسم الحسين بن أحمد المكتب أيضاً، ففي الحديث الذي قبل هذا الحديث  
مباشرة ذكره باسم الحسين بن أحمد المكتب، وقد ترضى عنه في مورد<sup>(٤٤)</sup>، ولا  
يسبعد أن يكون هو الحسن بن أحمد بن إدريس الذي كرر الشيخ الصدوق  
الترضي عنه في موارد متعددة<sup>(٤٥)</sup>، وفي بعض الموارد يترحم عليه<sup>(٤٦)</sup>، مما يدل على  
جلالة الرجل ووثاقته، وروى هذا الخبر عن الشيخ الصدوق جماعةً من مشايخ  
الطوسى مما يدل على أهمية هذا الحديث، واعتمادهم طريق الشيخ الصدوق يُشعر  
بوثوقهم بالطريق، قال الشيخ الطوسى: «أَخْبَرَنَا جَمَاعَةٌ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَى

بن الحسن بن بابويه، قال حدثني أبو محمد الحسن بن أحمد...الخبر»<sup>(٢٧)</sup>.

وقد يُناقِش بعضُّهُ بأن دعوى المشاهدة الكاذبة في التوقيع قبل خروج السفياني والصيحة مطلقة، تشمل كلَّ مشاهدة، في أي ظرف من الظروف، وفي أي حال من الأحوال، وعليه فإنها تشمل مشاهدة العلماء المنقوله حكاياتهم، فينبغي أن يُكذبوا، لأنهم يُصدّقون ويُكذبون من يدعى الباب أو الطريق الموصى لتعاليم الإمام عليه السلام. ولكن هذه المناقشة يتضح فسادها مع النظر في نفس التوقيع؛ إذ يستفاد منه أمور:

**الأول:** إن التوقيع الذي أخرجه أبو الحسن على بن محمد السمرى السفير الرابع للحجّة، أخرجه عند وفاته، والحاضرون عنده من الناس يتربّدون منه أن يوصي بتعريف السفير الخامس، فبَيْنَ هُمْ أَنْ لَا خامس، وأنه وقعت الغيبة الكبرى، وأنه سوف يدعى بعضُ المشاهدة، ومدعىها قبل الصيحة والسفياني كاذب مفترٍ، فهذه قرينة حالية تعين أن المراد من المشاهدة هي النيابة ولو بالواسطة. وفي بعض الروايات توضيح أكثر من ترقب الناس الوصيّة للخامس من السفير الرابع، كما جاء في الاحتجاج قال: «فلما حان سفر أبي الحسن السمرى من الدنيا وقرب أجله قيل له إلى من توصي؟ فأخرج إليهم توقيعاً نسخته:....الخ»<sup>(٢٨)</sup>.

**الثاني:** إن الإمام عليه السلام بين إلى أبي الحسن السمرى في التوقيع قبل ستة أيام من وفاته، أنه سوف يموت بعد ستة أيام، وأمره فيه بأن لا يوصي إلى أحد يقوم مقامه من بعده، فلا تصح دعوى لأحد بأنه باب للإمام، فهذه تُعدُّ قرينة لما ساقه الإمام من قوله: وسيأتي شيء من يدعى المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفترٍ، على أن المراد من المشاهدة هي النيابة ولو بواسطة.

الثالث: إن الإمام عليه السلام فرع على عدم الوصية لآخر بعد السمرى بوقوع الغيبة الثانية، وفرع على وقوع الغيبة الثانية عدم الظهور إلا بعد أن يأذن الله عزوجل، فهذا يعني أن عدم الظهور مترتب على عدم وصية السمرى لآخر، وهذا يعني أن الغيبة الأولى فيها شيء من الظهور للإمام عليه السلام، وذلك بتوسط النائب بينه وبين شيعته، فنفي الظهور المترتب على الغيبة الثانية نفي للظهور ولو بوساطة بين الإمام والشيعة، وعلى هذا فمن يدعى تحقق الوساطة في الغيبة الثانية قبل السفيانى والصيحة فهو كاذب مفتر، فناسَ ذلك أن المراد من المشاهدة هي دعوى تتحقق الوساطة بين الشيعة وبين الإمام عزوجل.

ومضافا إلى كون المشاهدات التي تحققت لبعض المؤمنين ليس فيها دعوى الوساطة لنقل تعاليم الحجة للشيعة؛ فإن ذاك المؤمن -على الغالب- لا ينتبه إلى حقيقة الشخص الذي شاهده أنه هو الإمام المهدى عليه السلام إلا بعد فراقه، ومضى شيء من الزمان. هذا وقد أجمع علماء الإمامية على عدم النيابة والوساطة بين الإمام الحجة عزوجل في الغيبة الكبرى وبين الشيعة، وقد فصل الشيخ محمد سند عليه في ما نقله من إجماع علمائنا في ذلك<sup>(٢٩)</sup>.

ولذا من المهم التطرق إلى شيء من التفاصيل الواردة في علامه النداء، وعلامه السفيانى.

### علامة السفيانى

جاء في روايات متواترة من الخاصة وال العامة في خروجه قبل خروج المهدى عزوجل وفي الخسف بجيشه في البيداء، وتقدم بأنه من أحد العلامات الخمسة الحتمية. ومفاد مجموع من الروايات أن السفيانى من سلالة سفيان بن حرب بن أمية بن

عبد شمس، ولذا يقال له السفياني، وأن اسمه عثمان بن عنبسة<sup>(٣٠)</sup>، ويخرج في ظرف تسوده الفتنة والمحروب في المشرق والمغرب، ووقوع اختلاف على الحكم في بلاد إسلامية بعد موت حاكمها فيطمع في ثرواتها الطامعون، يخرج السفياني من منطقة من الشام يقال لها الوادي اليابس، بعد أن تخرج راياته في الشام يقع بينهما اختلاف ويحار بهما السفياني ويقضي على زعيميهما، ويملك الشام وفلسطين والأردن، وتناصره قبله كلب، ثم يبعث بسرية وجيش إلى العراق، ويحتمد فيها القتال ويغير على الكوفة ويسفك فيها الدماء، ويسلب وينهب، وفي طريق رجوعه تستدركه رايات سود من خراسان أو من البصرة، فتسترجع ما أخذ، وأن الرايات السود تنصر الإمام المهدى عليه السلام.

ويبعث السفياني سريةً وجيشاً آخرَ إلى المدينة المنورة، والإمام المهدى في بعض المرويات في المدينة، فيخرج إلى مكة قبل وصول جيش السفياني إلى المدينة، فإذا وصل المدينة سلب ونهب، فيسمع عن الإمام المهدى بكرة فيقصد التوجه إليه لمحاربته، غير أن هذا الجيش في طريقه إلى مكة يُخسفُ به في البيداء، والذي يقتل السفياني هو الإمام المهدى عليه السلام في بعض المرويات، وتذووم حكومة السفياني في الشام مدة ثمانية أشهر. وإليك مجموعة من الروايات تدل على ما ذكرته:

### خروجه من المحتوم

في صحيحه المعلى بن خنيس: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أمر السفياني من الأمر المحتوم...الخ»<sup>(٣١)</sup>. وفي معتبرة أبي حمزة الشمالي قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: إن خروج السفياني من الأمر المحتوم؟ قال (لي): نعم....الخ»<sup>(٣٢)</sup>. وتقدم ضمن العلامات الخمس الحتمية.

## في اسمه ونسبة وصفته

معتبرة عمر بن أذينة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «قال أبي عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ... وهو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجيه أثر جدري إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبواه عنبرة، وهو من ولد أبي سفيان حتى يأتي أرضاً ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها»<sup>(٣٣)</sup>. واعتبرة عمر بن يزيد قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنك لو رأيت السفياني لرأيت أخبث الناس، أشقر أحمر أزرق، يقول: يا رب ثاري ثاري ثم النار، وقد بلغ من خبشه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تدل عليه»<sup>(٣٤)</sup>. وروى حذل بن بشير قال: عن علي بن الحسين عليهما السلام: «.... ثم يخرج السفياني الملعون... وهو من ولد عتبة بن أبي سفيان...ألاع»<sup>(٣٥)</sup>.

## المكان الذي يأتي منه قبل خروجه

في رواية بشر بن غالب قال: «يقبل السفياني من بلاد الروم متنمراً في عنقه صليب وهو صاحب القوم»<sup>(٣٦)</sup>. فتدل هذه الرواية أنه متنصر غير مسلم، ولربما تحمل على أنه يحمل الأخلاق الانحلالية الغربية وأفكارها.

## الشهر الذي يخرج فيه

في صحيحه المعلى بن خنيس جاء فيها: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «.. وخروجه في رجب»<sup>(٣٧)</sup>.

## المكان الذي يخرج منه

معتبرة عمر بن أذينة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «قال: أبي عليه السلام: قال: أمير

المؤمنين عليهما السلام: يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس...الخ»<sup>(٣٨)</sup>. وفي رواية حذل بن بشير، عن علي بن الحسين عليهما السلام: «... ثم يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس..الخ»<sup>(٣٩)</sup>.

### مكان حكمه ومدته

رواية عبد الله بن أبي منصور البجلي قال: «سألت أبا عبد الله عليهما السلام عن اسم السفياني فقال: وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين<sup>(٤٠)</sup>، فتوقعوا عند ذلك الفرج، قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: لا ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً»<sup>(٤١)</sup>. وفي رواية محمد بن سلم قال: سمعت أبا عبد الله عليهما السلام يقول: «إن السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة، ثم قال عليهما السلام: أستغفر لله حمل جمل، وهو من الأمر المحظوم الذي لا بد منه»<sup>(٤٢)</sup>. ورواية عمار الذهني قال: قال أبو جعفر عليهما السلام: «كم تعدون بقاء السفياني فيكم؟ قال: قلت: حمل امرأة تسعة أشهر. قال: ما أعلمكم يا أهل الكوفة»<sup>(٤٣)</sup>.

### أحداث ما قبل خروجه

في رواية حذل بن بشر عن علي بن الحسين عليهما السلام: «... يكون قبل خروجه<sup>(٤٤)</sup> خروج رجل يقال له: عوف السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت، وقتله بمسجد دمشق ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند. ثم يخرج السفياني الملعون..الخ»<sup>(٤٥)</sup>. وفي رواية معاوية بن سعيد<sup>(٤٦)</sup>، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليهما السلام: «إذا اختلف رمحان بالشام فهو آية من آيات الله تعالى. قيل: ثم مه؟ قال: ثم رجفة تكون بالشام يهلك فيها مائة

ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذابا على الكافرين. فإذا كان ذلك فانتظروا إلى أصحاب البراذين الشهب<sup>(٤٧)</sup>، والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل الشام. فإذا كان ذلك فانتظروا خسفا بقرية من قرى الشام يقال لها "حرستا"<sup>(٤٨)</sup>، فإذا كان ذلك فانتظروا ابن آكلة الأكباد بوادي اليابس<sup>(٤٩)</sup>.

وجاء في ضمن رواية عمار بن ياسر: «ويتخالف الترك والروم، وتكثر الحروب في الأرض، وينادي مناد من سور دمشق: ويل لأهل الأرض من شر قد اقترب، ويختفي بغربي مسجدها حتى يخرب حائطها، ويظهر ثلاثة نفر بالشام كلهم يطلب الملك، رجل أبعق، ورجل أصهب، ورجل من أهل بيته أبي سفيان يخرج في كلب، ويحضر الناس بدمشق، ويخرج أهل الغرب إلى مصر فإذا دخلوا<sup>(٥٠)</sup> فتلك إمارة السفياني...الخ»<sup>(٥١)</sup>. وفي رواية جابر الجعفي عن الإمام الباقي عليه السلام جاء فيها: «وتختفي قرية من قرى الشام تسمى المحابية<sup>(٥٢)</sup>، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأئمين، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هرج الروم، وسيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، فتلك السنة - يا جابر - فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهاب، وراية الأبعق، وراية السفياني...الخ»<sup>(٥٣)</sup>.

وعن أرطاة قال: «إذا خسف بقرية من قرى دمشق، وسقطت طائفة من غربي مسجدها، فعند ذلك تجتمع الترك والروم يقاتلون جميعا، وترفع ثلاث رايات بالشام، ثم يقاتلهم السفياني حتى يبلغ بهم قرقيسيا»<sup>(٥٤)</sup>. وفي صحيح إسحاق بن عمارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا اختلفوا طمع الناس وتفرق الكلمة وخرج السفياني»<sup>(٥٥)</sup>.

## وقائعه عند خروجه

جاء في رواية جابر الجعفي عن الإمام الباقي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «.. فأول أرض تخرب أرض الشام، ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصحاب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتلون فيقتله السفياني ومن تبعه، ثم يقتل الأصحاب..الخ»<sup>(٥٦)</sup>. وروى نعيم بن حماد: أن محمد بن الحنفية قال: «إذا اختلفوا بينهم رفع بالشام ثلاث رايات راية الأبقع وراية الأصحاب وراية السفياني»<sup>(٥٧)</sup>. وعن حذيفة بن اليمان، أن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: -وقد ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب-، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق..الخ»<sup>(٥٨)</sup>.

وعن أرطاة قال: «إذا اجتمع الترك والروم، وخسف بقرية بدمشق، وسقط طائفة من غربي مسجدها، رفع بالشام ثلاث رايات الأبقع والأصحاب والسفياني، ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه، ويخرج رجلان من بني سفيان فيكون الظفر الثاني، فإذا أقبلت مادة الأبقع من مصر ظهر السفياني بجيشه عليهم فيقتل الترك والروم بقرقيسيا حتى تشبّع سباع الأرض من لحومهم»<sup>(٥٩)</sup>.

وفي المستدرك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة..الخ». وعقب الحاكم على الحديث بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيفيين ولم يخرج به»<sup>(٦٠)</sup>.

## السفياني يغیر على العراق والکوفة

في رواية جابر عن الباقر ع عليهما السلام بعد أن يقتل السفياني الأبعع، والأصحاب قال: «ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق، وير جيشه بقرقيسيا<sup>(٦)</sup>، فيقتلون بها فيقتل بها من المبارين مائة ألف، ويبعث السفياني جيشا إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفا، فيصيّبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسببا..الخ»<sup>(٦)</sup>. وفي بعض ما جاء من رواية عمار بن ياسر: «... ثم يسير إلى الكوفة فيقتل أعون آل محمد عليهما وآلهمه ويقتل رجلاً من مسميهم..الخ»<sup>(٦٣)</sup>.

وبعد أن يغیر على الكوفة، يثور ثائر من موالي أهل الكوفة بجماعة، لكنها ضعيفة فيقتلها أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة<sup>(٦٤)</sup>. وروى الحاكم النيسابوري في المستدرك عن الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: «يظهر السفياني على الشام ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسا، حتى تشبّع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم، ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم، فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفياني في طلب أهل خراسان، ويقتلون شيعة آل محمد عليهما وآلهمه بالکوفة، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي»<sup>(٦٥)</sup>. وجاء في رواية حذيفة: «فيبعث السفياني جيشين؛ جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة، وبالبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مئة امرأة، ويقتلون بها ثلث مئة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفترين، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلّي جيشه التالي

بالمدينة فينها ثلاثة أيام وليلها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضر بها برجله ضربة يخسف الله بهم»<sup>(٦٦)</sup>.

### السفياني يغري بمال لقتل الشيعة بالكوفة

ففي رواية عمر بن أبان الكلبي، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قَالَ: «كَأَنِّي بِالسَّفِيَّانِي أَوْ لِصَاحِبِ السَّفِيَّانِي قَدْ طَرَحَ رَحْلَهُ فِي رَحْبَتِكُمْ بِالْكُوفَةِ، فَنَادَى مَنَادِيهِ: مَنْ جَاءَ بِرَأسِ رَجُلٍ مِّنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ فَلَهُ أَلْفُ دَرْهَمٍ، فَيَشِبُّ الْجَارُ عَلَى جَارٍ يَقُولُ: هَذَا مِنْهُمْ، فَيَضْرِبُ عَنْقَهِ وَيَأْخُذُ أَلْفَ دَرْهَمٍ»<sup>(٦٧)</sup>.

### خروج الرايات التي من خراسان

تخرج عند غارة السفياني بالكوفة، ففي رواية جابر عن الباقي عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «فِي صَبَّابِيُّونَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قُتِلَا وَصُلِّبَا وَسُبِّيَا، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتِ رَايَاتٍ مِّنْ قَبْلِ خَرَاسَانَ، وَتَطَوَّيَ الْمَنَازِلُ طِيَّا حَتَّى ثَبَّا، وَمَعَهُمْ نَفْرٌ مِّنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ»<sup>(٦٨)</sup>. وعن جابر، عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: «تَنَزَّلُ الرَايَاتُ السُّودُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ خَرَاسَانَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَإِذَا ظَهَرَ الْمَهْدِي عَلَيْهِ الْكَلَمُ بَعْثَ إِلَيْهِ بِالْبَيْعَةِ»<sup>(٦٩)</sup>.

### السفياني يبعث سرية أو جيشاً إلى المدينة ثم يخسف به في البيداء

في رواية جابر الجعفي عن الباقي عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «وَيَبْعَثُ السَّفِيَّانِي بَعْثًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَيُنْفِرُ الْمَهْدِيَّ مِنْهَا إِلَى مَكَةَ، فَيَبْلُغُ أَمِيرُ جَيْشِ السَّفِيَّانِيَّ أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَدْ خَرَجَ إِلَى مَكَةَ، فَيَبْعَثُ جَيْشًا عَلَى أَثْرِهِ فَلَا يَدْرِكُهُ حَتَّى يَدْخُلَ مَكَةَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ عَلَى سَنَةِ مُوسَى بْنِ عُمَرَانَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ. وَقَالَ: فَيَنْزَلُ أَمِيرُ جَيْشِ السَّفِيَّانِيَّ الْبَيَادَءَ فَيَنَادِي مَنَادِيَ مِنَ السَّمَاءِ:

يا بيداء، بيدي القوم، فيخسف بهم، فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر، يحول الله وجههم إلى أفقيتهم، وهم من كلب...الخ»<sup>(٧٠)</sup>. وفي رواية الحاكم عن أبي هريرة جاء فيها: «ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة، فيبلغ السفياني فيبعث إليه جندا من جنده، فيهزهم فيسير إليه السفياني بن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم». وعقب الحاكم على الحديث بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيختين ولم يخرجاه<sup>(٧١)</sup>.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «يابايع لرجل من أمتي بين الركن والمقام، كعدة أهل بدر، فيأتيه عصب العراق وأبدال الشام، فيأتיהם جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، ثم يسير إليه رجل من قريش أخوه كلب، فيهزهم الله، قال: وكان يقال إن الخائب يومئذ من خاب من غنيمة كلب»<sup>(٧٢)</sup>. ورواية قتادة يرفعها إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة فيأتي مكة، فيستخرجه الناس من بيته وهو كاره، فيباعونه بين الركن والمقام، فيبعث إليه جيش من الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فيأتيه عصائب العراق وأبدال الشام فيباعونه، فيستخرج الكنوز، ويقسم المال، ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض..الخ»<sup>(٧٣)</sup>.

### الأمر بالتوجه إلى الحجة عند خروج السفياني

صحيحه سدير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا سدير، ألزم بيتك، وكن حلسا من أحلاسه،<sup>(٧٤)</sup> واسكن ما سكن الليل والنهر، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك»<sup>(٧٥)</sup>.

ورواية الفضل الكاتب جاء فيها عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تبرح الأرض

يا فضل حتى يخرج السفياني، فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا يقولها ثلثا وهو من المحتوم»<sup>(٧٦)</sup>. وفي ضمن رواية عمار بن ياسر: «وإذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فالمحقوا بعكة، فعند ذلك تقتل النفس الزكية، وأخوه بعكة ضيعة، فينادي مناد من السماء أيها الناس إن أميركم فلان، وذلك هو المهدى الذى يلأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا»<sup>(٧٧)</sup>.

وقتل النفس الزكية ليس من قبل السفياني كما جاء في صحيفة زراره عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «يا زراره لابد من قتل غلام بالمدينة، قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفياني؟ قال: لا، ولكن يقتله جيش آل بني فلان يجيء حتى يدخل المدينة، فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغيا وعدوانا وظلما لا يهلون، فعند ذلك تَوَقَّعُ الفرج إن شاء الله»<sup>(٧٨)</sup>.

ولا توجد فاصلة كبيرة بين قتل النفس الزكية وبين ظهور الحجة كما في خبر صالح مولى بنى العذراء قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ يقول: «ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمسة عشر ليلة»<sup>(٧٩)</sup>.

### علامة النداء

تضافرت الروايات من الفريقين في علامة النداء، وأنه سوف يكون في شهر رمضان<sup>(٨٠)</sup>. وسوف يكون النداء في ليلة القدر ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان، وتكون ليلة جمعة، ينادي جبرئيل في السماء باسم الإمام المهدي وباسم أبيه، وأنه هو إمام الناس ولـي يجب عليهم إتباعه، ينادي جبرئيل بصوت يسمعه جميع البشر من كان في المشرق ومن كان في المغرب، ولا يبقى أحد من الناس لا يسمعه، وكل يسمعه بلغته، ومن كان نائماً يستيقظ ويسمعه، بل ويخرج إلى سطح

داره، وتسمعه كل فتاة ولو كانت في خدرها.

فما أعظم هذه العلامة وهذا النداء، فلا يبقى عذر لمن يدعى النيابة أو الاتصال بالنائب في عدم صحة دعوه قبل هذه العلامة، وقد يخادع بعضُ بَأْنَ النَّدَاءِ قَدْ تَحَقَّقَ، ولكن الناس لم يسمعوا أو سمعوه ولم يعتنوا به فهم غافلون عنه، ولكن أكذوبة هذا المخادع تتضح بلاحظة كيفية النداء على ما جاء من الروايات على ما سيوافيك، وملحوظة مضمون النداء، وجاء في بعض الروايات التعبير عن صوت النداء بالفرعة، والحمد لله الذي لم يجعل للمبطلين سبيلاً على الاحتيال. وسوف يكون بعد هذا النداء نداء من إبليس ينادي في الأرض لا في السماء في آخر النهار أن الحق مع عثمان وشيعته فيقع الارتياح. وسوف يظهر الإمام المهدى عليه السلام بعد هذا النداء في شهر محرم الحرام في العاشر منه، ويوافق يوم السبت من أيام الأسبوع، مما بين الصيحة وخروج القائم عليه السلام ما يقارب مائة وستة أيام.

ويفهم من بعض الروايات أن هناك نداء آخر لجبرئيل في أول النهار، ينادي أن الإمام علي عليه السلام وشيعته هم الفائزون، ويكون هذا النداء بعد ندائيه الأول، وقبل نداء إبليس في آخر النهار، قبل خروج الحجة، وفي بعض الروايات ينادي جبرئيل عند خروج الإمام المهدى عليه السلام في محرم. غير أن القدر المتيقن من نداء جبرئيل هو نداءه في ليلة الجمعة ليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان، ثم في شهر محرم يظهر الإمام المهدى في العاشر منه يوافق يوم سبت في مكة المكرمة.

**وإليك بعض الروايات الدالة على ما تقدم:**

منها ما رواه الشيخ الصدوق بسند عن الإمام الباقي عليه السلام في حديث جاء في آخره: «وإن من علامات خروجه: خروج السفياني من الشام، وخروج اليماني من

اليمن، وصحية من السماء في شهر رمضان، ومناد ينادي من السماء باسمه واسم أبيه<sup>(٨١)</sup>. ومنها رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء في آخرها: «وإن من علامات خروجه: خروج السفياني من الشام، وخروج اليماني (من اليمن)، وصحية من السماء في شهر رمضان، ومناد ينادي من السماء باسمه واسم أبيه»<sup>(٨٢)</sup>.

عطف النداء على الصيحة في هاتين الروايتين يبدو أنه عطف تفسيري بقرينة ما يأتي من الأخبار. ومنها معتبرة الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان»<sup>(٨٣)</sup>.

ومنها: رواية وهب بن حفص عن أبي بصير: قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن القائم صلوات الله عليه ينادي اسمه ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم يوم عاشوراء يوم قتل فيه الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٨٤)</sup>. ومنها رواية العلوي بن خنيس، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «صوت جبرئيل من السماء، وصوت إيليس من الأرض، فاتبعوا الصوت الأول، وإياكم والأخير أن تفتتنوا به»<sup>(٨٥)</sup>.

ومنها رواية أخرى لأبي بصير بسند آخر جاء فيها: «ولا يخرج القائم حتى ينادي باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة الجمعة. قلت: بم ينادي؟ قال: باسمه واسم أبيه، ألا إن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه، فلا يبقى شيء من خلق الله فيه الروح إلا يسمع الصيحة، فتوظف النائم ويخرج إلى صحن داره، وتخرج العذراء من خدرها، ويخرج القائم مما يسمع، وهي صيحة جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٨٦)</sup>. ومنها ما جاء في رواية لأبي بصير عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان، لأن شهر رمضان شهر الله، والصيحة فيه هي صيحة جبرئيل إلى هذا الخلق، ثم قال: ينادي مناد من السماء باسم القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيسمع من بالشرق ومن بالغرب، لا يبقى راقد إلا استيقظ، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه فرعا من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب، فإن الصوت الأول هو صوت جبرئيل الروح الأمين عليه السلام. ثم قال عليه السلام: يكون الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة ليلة ثلات وعشرين فلا تشکوا في ذلك، واسمعوا وأطیعوا، وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس اللعين ينادي: «ألا إن فلانا قتل مظلوما ليشكك الناس ويفتنهم، فكم في ذلك اليوم من شاك متحير قد هو في النار، فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشکوا فيه أنه صوت جبرئيل، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه عليهما السلام حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرض أباها وأخاها على الخروج، وقال: لا بد من هذين الصوتين قبل خروج القائم عليهما السلام»<sup>(٨٧)</sup>.

ومنها ما جاء في رواية عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليهما السلام وهو يعدد العلامات، قال: «وفزعة في شهر رمضان توقيظ النائم، وتفرع اليقظان، وتخراج الفتاة من خدرها»<sup>(٨٨)</sup>. ومنها ما في رواية عبيدة بن ربعي الأسدية عن أمير المؤمنين عليهما السلام وهو يخبر بالعلامات جاء في آخرها: قال: «قتل نفس حرام، في يوم حرام، في بلد حرام، عن قوم من قريش، والذي فلق الحبة وبرئ النسمة ما لهم ملك بعده غير خمس عشرة ليلة. قلنا: هل قبل هذا أو بعده من شيء؟ فقال: صيحة في شهر رمضان تفرع اليقظان، وتوقيظ النائم، وتخراج الفتاة من خدرها»<sup>(٨٩)</sup>.

ومنها رواية ميمون البان قال: كنت عند أبي جعفر عليهما السلام في فسطاطه فرفع جانب الفسطاط فقال: «إن أمرنا قد كان أبين من هذه الشمس»، ثم قال: ينادي مناد من السماء فلان بن فلان هو الإمام باسمه، وينادي إبليس له عليهما السلام من الأرض كما نادى برسول الله عليهما السلام ليلة العقبة»<sup>(٩٠)</sup>.

ومنها صحيحة زرارة عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قَالَ: «ينادي مناد باسم القائم عَلَيْهِ الْكَلَمُ، قلت: خاص أو عام؟ قال: عام يسمع كل قوم بلسانهم، قلت: فمن يخالف القائم عَلَيْهِ الْكَلَمُ وقد نودي باسمه؟ قال: لا يدعهم إيليس حتى ينادي<sup>(٩١)</sup> ويشكك الناس»<sup>(٩٢)</sup>. ومنها رواية الحسن بن زياد الصيقيل قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عَلَيْهِ الْكَلَمُ يقول: «إن القائم لا يقوم حتى ينادي مناد من السماء تسمع الفتاة في خدرها ويسمع أهل المشرق والمغرب»<sup>(٩٣)</sup>. منها: عن أبي بصير قال: قال: أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ: يخرج القائم عَلَيْهِ الْكَلَمُ يوم السبت يوم عاشورا يوم الذي قتل فيه الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ<sup>(٩٤)</sup>. منها: عن علي بن مهزيار قال: قال أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «كأني بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائما بين الركن والمقام، بين يديه جبرئيل عَلَيْهِ الْكَلَمُ ينادي: البيعة لله، فيما لأها عدلا كما ملئت ظلما وجورا».

### وروايات من طرق العامة:

منها رواية فيروز الديلمي، قال: قال رسول الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يكون في رمضان صوت قالوا: يا رسول الله في أوله أو في وسطه أو في آخره؟ قال: لا بل في النصف من رمضان، إذا كان ليلة النصف ليلة الجمعة يكون صوت من السماء يصعق له سبعون ألفا، ويختفي سبعون ألفا، ويعمى سبعون ألفا، ويصم سبعون ألفا، قالوا: يا رسول الله فمن السالم من أمتك؟ قال: من لزم بيته، وتعود بالسجود، وجهه بالتكبير لله، ثم يتبعه صوت آخر، والصوت الأول صوت جبريل، والثاني صوت الشيطان، فالصوت في رمضان، وللمعنة في شوال، وتقييز القبائل في ذي القعدة، ويغمار على الحاج في ذي الحجة، وفي الحرم وما الحرم أوله بلاء على أمتي وأخره فرح لأمتى، الراحلة في ذلك الزمان بقتبها ينجو عليها المؤمن خير له من دسكة تغل مائة ألف»<sup>(٩٥)</sup>.

عن مسلمة بن أبي سلمة عن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله ﷺ: «في الحرم ينادي مناد من السماء؛ ألا إن صفوة الله من خلقه فلانا فاسمعوا له وأطيعوا، في سنة الصوت والممعنة»<sup>(٩)</sup>. وعن الحارث عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إذا كان صيحة في رمضان فإنها تكون ممعنة في شوال، وتميز القبائل في ذي القعدة، وتسفك الدماء في ذي الحجة، والحرم وما الحرم (يقولها ثلاثا) هيئات هيئات يقتل الناس فيها هرجا هرجا، قال: قلنا: وما الصيحة يا رسول الله؟ قال هذه تكون في نصف من رمضان، يوم جمعة ضحى، وذلك إذا وافق شهر رمضان ليلة الجمعة تكون هدة توقظ النائم، وتقعد القائم، وتخرج العوائق من خدورهن في ليلة الجمعة سنة كثيرة الزلازل والبرد، فإذا وافق رمضان في تلك السنة ليلة الجمعة فإذا صليتم الفجر يوم الجمعة في النصف من رمضان فادخلوا بيوتكم، وسددوا كواكم، ودثروا أنفسكم، وسدوا آذانكم، فإذا أحسستم بالصيحة فخرروا الله سجدا وقولوا سبحان القدوس سبحان القدوس ربنا القدوس فإنه من فعل ذلك نجا ومن ترك هلك»<sup>(١٧)</sup>. ونفس هذه الحديث يرويه نعيم بن حماد بسنده عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ<sup>(١٨)</sup>.

وعن أبي هريرة قال: «في رمضان هدة توقظ النائم وتخرج العوائق من خدورها، وفي شوال مهمتها، وفي ذي القعدة تمسي القبائل بعضها إلى بعض، وفي ذي الحجة تهراق الدماء، وفي الحرم وما الحرم يقولها ثلاثا، قال وهو عند انقطاع ملك هؤلاء»<sup>(١٩)</sup>.

وفي بعض روایاتهم تشير إلى أن النداء يكون باسم الحجة، مثل رواية طلحة بن عبيد الله عن النبي ﷺ، قال: «ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاش منها جانب، حتى ينادي مناد من السماء إن أميركم فلان»<sup>(٢٠)</sup>. وروى نعيم بسنده عن الإمام علي عليه السلام قال: «إذا نادى مناد من السماء إن الحق في آل محمد فعند ذلك

يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه ولا يكون لهم ذكر غيره»<sup>(١٠١)</sup>. وروى عن الإمام علي عليه السلام أيضاً أنه قال: «بعد الخسف ينادي مناد من السماء إن الحق في آل محمد في أول النهار، ثم ينادي مناد في آخر النهار إن الحق في ولد عيسى، وذلك نحوه من الشيطان»<sup>(١٠٢)</sup>.

وروى نعيم بسنده عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: «إذا قتل النفس الزكية، وأخوه يقتل بعكة ضيعة، نادى مناد من السماء إن أميركم فلان، وذلك المهدي الذي يلأ الأرض حقاً وعدلاً»<sup>(١٠٣)</sup>. ونقلوا عن سعيد بن المسيب أنه قال: «تكون فتنة بالشام كان أولاً لها لعب الصبيان، تطفو من جانب وتسكن من جانب، فلا تنتهي حتى ينادي مناد إن الأمير فلان. ويُقبل ابن المسيب بيدها منتفضتين ثم يقول: ذلكم الأمير حقاً ذلكم الأمير حقاً»<sup>(١٠٤)</sup>. وروى نعيم بن حماد عن سعيد بن المسيب أيضاً أنه قال: «تكون بالشام فتنة كلما سكنت من جانب طمت من جانب، فلا تنتهي حتى ينادي مناد من السماء إن أميركم فلان»<sup>(١٠٥)</sup>.

وجاء في بعض روایات الحاصة أن النداء يكون حين الظهور كما في رواية الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عليه السلام، جاء فيها وصف للحجۃ في آخر الزمان، قال: «وهو الذي تطوى له الأرض ولا يكون له ظل، وهو الذي ينادي مناد من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه: ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيته فاتبعوه، فإن الحق معه وفيه، وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَأْنَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا حَاضِرِينَ﴾»<sup>(١٠٦)</sup>.

و عن طارق بن شهاب قال: سمعت حذيفة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا كان عند خروج القائم ينادي مناد من السماء أيها الناس قطع عنكم مدة الجبارين، وولي الأمر خير أمة محمد فالحقوا بعكة، فيخرج النجباء من مصر،

والأبدال من الشام، وعصائب العراق، رهبان بالليل ليوث بالنهار، كأن قلوبهم زبر الحديد، فيباعونه بين الركن و المقام»<sup>(١٠٧)</sup>. وفي بعضها أن النداء يكون بفوز أمير المؤمنين علي عليهما السلام وشيعته نظير: رواية الحلبـي قال: سمعت أبا عبد الله عليهما السلام يقول: «اختلاف بنـي العباس من المحتوم، والنـداء من المـحتوم وخروج القـائم من المـحتوم، قـلت: وكـيف النـداء؟ قال: يـنادي منـاد من السـماء أـول النـهار: أـلا إـن عـثمان وشـيعـته هـم الفـائزـون، قال: وـينـادي منـاد في آخر النـهـار: أـلا إـن عـثمان وشـيعـته هـم الفـائزـون»<sup>(١٠٨)</sup>. وجـاء في مـعتبرـة أبي حـمـزة الشـمـالي: «فـقلـتـ لهـ: كـيفـ يـكونـ ذـلـكـ النـداءـ؟ـ قالـ: يـنـاديـ منـادـ منـ السـماءـ أـولـ النـهـارـ:ـ أـلاـ إـنـ الـحـقـ فـيـ عـلـيـ وـشـيعـتهـ،ـ ثـمـ يـنـاديـ إـبـلـيسـ لـعـلـلـهـ فـيـ آخـرـ النـهـارـ:ـ أـلاـ إـنـ الـحـقـ فـيـ السـفـيـانـيـ وـشـيعـتهـ،ـ فـيـرـتـابـ عـنـ ذـلـكـ الـبـطـلـونـ»<sup>(١٠٩)</sup>. وفي سـندـ آخـرـ لـلـشـيـخـ عـنـ أـبـيـ حـمـزةـ الـبـطـائـيـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ عـلـيـهـ السـلامـ قـالـ: «خـروـجـ الـقـائـمـ مـنـ الـمـحتـومـ،ـ قـلـتـ:ـ وـكـيفـ يـكـونـ النـداءـ؟ـ قـالـ:ـ يـنـاديـ منـ السـماءـ أـولـ النـهـارـ:ـ أـلاـ إـنـ الـحـقـ فـيـ عـلـيـ وـشـيعـتهـ،ـ ثـمـ يـنـاديـ إـبـلـيسـ لـعـلـلـهـ فـيـ آخـرـ النـهـارـ:ـ أـلاـ إـنـ الـحـقـ فـيـ عـشـمانـ وـشـيعـتهـ،ـ فـعـنـدـ ذـلـكـ يـرـتـابـ الـبـطـلـونـ»<sup>(١١٠)</sup>.

وفي رواية داود بن فرقـدـ المـضـمرـةـ:ـ قـالـ:ـ سـمعـ رـجـلـ مـنـ الـعـجـلـيـةـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ قـولـهـ:ـ «ـيـنـاديـ منـادـ أـلاـ إـنـ فـلـانـ بـنـ فـلـانـ وـشـيعـتهـ هـمـ الـفـائزـونـ أـولـ النـهـارـ وـيـنـاديـ آخـرـ النـهـارـ أـلاـ إـنـ عـشـمانـ وـشـيعـتهـ هـمـ الـفـائزـونـ،ـ قـالـ:ـ وـيـنـاديـ أـولـ النـهـارـ مـنـادـيـ آخـرـ النـهـارـ فـقـالـ الرـجـلـ:ـ فـمـاـ يـدـرـيـنـاـ أـيـاـ الصـادـقـ مـنـ الـكـاذـبـ؟ـ فـقـالـ:ـ يـصـدقـهـ عـلـيـهـاـ مـنـ كـانـ يـؤـمـنـ بـهـاـ قـبـلـ أـنـ يـنـاديـ،ـ إـنـ اللـهـ عـزـوجـلـ يـقـولـ:ـ «ـأـفـمـنـ يـهـدـيـ إـلـىـ الـحـقـ أـحـقـ أـنـ يـتـبـعـ أـمـنـ لـأـ يـهـدـيـ إـلـاـ أـنـ يـهـدـيـ»ـ الآـيـةـ»ـ<sup>(١١١)</sup>.

ويـكـنـ أـنـ يـجـمـعـ بـيـنـ هـذـهـ الـأـخـبـارـ وـأـخـبـارـ كـوـنـ النـداءـ باـسـمـ إـلـمـامـ الـمـهـدـيـ عـلـيـهـ السـلامـ بـتـعـدـ النـداءـ أـوـ بـجـمـعـ آخـرـ،ـ وـمـاـ يـشـهـدـ عـلـىـ تـعـدـ النـداءـ رـوـاـيـةـ لـزـرـارـةـ بـنـ أـعـيـنـ،ـ قـالـ:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ينادي مناد من السماء: إن فلانا هو الأمير، وينادي مناد: إن عليا وشيعته هم الفائزون، قلت: فمن يقاتل المهدى بعد هذا؟ فقال: إن الشيطان ينادي: إن فلانا وشيعته هم الفائزون لرجل من بنى أمية، قلت: فمن يعرف الصادق من الكاذب؟ قال: يعرفه الذين كانوا يرون حديثنا، ويقولون: إنه يكون قبل أن يكون، ويعلمون أنهم هم المحقون الصادقون»<sup>(١٢)</sup>. بناء على أن قوله إن فلانا أميركم المراد به المهدى، ثم ينادي مرة أخرى إن عليا وشيعته هم الفائزون.  
اللهم لا تحرمنا نصرة وليك الحجة بن الحسن سلام الله عليه، والحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

- (١) التوبة/٣٣.
- (٢) الفتح/٢٨.
- (٣) الصف/٩.
- (٤) أنظر تفسير التبيان، ج ٥، ص ٢٠١.
- (٥) اصول الكافي، ج ١، ص ٤٣٢.
- (٦) الاعتقادات، ص ٩٥.
- (٧) كمال الدين وقام النعمة باب ما أخبر به الصادق عليه السلام من وقوع العيبة ص ٣٤٢، وفي حديث آخر عنه أيضا ص ٣٤٦.
- (٨) كمال الدين وقام النعمة، ص ٤٨٢.
- (٩) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٤٩، ح ٣.
- (١٠) انظر الكافي ج ٨، ص ٣٠٨ - ٣٠٩، حديث رقم ٤٨١.
- (١١) الكافي، ج ٨، ص ٣٠١ حديث رقم ٤٨٢.
- (١٢) البقرة/٨٩.

- (١٣) تفسير التبيان ج ١، ص ٣٤٤، الكشاف ج ١، ص ٢٩٦.
- (١٤) قال الطبرسي في الاحتجاج عن كرامات النواب للحجۃ: ولم تقبل الشیعة قولهم إلا بعد ظهور آیة معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر علیہ السلام تدل على صدق مقالتهم، وصحة بابيتهم. كتاب الاحتجاج، ج ٢ ص ٢٩٧.
- (١٥) کمال الدین وقام النعمة ص ٦٥٠، ح ٧، وروى الحدیث الشیخ الكلینی بسند صحیح عن محمد بن یحیی العطار، عن أَمْرَ بْنِ عَمِیْسَی، عن عَلَیْ بْنِ الْحَکَمِ، عن أَبِی أَیُوبِ الْخَرَازِ عن عمر بن حنظلة، ورواها أيضا الشیخ الطوسي في الغيبة ص ٤٣٦، حديث رقم ٤٢٧، والنعماني في كتابه الغيبة، ص ٢٦١.
- (١٦) کمال الدین وقام النعمة، ص ٦٤٩ ح ١.
- (١٧) کمال الدین وقام النعمة، ص ٦٥٢، حديث رقم ١٤، الباب السابع والخمسون.
- (١٨) كتاب الغيبة، ص ٤٣٥، ح ٤٢٥.
- (١٩) غيبة النعماني، ص ٣٠١، ح ٦، باب ما جاء في المنع والتوقیت.
- (٢٠) غيبة النعماني، ص ٢٦٢، ح ١١ باب ما جاء في العلامات التي تكون قبل قیام القائم علیہ السلام.
- (٢١) غيبة النعماني، ص ٢٦٦، ح ١٥.
- (٢٢) بحار الأنوار، ج ٢٠٢، ص ٣١٢ إلى ٣١٢.
- (٢٣) کمال الدین وقام النعمة، ص ٥١٦، باب الخامس والأربعون ذكر التوقیعات.
- (٢٤) أمالی الصدوق، ص ٥٢٠، تحت عنوان المحسن البصري يذكر مناقب علیہ السلام، الحديث الثاني.
- (٢٥) كتاب التوحید للشیخ الصدوق، ص ١٣٦، تحت عنوان بيانه في كونه تعالى، وكتاب الخصال ص ١١٠، حدث ٨٢، وفي ص ٦٥٠ في عنوان علم رسول الله علیہ السلام حدیث ٤٧، وفي كتاب کمال الدین وقام النعمة ص ٧٠، تحت عنوان اعتراض آخر للزیدیة ودفعه، وفي ص ٨٦ تحت عنوان شبہات للمخالفین للغيبة ودفعها، وفي كتاب معانی الأخبار ص ١١٩، باب معنی الفتنة والمروءة. الحديث الأول، وفي ص ٤٠٢ باب معنی نوادر المعانی، حديث ٦٧. ولكن على الظاهر لا قائل باتحاد الرجلین.

- (٢٦) كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق، ص ٤٦.
- (٢٧) كتاب الغيبة ص ٣٩٥ تحت عنوان ذكر أمر أبي الحسن علي بن محمد السمرى.
- (٢٨) الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ٢٩٧.
- (٢٩) انظر كتاب فقه علائم الظهور.
- (٣٠) وفي بعض روایات العامة اسم آخر.
- (٣١) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥٠، في الحديث الخامس وبطريق آخر في الحديث الخامس عشر.
- (٣٢) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥٢، الغيبة، ص ٤٣٥، ح ٤٢٥.
- (٣٣) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥١، ح ٩.
- (٣٤) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥١، ح ١٠.
- (٣٥) الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٤٤٣-٤٤٤ ح ٤٣٧
- (٣٦) الغيبة ص ٤٦٤، ح ٤٧٨.
- (٣٧) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥٠، في الحديث الخامس وبطريق آخر في الحديث الخامس عشر.
- (٣٨) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥١، ح ٩.
- (٣٩) الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٤٤٣-٤٤٤ ح ٤٣٧
- (٤٠) في لسان العرب لسان العرب، ج ٥، ص ١١٨: المُجوهري في ترجمة قسر وقنسرون بلد بالشام، وفي معجم البلدان: قال أبو المنذر: سميت قسرين لأن مسيرة بن مسروق العبسي مر عليها فلما نظر إليها قال: ما هذه فسميت له بالروميه، فقال: والله لكانها قنْ تَسْرَ. فسميت قنسرين. معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٠٣.
- (٤١) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥٢، ح ١١.
- (٤٢) الغيبة للشيخ ص ٤٤٩-٤٥٠، ح ٤٥٢.
- (٤٣) الغيبة للشيخ، ص ٤٦٢، ح ٤٧٧.
- (٤٤) عود الضمير على الإمام المهدي بقتضي سياق الحديث المذوق.

- (٤٥) الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٤٤٣-٤٤٤ ح ٤٣٧.
- (٤٦) في غيبة النعماني: المغيرة بن سعيد وهو من أصحاب الإمام الباقي عليه السلام.
- (٤٧) هو من الخيل الذي أبواه أعمجيان والأنشى بردونة، والجمع براذين.
- (٤٨) في نسخ الأصل لكتاب المغيبة: خرثنا، وهو بلد قرب ملطية من بلاد الروم، وما في المتن كما في كتابي الإشاعة: ٩١ ولوامع الأنوار البهية: ٢ / ٧٧، وحرستا بالتحريك وسكون السين: قرية كبيرة عاصرة في وسط بساتين دمشق على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ (مراصد الاطلاع) من محقق كتاب الغيبة.
- (٤٩) الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٤٦١، ح ٤٧٦.
- (٥٠) قال محقق الكتاب في ثلاث نسخ بدل إذا دخلوا كتب (إذا رحلوا).
- (٥١) الغيبة، ص ٤٦٣ - ٤٦٤، ح ٤٧٩، وروى هذا الحديث أبو عمرو القرئ الداني متوفى سنة ٤٤٤هـ في كتابه السنن الواردة في الفتنة، ج ٤، ص ٩٣٦ - ٩٣٧، ح ٤٩٧ مع اختلاف يسير في أواخره.
- (٥٢) الجابية: قرية من أعمال دمشق، ثم من عمل الجيدور من ناحية جولان قرب مرج الصفر.
- (٥٣) غيبة النعماني، ص ٢٨٨ - ٢٩٠، ح ٦٧.
- (٥٤) الفتنة لنعيم بن حماد ص ٢٢٠، ح ٦١١.
- (٥٥) الكافي للكليني، ج ٨، ص ٢٠٩، ح ٢٥٤.
- (٥٦) غيبة النعماني، ص ٢٨٨ - ٢٩٠، ح ٦٧.
- (٥٧) الفتنة لنعيم بن حماد، نشر مكتبة التوحيد القاهرة، ص ٢٨٦.
- (٥٨) تفسير الطبرى، ج ٢٢، ص ١٠٧.
- (٥٩) الفتنة لنعيم ص ٢٨٥، ح ٨٣٣.
- (٦٠) نفس المصدر السابق ج ٤، ص ٥٦٥، ح ٨٥٨٦.
- (٦١) قرقيسية: بلد على المخابور، وهي على الفرات.
- (٦٢) غيبة النعماني، ص ٢٨٨ - ٢٩٠، ح ٦٧.

- (٦٣) الغيبة، ص ٤٦٣ - ٤٦٤، ح ٤٧٩، وروى هذا الحديث أبو عمرو المقرئ الداني متوفى سنة ٤٤٤هـ في كتابه السنن الواردة في الفتنة، ج ٤، ص ٩٣٦ - ٩٣٧، ح ٤٩٧ مع اختلاف يسير في أواخره.
- (٦٤) انظر مقطع من روایة جابر الجعفی في غيبة النعمانی، ص ٢٨٨ - ٢٩٠، ح ٦٧.
- (٦٥) المستدرک على الصحيحین نشر دار الكتب العلمیة، ج ٤، کتاب الفتنة والملامح، ص ٥٤٧، ح ٨٥٣٠.
- (٦٦) تفسیر الطبری، ج ٢٢، ص ١٠٧.
- (٦٧) غيبة الشیخ، ص ٤٥٠، ح ٤٥٣.
- (٦٨) غيبة النعمانی، ص ٢٨٨ - ٢٩٠، ح ٦٧.
- (٦٩) غيبة للشیخ، ص ٤٥٢، ح ٤٥٧.
- (٧٠) غيبة النعمانی، ص ٢٨٨ - ٢٩٠، ح ٦٧.
- (٧١) نفس المصدّر السابق ج ٤، ص ٥٦٥، ح ٨٥٨٦.
- (٧٢) المستدرک على الصحيحین ج ٤ کتاب الفتنة والملامح، ص ٤٧٨، ح ٨٣٢٨، وأخرج الحديث الطبرانی في المعجم الكبير، ج ٢٣، ص ٢٩٥، ح ٦٥٦، وفي نفس المجزء ص ٣٨٩، ح ٩٣٠، وفیه أيضاً ص ٣٩٠، ح ٩٣١، وفي المعجم الأوسط، ج ٩، ص ١٧٦، ح ٩٤٥٩، ومسند أبي يعلى ج ١٢، ص ٣٦٩، ح ٦٩٤٠، ومسند إسحاق بن راهويه، ج ٤، ص ١٢٢، ح ١٨٨٨.
- (٧٣) مصنف عبد الرزاق، ج ١١، ص ٣٧١ ح ٣٧٦٩.
- (٧٤) أي لا تبرح قال الجوھري: أحلاس البيوت: ما يبسط تحت حر الشیاب.
- (٧٥) الكافی، ج ٨، ص ٢٦٤ - ٢٦٥، ح ٣٨٣.
- (٧٦) الكافی، ج ٨، ص ٢٧٤، ح ٤١٢.
- (٧٧) الغيبة، ص ٤٦٣ - ٤٦٤، ح ٤٧٩، وروى هذا الحديث أبو عمرو المقرئ الداني متوفى سنة ٤٤٤هـ في كتابه السنن الواردة في الفتنة، ج ٤، ص ٩٣٦ - ٩٣٧، ح ٤٩٧ مع اختلاف يسير في أواخره.

- (٧٨) أصول الكافي، ج ١، ص ٣٣٧، باب الغيبة حديث رقم ٥، وهذه الصحيحة على خلاف جملة من روایات العامة على أن الذي يقتل النفس الزكية هو السفياني انظر كتاب الفتنة لنعميم، ج ١، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.
- (٧٩) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٤٩، وفي كتاب الإرشاد للشيخ المفید، ج ٢، ص ٣٧٤، وفي كتاب الغيبة للشيخ بسند آخر إلى ثعلبة ثم بقية السند هنا. ص ٤٤٥، ح ٤٤٠.
- (٨٠) إلى هنا تتفق روایات السنة وال العامة وأما في التفصيات الأخرى فيوجد في بعضها اختلاف بين روایات العامة في الغالب وبين روایات الخاصة، راجع كتاب عقد الدرر في أخبار المهدى المنظر ليوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزیز المقدسي الشافعی السلمی، الفصل الثالث في الصوت والمدة والمعنة والحوادث، ص ١٣٩.
- (٨١) كمال الدين وقام النعمة، ص ٣٢٧، ح ٧، الباب الثاني والثلاثون ما أخبر به الباقر علیه السلام من وقوع الغيبة.
- (٨٢) كمال الدين وقام النعمة، ص ٣٢٨.
- (٨٣) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥٠، ح ٦ الباب السابع والخمسون علامات خروج القائم علیه السلام، وفي الحديث رقم ١٦ نفس الحديث مع اختلاف في الإسناد.
- (٨٤) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٤٥٢، ح ٤٥٨، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية.
- (٨٥) كمال الدين وقام النعمة ص ٦٥٢، ح ١٣.
- (٨٦) غيبة النعماني: ص ٣٠١، حديث رقم ٦، باب ما جاء في المنع والتوقیت والتسمیة لصاحب الأمر علیه السلام.
- (٨٧) كتاب الغيبة للنعماني، ص ٢٦٢، ح ١٣، باب ما جاء في العلامات التي تكون قبل قيام القائم.
- (٨٨) كتاب الغيبة للنعماني، ص ٢٦٢، ح ١١.
- (٨٩) الغيبة للنعماني، ص ٢٦٧، ح ١٧.
- (٩٠) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥٠، ح ٤.

- (٩١) في المصدر (حتى ينادي المنادي في آخر الليل) لكن العلامة المجلسي قال: الظاهر أنه في آخر النهار كما سيأتي تحت رقم ١٤، ولعله من النسخ ولم يكن في بعض النسخ في آخر الليل أصلا فالزيادة من النسخ.
- (٩٢) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥٠، ح ٨.
- (٩٣) الغيبة، ص ١٧٧.
- (٩٤) كمال الدين وقام النعمة ص ٦٥٤ ح ١٩.
- (٩٥) المعجم الكبير للطبراني، ج ١٨، ص ٣٣٢، حديث رقم: ٨٥٣؛ السنن الواردة في الفتن للداني: ج ٥، ص ٩٧١.
- (٩٦) كتاب الفتن لنعيم بن حماد المتوفى سنة ٢٨٨هـ تحت عنوان علامات أخرى عند خروج المهدى، ج ١، ص ٣٣٨، حديث رقم ٩٨٠.
- (٩٧) مسنون الشاشي، ج ٢، باب روایات الحارث بن سوید ص ٢٦٢-٢٦٣، ح رقم ٨٣٧.
- (٩٨) كتاب الفتن لنعم بن حماد، ج ١، ص ٢٨٨، تحت عنوان ما يذكره من علامات من السماء فيها انقطاع ملك بنى العباس، حديث رقم ٦٣٨.
- (٩٩) الفتن لنعيم بن حماد، ج ١ ص ٢٣٠، ح ٦٤٥.
- (١٠٠) المعجم الأوسط، ج ٥، ص ٦٠، باب من اسمه عبد الرحمن.
- (١٠١) كتاب الفتن لنعيم بن حماد، ج ١، ص ٣٣٤، ح ٩٦٥.
- (١٠٢) الفتن لنعيم، ج ١، ص ٣٣٩، ح ٩٨٣.
- (١٠٣) الفتن لنعيم، ج ١، ص ٣٣٩، ح ٩٨١.
- (١٠٤) مصنف عبد الرزاق، باب الفتن، ج ١١، ص ٣٦١، ح ٢٠٧٤٦.
- (١٠٥) الفتن لنعم بن حماد ج ١، ص ٢٣٧، ح ٦٧٣.
- (١٠٦) كفاية الأثر، الخراز القمي ص ٢٧٥ بباب ما جاء عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام الحديث الأول، وانظر كتاب أعلام الورى ص ٤٣٤؛ كمال الدين وقام النعمة، الباب الخامس والثلاثون، ما أخبر به الرضا عليهما السلام من وقوع الغيبة ص ٣٧٢، ح ٥.
- (١٠٧) الاختصاص للشيخ المفيد، ص ٨٣.

- (١٠٨) الكافي، ج ٨، ص ٣١٠، ح ٤٨٤.
- (١٠٩) كمال الدين وقام النعمة، ص ٦٥٢، ح ١٤؛ الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٤٣٥، ح ٤٢٥.
- (١١٠) كتاب الغيبة للشيخ ص ٤٥٤، ح ٤٦١، وكتاب الإرشاد للشيخ المفيد، ج ٢، ص ٣٧١.
- (١١١) الكافي ج ٨ كتاب الروضة، تحت عنوان حديث رقم ٢٥٣.
- (١١٢) كتاب الغيبة للنعماني، ص ٢٧٣، ح ٢٨.

## أنصار الحجة المنتظر عليه السلام فِي الْمُسْتَقْبَلِ

عزيز حسن الخضران

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد... كثيراً ما يدعو المؤمن بأن يوفق لأن يكون من أنصار إمام العصر والزمان (أرواحنا لتراب مقدمه القداء)، وقد ورد في ضمن كثير من الأدعية الدعاء بذلك، منه ما جاء في دعاء ليلة النصف من شعبان: «اللهم فصل على خاتمهم وقائمهم المستور عن عوالمهم، وأدرك بنا أيامه وظهوره وقيامه واجعلنا من أنصاره، واقرن ثارنا بشاره، واكتبنا في أعوانه وخلصائه وأحينا في دولته ناعمين وبصحبته غائبين وبمحقه قائمين ومن السوء سالمين»<sup>(١)</sup>. وفي المزار لابن الشهدي: «اللهم عجل فرجه، وسهل مخرجه، وأوسع منهجه، واجعلنا من أنصاره وأعونه، الذابين عنه، والمجاهدين في سبيله، والمستشهادين بين يديه»<sup>(٢)</sup>. وأيضاً ورد في الدعاء المروي عن الشيخ العمراني (رضوان الله عليه) الذي يبدأ بقوله: «اللهم عرفني نفسك.... واجعلنا من تقر عينه برؤيته وأقمنا بخدمته، وتوفنا على ملته واحشرنا في زمرةه...»<sup>(٣)</sup>.

والسؤال الجدير بالاهتمام، والواجب على من يدعى الصدق والإيمان، هو: هل أنا مؤهلون فعلاً أن نكون من أنصار المعصوم الذي يتحقق على يديه الوعد الإلهي، والذي يحتاج إلى أنصار أصحاب مميزات إلهية لا توجد في غيرهم من جميع الأنام؟ وهل سعينا بشكل جدي إلى ذلك، أو على الأقل هل فكرنا بذلك مع أنفسنا، وفي خلواتنا؟

كثيراً ما نتمنى أن تكون في زمن الموصومين عليهم السلام، ومن أصحابهم المقربين،

والفرصة لم تفت بعد، إذ أننا نعيش في زمن المعصوم الغائب عن الأنظار عَلَيْهِ الْكَلَمُ، الذي قد يوفقنا الله عَزَّزَكَ للفوز بلقائه، فهل أعددنا العدة للقائه؟!

### أنصار الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ

وهذه قراءة سريعة في بعض صفات أنصار المهدى عَلَيْهِ الْكَلَمُ، مما ورد في الروايات الشريفة، لعل نفوسنا تتحرك نحو الاتصاف بها، فنفوز بذلك الفوز العظيم، سواء رَزَقَنَا الله صحبته، أم توفانا قبل ظهوره، فالصفات مطلوبة في حد ذاتها، حتى لو جزمنا بأننا لن ندرك زمان الظهور المبارك، فقد ورد عن أبي بصير عن الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ أنه قال: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عَزَّزَكَ من العباد عملاً إلا به؟» فقلت: بلى. فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده (رسوله)، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا -يعني الأئمة خاصة-، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم عَلَيْهِ الْكَلَمُ، ثم قال: إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء، ثم قال: من سره أن يكون من أصحاب القائم فليتضرر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة»<sup>(٤)</sup>.

### الأنصار درجات

ثم إن أصحاب القائم عَلَيْهِ الْكَلَمُ قسمان، الأول وهم عدة أهل بدر، الذين يبدأ الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ حركته معهم من مكة المكرمة، كما ورد عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ الْكَلَمُ أنه قال: «المفقودون عن فرشهم ثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر فيصبحون بعكة، وهو قول الله عَزَّزَكَ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾، وهم أصحاب القائم عَلَيْهِ الْكَلَمُ»<sup>(٥)</sup>.

والقسم الثاني وهم بقية الأنصار الذين يتكون مجموع الجيش منهم، إذ من المقطوع به أن جيش الإمام علي عليه السلام لا يقتصر على ذلك العدد القليل، وقد وردت عدة روايات تبين ذلك، منها ما ورد عن رجل سأله الإمام الصادق عليه السلام: كم يخرج مع القائم عليه السلام؟ فإنهم يقولون: إنه يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثة عشر رجلا، قال عليه السلام: وما يخرج إلا في أولي قوة، وما تكون أولوا القوة أقل من عشرة آلاف»<sup>(٦)</sup>. وأيضاً عن الإمام الجواد عليه السلام: «يجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثة عشر رجلا، من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَأْتُونَ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضي الله عز وجل»<sup>(٧)</sup>.

وتتفاوت مقامات الأنصار من القسمين كما في بعض الروايات، ونحن هنا نذكر بعض صفاتهم من دون التفريق بين القسمين.

### صفات الأنصار

#### الإيمان ومعرفة الله حق المعرفة:

إن أدنى درجات الإيمان لا بد أن تتتوفر في كل إنسان مسلم، وإن معرفة الله تعالى بنحو من الأنحاء لا بد منها، وإلا اختلَّ التوحيد والإيمان، وأما من يُنتَظَرُ منه أن يكون مساعها في المشروع الإلهي العالمي، فلا بد أن يتميز في الإيمان والمعرفة، ويصل فيهما للذروة القصوى، التي تؤهله لتلك المهمة العظيمة. وكذلك هم أنصار المنتظر عليه السلام الذين وصفوا بأنهم كنوز الله، كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ويحا للطالقان فإن الله تعالى بها كنوزًا ليست من ذهب ولا فضة، ولكن بها رجال مؤمنون

عرفوا الله حق معرفته وهم أنصار المهدي في آخر الزمان»<sup>(٨)</sup>. فسبب كونهم كنوزاً معنوية لله تعالى، هو كونهم رجالاً مؤمنين عرفوا الله حق معرفته، ثم إن وصفهم ومدحهم بكونهم مؤمنين وعارفين بالله، يدل على الإيمان الكامل والمعرفة الكاملة، وإن الكثير يبتلي الإيمان الناقص والمعرفة الناقصة.

ومن أركان الإيمان، هو الإيمان بإمامية المهدي المنتظر عليه السلام، والاعتقاد بوجوده ولولاته وإمامته، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾** أنه قال: الآيات هم الأئمة، والأية المنتظرة هو القائم عليه السلام، في يومئذ لا ينفع نفسها إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف، وإن آمنت بن تقدمه من آباءه عليه السلام<sup>(٩)</sup>.

### الثبات على الإيمان:

الإيمان مهما عظم واشتد، فإنه يحتاج إلى الثبات حتى نهاية المطاف، والعبرة في الأفعال بخواتيمها، ولنا عبرة ببلעם بن باعورا الذي يروى أنه أعطي الاسم الأعظم، وكان يدعوه فيستجيب له<sup>(١٠)</sup>، وإذا به ينحدر من ذلك المقام السامي إلى مقام يعبر عنه القرآن بالكلب، **﴿فَمَنْلَهُ كَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرْكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَفَصْصُ الْقَصَصُ لَعَلَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ﴾**<sup>(١١)</sup>.

وفي حديث النبي عليه السلام في تعداد الأئمة عليه السلام: «ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه، وبقيته في عبادة ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره» على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان»<sup>(١٢)</sup>.

فالثابت على القول بإمامته عليه السلام هو رجل متحن، ثبنا الله على ذلك، وهذا الثبات ليس أمرا يسيرا كما نتصوره، بل يحتاج إلى توفيق وسداد، وتصرع وبكاء، فمن الروايات المخيفة في هذا الأمر ما رواه الصدوق عن الصقر ابن أبي دلف قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: «إن الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، قوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن، أمره أمر أبيه، قوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه، ثم سكت. فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى عليه بكاء شديدا، ثم قال: إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر. فقلت له: يا ابن رسول الله لم سمي القائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته. فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ قال: لأن له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ بذكره الحاذدون، ويكتب فيها الوقاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمين»<sup>(١٣)</sup>. وأيضا عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محبة من الله عز وجل امتحن بها خلقه»<sup>(١٤)</sup>. وعنده عليه السلام أيضا: «له غيبة يطول أمدها خوفا على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون، ثم قال: طوبى لشيعتنا، المتمسكون بجبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيمة»<sup>(١٥)</sup>. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ قلبه بعد الهداية»<sup>(١٦)</sup>.

فالارتداد وإنكار إمامية المهدي عليه السلام، يحصل حتى من كان مؤمنا به وبوجوده، فالثبات على القول بإمامته يتطلب تقوية العقيدة به عليه السلام، وتهيئة النفس على قبول

الحق وإن كان مُرّاً، فالاتكال على الإيمان الأدنى هو من ضعف الإيمان، ففي اليوم الموعود يظهر الإيمان الحقيقي ويتميز الناس، كما عن الصادق عليه السلام: «إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إيمانكم، لا والله، حتى تميزوا»<sup>(١٧)</sup>.

وأصحاب المتضرر عليه السلام يقعون في امتحانات كما عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن أصحاب طالوت ابتلوا بالنهر الذي قال الله تعالى: سنبتليكم بنهر، وإن أصحاب القائم عليه السلام يبتلون بمثل ذلك»<sup>(١٨)</sup>.

### العبادة والخشوع:

يتولد من الإيمان بالله ومعرفته على الحقيقة، عشق ولذة في عبادته، كما هو حال الأولياء والأصفياء، وكيف العادة وإن كان أهم من كمها، إلا أن اجتماعهما مما هو مطلوب ومرغوب فيه شرعاً وعقلاً، وحال المعصومين عليهما (الذين حازوا قمة المعرفة واليقين) خير شاهد على ذلك، والأنصار وهم الذين ساروا على نهج المعصومين عليهما، لا يستثنون من هذه القاعدة، فقد ورد في وصفهم في حديث الباقر عليهما السلام: «رهبان بالليل، أسد بالنهار»<sup>(١٩)</sup>، وتعبير الإمام الصادق عليهما السلام يدل على أن هذه الصفة دائمة ثابتة. كما ورد عن الإمام الصادق عليهما في وصفهم: «وهم من خشية الله مشفقون»<sup>(٢٠)</sup>، والعبادة التي لا خشوع فيها، هي عبادة فارغة لا قيمة لها، وجاء عنه عليهما أيضاً في قول الله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيْكُمْ أَخْسَنُ عَمَلاً﴾ أنه قال: «ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة»<sup>(٢١)</sup>.

### معنى الشهادة:

لقاء الله منية المشتاقين، ويزداد الشوق إذا كان اللقاء عن طريق الشهادة، لأنها

من أخص الطرق للوصول إليه تعالى، ويشتد الشوق إذا كان ذلك تحت راية المعصوم عليه السلام، فصحبة المعصوم عليه السلام بما يرجوه المؤمن، ولكن شرف الشهادة بين يديه أكثر رجاء، «ففوق كل ذي بر بر، حتى يقتل الرجل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر»<sup>(٢٢)</sup>، ولذلك كان كثير من صحابة النبي عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام يتمنون الشهادة في كل فرصة، وكذلك أنصار الحجة عليه السلام، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في وصفهم: «وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوها في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين عليه السلام، إذا ساروا يسيراً الرعب أمامهم مسيرة شهر»<sup>(٢٣)</sup>. والروح الاستشهادية إذا لم تتوفر في المتصدرين للحرب أو المقاومة أو الثورة، وأراد كل واحد منهم أن يدرك زمان الفتح والنصر، فإنه من المستحيل أن يكون النصر حليفهم.

### ألفة القلوب:

الوحدة الحقيقة المرجوة للشعوب، -والتي تعتبر من أهم العناصر لتحقيق الهدف الكبير -، ليست مقتصرة على اجتماع الأجساد واصطفافها جنبا إلى جنب - وإن كان ذلك مطلوبا أيضا- وإنما الوحدة الحقيقة هي في اجتماع القلوب وألفتها، وليس ذلك بالأمر اليسيير، فإن القلوب مختلفة الأهواء، متنوعة النزعات، والألفة بين القلوب تحتاج إلى تدخل إلهي مباشر قال تعالى: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ كَوْأَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢٤)</sup>، فألفة القلوب من الأمور المعنوية التي لا ينفع معها الإنفاق المادي وإن شمل ما في الأرض جميعا، وكان هذا الإنفاق من النبي عليه السلام. ثم إن هذا التدخل الإلهي لا يحصل إلا إذا علم الله الإخلاص من أصحاب تلك القلوب، وقد تقدم في حديث

الجواد عليه السلام عن ظهور الحجة عليه السلام: «فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره»، لذلك فإن الله يؤلف بين قلوبهم، كما روى الحكم النيسابوري في مستدركه عن محمد بن الحنفية أنه قال: كنا عند علي عليه السلام فسألته رجل عن المهدى فقال علي عليه السلام: «هيئات ثم عقد بيده سبعاً فقال ذاك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل: «الله الله» قُتِلَ، فيجمع الله تعالى له قوماً قزعاً كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم على عدة أصحاب بدر لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر»<sup>(٢٥)</sup>.

#### القوة البدنية:

من الطبيعي جداً أن يتلك أنصار المهدى عليه السلام قوة بدنية، ولياقة عسكرية متميزة، لأنهم مكلفون للقيام بنصرة الدين نصرة عسكرية، ومن واجبهم الأساسي المشاركة في الحرب التي يقودها الإمام عليه السلام، ومن لوازم الحرب الكر والفر، وحمل السلاح، واستعمال المعدات العسكرية، والسهر والتعب والمشقة، وكل ذلك يحتاج إلى لياقة وقوة وتحمل وصبر، ويحتاج إلى خبرة قتالية، وهذا ما يجعل المؤمن المنتظر لليوم الموعود انتظاراً حقيقياً، يسعى ويهد نفسه من هذه الناحية، فمجرد كون الإنسان مؤمناً مخلصاً، لا يؤهله للقيام بنصرة الإمام عليه السلام. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ما كان قول لوط عليه السلام لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ إلا تمنينا لقوة القائم عليه السلام ولا ذكر إلا شدة أصحابه وإن الرجل منهم ليعطي قوة أربعين رجلاً، وإن قلبه لأشد من زبر الحديد، ولو مروا بجبار الحديد لقلعواها، ولا يكفيون سيفهم حتى يرضي الله عز وجله<sup>(٢٦)</sup>. وتقدم في حديث

الباقر عليه السلام في وصف الأنصار: «رهبان بالليل، أسد بالنهار»<sup>(٢٧)</sup>.

ويظهر من رواية أخرى أن هذه القوة إنما تكون بإعجاز من الإمام علي عليه السلام، كما في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام حول المهدى عليه السلام: «له (المهدى) اسمان: اسم يخفى واسم يعلن، فأما الذي يخفى فأحمد وأما الذي يعلن فمحمد، إذا هزَ رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغارب، ووضع يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشد من زبر الحديد، وأعطاه الله تعالى قوة أربعين رجلاً، ولا يبقى ميت إلا دخلت عليه تلك الفرحة (في قلبه) وهو في قبره، وهم يتذمرون في قبورهم، ويتبashرون بقيام القائم صلوات الله عليه»<sup>(٢٨)</sup>. وأكثر الأنصار من فئة الشباب كما عن علي عليه السلام: «إن أصحاب القائم شباب لا كهول فيهم إلا كالكحل في العين، أو كالملح في الزاد، وأقل الزاد الملح»<sup>(٢٩)</sup>.

#### الانتظار:

تكاثرت الروايات في مدح الانتظار والمنتظرين، فقد عبرت عن الانتظار بأنه أحب الأعمال إلى الله، وأنه أفضل العبادة، وأنه من دين الأئمة عليه السلام، وعبرت عن المنتظر بأنه كالشاهد سيفه بين يدي رسول الله عليه السلام يذبح عنه، وأنه كمن كان مع القائم عليه السلام في فسطاطه<sup>(٣٠)</sup>. وعن الإمام الجواد عليه السلام في جوابه لعبد العظيم الحسني عليه السلام: «يا أبا القاسم إن القائم منا هو المهدى الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره»<sup>(٣١)</sup>.

وتعبر الإمام علي عليه السلام بـ«يجب»، يدل على أن الانتظار مسؤولية جسمية ملقاة على عاتق المؤمنين، ويجب أن يتعامل معها بإيجابية، فبغيبة الإمام علي عليه السلام لا يرتفع التكليف، ولا تسقط المسؤولية، بل تزداد المسؤولية على المؤمن، فهو مطالب بأن

يدعو الناس إلى الإيمان بإمام غائب لا يرى، وهو أصعب من الدعوة للإمام الحاضر. وعن النبي ﷺ: «أفضل جهاد أمتى انتظار الفرج»<sup>(٣٢)</sup>، والجهاد يحمل في طياته الحركة والنشاط، والجذد والاجتهاد، والروايات التي تقدم مضمونها، تدل على ذلك أيضاً، فليس من المعقول أن ينال هذا المقام العالي، من لزم بيته، وترك الحبل على الغارب، لا حركة له ولا نشاط، بحجة انتظار الحجة عليها.

ثم إن في الانتظار لوعة الفراق، وانكسار القلب، والألم والحسرة، فليس بالأمر السهل أن يبقى الإنسان المؤمن بعيداً عن إمامه، محروماً من صحبته والاستئنارة بنوره. ولكن يبقى المؤمن الصادق في ارتباط دائم بإمامه، لا ينسى ذكره، والدعاء له بالفرج، وكما في التوقيع الصادر من الناحية المقدسة: «وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإن ذلك فرجكم»<sup>(٣٣)</sup>.

### الخلاصة

أن الأنصار يتمتعون بزوايا وخصال، بها يفوزون بنصرة الإمام عليه السلام وصحابته. ويصلون إلى مقام يشتاق عليه السلام لرؤيتهم فيقول: «طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدنتهم، ويا شوقاء إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم، وسيجمعون الله وإياهم في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وأزواجهم وذرياتهم»<sup>(٣٤)</sup>. وتغتر الأرض التي يطئونها كما عن الباقي عليه السلام: «كأني بأصحاب القائم عليه السلام وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شيء إلا وهو مطيع لهم حتى سبع الأرض وسباع الطير، يطلب رضاهم في كل شيء، حتى تغتر الأرض على الأرض وتقول: مرت بيالي يوم رجل من أصحاب القائم عليه السلام»<sup>(٣٥)</sup>. ويقول عنهم السجاد عليه السلام: «إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرین لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك وتعالى

أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بـنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بـنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشييعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عزوجل سراً وجهراً»<sup>(٣٦)</sup>.

وبدون هذه الخصال يحرم الإنسان نفسه من هذه النعمة العظيمة، والمنة الجسيمة، ويكتفي بالحظ الأدنى من الحظ الأوفر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلاته وسلامه وتحياته على من اصطفى من عباده الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

- (١) مصباح المتهجد ص ٨٤٣.
- (٢) المزار لحمد بن المشهدى ص ١٠٧.
- (٣) مصباح المتهجد ص ٤١٣ كمال الدين ص ٥١٢.
- (٤) غيبة العماني ص ٢٠٧.
- (٥) كمال الدين ص ٦٥٤.
- (٦) كمال الدين ص ٦٥٤.
- (٧) كمال الدين ص ٣٧٨.
- (٨) البحار ج ٥٧، ص ٢٢٩.
- (٩) الإمامة والتبريرة لابن بابويه، ص ١٠٢.
- (١٠) البحار ج ١٣، ص ٣٧٧.
- (١١) الأعراف ١٧٦.
- (١٢) كمال الدين ص ٢٥٣.
- (١٣) كمال الدين ص ٣٧٨.

- (١٤) كمال الدين ص ٣٦٠.
- (١٥) كمال الدين ص ٣٦١.
- (١٦) كمال الدين ص ٣٥٨.
- (١٧) ميزان الحكمة ج ١ ص ١٨٣.
- (١٨) غيبة النعماني ص ٣٣١.
- (١٩) الملاحم والفتن ص ١٣٧.
- (٢٠) مستدرک الوسائل ج ١١، ص ١١٤.
- (٢١) الكافي ج ٢، ص ١٦.
- (٢٢) الكافي ج ٢، ص ٣٤٨.
- (٢٣) مستدرک الوسائل ج ١١، ص ١١٤.
- (٢٤) الأئفـال ٦٣.
- (٢٥) المستدرک للنيسابوري ج ٤، ص ٥٥٤.
- (٢٦) كمال الدين ص ٦٧٣.
- (٢٧) الملاحم والفتـن ص ١٣٧.
- (٢٨) كمال الدين ص ٦٥٣.
- (٢٩) غيبة النـعمـاني ص ٣٣٠.
- (٣٠) راجع ميزانـالـحكـمةـجـ١ـصـ١٨٢ـوـ١٨٣ـ.
- (٣١) كمالـالـدينـصـ٣٧٧ـ.
- (٣٢) تحـفـالـعـقـولـصـ٣٧ـ.
- (٣٣) كمالـالـدينـصـ٤٨٥ـ.
- (٣٤) الكـافـيـجـ١ـصـ٣٣٥ـ.
- (٣٥) الإـمامـةـوـالتـبـرـةـلـوـالـدـالـصـدـوقـ،ـصـ١٣١ـوـكمـالـالـدـينـصـ٦٧٣ـ.
- (٣٦) كـمالـالـدينـصـ٣٢٠ـ.

# المنتظرون لصاحب الأمر عليه السلام فتح الشّریف من

## منظور قرآنی

جعفر علي المالكي

إن التدبر في آيات القرآن الكريم من الأمور التي تجعلنا نتبحر في المعاني المكنوزة فيه، ففي ذلك الكتاب دستور عام للبشرية سنه الباري عليه السلام لينظم حياتهم، ولكي يكونوا على بصيرة في خطواتهم، فالقرآن حوى بين دفتيره دروساً ساميةً تجعل الإنسان ذلك المخلوق الذي يتسامي في أخلاقه على سلم القرب الإلهي. ففي حياتنا المعتادة نسمع بين الحين والآخر بعض ما يطرحه الإخوة من تساؤلات حول القرآن الكريم، فربما يكون أبرز إشكال مطروح هو هل أن القرآن الكريم استنفذ كنوزه خلال ١٤٠٠ سنة؟ وهل أن القرآن الكريم لم يعد مواكباً للتطور الحاصل في العالم الآن؟ فهل سيبقى القرآن الكريم كما كان سابقاً دستوراً عاماً للبشرية جماء، أم أنه قد غدى قدیماً فلا يحق لنا التعويل عليه؟!

ففي هذا الموضوع سوف نقف حول أحد أهم المواضيع التي ترتبط بزمن الغيبة الكبرى -الذي نعيشها- وهو أهم سمات المنتظرین والمهدیین لشورة الإمام المنتظر عليه السلام، وذلك عبر منظور قرآنی، فمن يعتبر نفسه من المنتظرین له عليه السلام، يجب أن تشتمل حياته على سمات خاصة ومواصفات راقية لا يوازيه في الخلق شبيه، فالقرآن يحكي بجلاء عن أبرز ما يحتويه فكر تلك الفئة التي تنتظر صاحب الغیبتین عليهم السلام وتناصره وتوأزره.

فبعد أن طرق هذه الباب كبار المحققين، وألف فيه من أساطين العلماء القدماء منهم والمتاخرين، سنة وشيعة، وأصبحت قضية الإمام المهدي عليه السلام قضية إسلامية عالمية، بالرغم من ضغط وتركيز كل الحكومات المتعاقبة على تشويه نظرية الإمامة بشكل عام، وإمامية المهدي بشكل خاص، وهذا التشويه لم يؤثر على جوهر الاعتقاد، ولم تزعزع ثقة المنتدين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو تقلل من الحماس والترقب عند الأجيال المؤمنة بذلك الوعد الإلهي الذي بشر به النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فبعد أن برهن الواقع العملي على وصول البشرية إلى حالة من العجز والفشل في تحقيق العدالة والاستقرار للعالم، وسقطت شعارات عشاق المادية بعدما أصيبت تجربتها بالكساد، وسقط القناع وانكشف الوجه الحقيقي لها، وبيان الفشل الذريع لأهدافها المرسومة؛ لأنها نظرت للكون بعين واحدة، وساقت حشدًا من أدلة المعرفة المادية، مبرهنة على وهمها، متكلفة في زعمها، وعاشت فترة قصيرة على مائدة الصراع، وسببت انحرار البعض إلى الجدل الخاوي، فهذه بعض افرازات الأفكار المادية.

وبعدما أصيبت بالتراجع والإفلاس، ولم تعد قادرة على إعطاء التفسير المقنع لهزيمتها وانكسارها، مما جعلها تنحدر في نهايتها المحتومة، ومن هنا تركت المجال مفتوحًا أمام زميلتها الرأسمالية، حيث أبدت الأخيرة استعدادها لتحمل مسؤولية قيادة العالم، ولم تخفي رغبتها الجامحة وطموحها اللاحدود، واحتلت بحماية ما يسمى بشرعية القانون الدولي، وهي تظن أنها تسيطر به على العالم. ومن ثم راحت تهمنش القرار السياسي، وتعطي الأولوية للقرار العسكري، وبرهنت على ذلك بجسم النزاعات الساخنة في العالم بالتدخل العسكري، وجربت قوتها أكثر من مرة في الشعوب الضعيفة، وسعت إلى فرض العولمة على العالم، ومنحت نفسها التفرد بالقرار،

وتحول ذلك إلى عقيدة في تفكير المحافظين تحت إطار ما يسمى مجلس الأمن الدولي، ومنظمة حقوق الإنسان، وإذا ما تعارضت القرارت مع رغبتها، أو مسّت مصلحتها، شهرت سلاح الفيتو، وقلبت المعادلة لصالحها، ولكنها لم تخفي هاجس خوفها من المُصلح العربي، الأمر الذي يحكي الهم والخوف والتوجس، حتى راحت فكرة رجوع المسيح.

إن مسألة الإمام المهدي عليه السلام طوت مراحل التاريخ، وهي تشق طريقها بثبات، متهدية كل العقبات، وتنقض غبار الشبهات، وما ذاك إلا لأئمها هدف للرسالة الحمدية، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مأموراً بتبليل الأمة الإسلامية يوم هبط الأمين جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بصريح الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنَّمْ تَفْعَلُ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾<sup>(١)</sup> بعد أن أوقف الحجيج، وبلغهم ولاية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث مستفيض. وقد جاء في بعض خطاباته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (معاشر الناس: النور من الله عَزَّ وَجَلَّ في مسلوك، ثم في علي، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي عَلَيْهِ السلام) الذي يأخذ حق الله وبكل حق هو لنا، لأن الله جلّ وعز قد جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائبين والآثمين والظالمين من جميع العالمين.

معاشر الناس إني نبي وعلي وصي، ألا إن خاتم الأنمة منا القائم المهدي، ألا إنه الظاهر على الدين، ألا إنه المنتقم من الظالمين، ألا إنه فاتح الحصون وهادها، ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك، ألا إنه مدرك بكل ثأر لأولياء الله عَزَّ وَجَلَّ، ألا إنه لناصر لدين الله، ألا إنه الغراف في بحر عميق، ألا إنه يسمى كل ذي فضل بفضله، وكل ذي جهل بجهله، ألا إنه خيرة الله وختاره، ألا إنه الوراث لكل علم والحيط به، ألا إنه المخبر عن رب عَزَّ وَجَلَّ والمنبه بأمر إيانه، ألا إنه الرشيد السديد، ألا إنه الحجة ولا حجة بعده، ولا حق إلا معه، ولا نور إلا عنده، ألا إنه المفوض إليه، ألا إنه الباقي

حجـة ولا حـجة بـعدهـ، أـلا إـنه لا غـالـب لـهـ، وـلا مـنـصـور عـلـيـهـ، أـلا إـنه وـلي اللهـ فيـ أـرـضـهـ، وـحـكـمـهـ فيـ خـلـقـهـ، وـأـمـيـنـهـ فيـ سـرـهـ وـعـلـانـيـتـهـ<sup>(٢)</sup>ـ، وـفـيـ هـذـاـ الـجـالـ وـرـدـ نـصـ ذـكـرـهـ الـحـمـوـيـنـيـ فيـ (ـفـرـائـدـ السـمـطـينـ)، وـذـلـكـ عـنـدـمـاـ تـعـرـضـ لـسـبـبـ نـزـولـ هـذـهـ الـآـيـةـ:ـ (ـالـيـوـمـ أـكـمـلـتـ لـكـمـ دـيـنـكـمـ وـأـثـمـمـتـ عـلـيـكـمـ نـعـمـتـيـ وـرـاضـيـتـ لـكـمـ الإـسـلـامـ دـيـنـاـ)<sup>(٣)</sup>ـ.ـ يـقـولـ كـبـيرـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ رـحـمـةـ اللهـ وـقـالـ:ـ (ـقـامـ نـبـوـتـيـ وـقـامـ دـيـنـ اللهـ وـلـاـيـةـ عـلـيـ بـعـدـيـ)ـ فـقـامـ أـبـوـ بـكـرـ وـعـمـرـ،ـ فـقـالـ:ـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ هـذـهـ الـآـيـةـ خـاصـةـ فـيـ عـلـيـ؟ـ فـقـالـ:ـ بـلـيـ،ـ فـيـهـ وـفـيـ أـوـصـيـائـيـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ.ـ قـالـ:ـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ بـيـنـهـمـ لـنـاـ.ـ فـقـالـ:ـ عـلـيـ أـخـيـ وـوزـيـرـيـ وـوـارـثـيـ وـوـصـيـيـ وـخـلـيفـيـ فـيـ أـمـيـ،ـ وـوـليـ كـلـ مـؤـمـنـ بـعـدـيـ،ـ ثـمـ اـبـنـيـ الـحـسـنـ،ـ ثـمـ اـبـنـيـ الـحـسـينـ،ـ ثـمـ تـسـعـةـ مـنـ وـلـدـ الـحـسـينـ وـاحـدـاـ بـعـدـ وـاحـدـ،ـ الـقـرـآنـ مـعـهـمـ وـهـمـ مـعـ الـقـرـآنـ لـاـ يـفـارـقـونـهـ وـلـاـ يـفـارـقـهـمـ حـتـىـ يـرـدـوـاـ عـلـيـ حـوـضـيـ)<sup>(٤)</sup>ـ.

إـنـ فـكـرـةـ الإـمامـ الـمـهـديـ عـلـيـهـ رـحـمـةـ اللهـ وـعـدـةـ فـكـرـةـ إـسـلـامـيـةـ باـعـتـرـافـ كـلـ المـذاـهـبـ،ـ باـسـتـثـنـاءـ مـنـ شـذـ مـنـ لـاـ يـعـتـدـ بـقـولـهــ،ـ وـقـدـ حـفـلتـ الـمـكـتـبـةـ إـسـلـامـيـةـ بـخـطـوـطـاتـ وـمـطـبـوعـاتـ تـدـافـعـ بـجـزـمـ عـنـ فـكـرـةـ الإـمامـ الـمـهـديـ عـلـيـهـ رـحـمـةـ اللهـ،ـ بـيـدـ أـنـهـ تـأـثـرـتـ بـالـأـدـوارـ الـقـيـمـةـ مـرـتـ بـهـاـ فـكـرـةـ الإـمامـ الـمـهـديـ؛ـ حـيـثـ أـنـهـ وـاجـهـتـ حـمـلـةـ مـنـ التـدـلـيـسـ وـالتـحـرـيـفـ،ـ ماـكـلـفـ الـبـاحـثـيـنـ جـهـدـ الـمـتـابـعـةـ،ـ لـصـقـلـ الـفـكـرـةـ وـصـيـاغـتـهاـ بـقـالـبـهاـ إـسـلـامـيـ،ـ كـمـاـ فـيـ النـصـوصـ الـمـتـاعـضـةـ الصـرـيـحةـ،ـ الـتـيـ حـاـصـرـتـ الـإـتـجـاهـاتـ الـظـالـمـةـ الـتـيـ حـاـوـلـتـ باـسـتـمـارـ تـفـريـغـ الـفـكـرـةـ عـنـ مـحتـواـهـاـ إـسـلـامـيـ،ـ لـتـبـعـدـ الـأـجـيـالـ إـسـلـامـيـةـ عـنـ الـاـهـتـمـامـ وـالـتـعـلـقـ بـهـاـ.

إـنـ الشـيـعـةـ تـنـاـوـلـواـ فـكـرـةـ الإـمامـ الـمـهـديـ عـلـيـهـ رـحـمـةـ اللهـ بـالـبـحـثـ وـالـتـحـقـيقـ،ـ وـشـغـلـتـ حـيـزاـ كـبـيرـاـ فـيـ عـلـمـ الـكـلـامـ،ـ وـلـمـ يـتـرـكـواـ شـغـرـةـ فـيـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ،ـ كـمـاـ وـاـصـلـوـاـ الضـغـطـ فـيـ الـمـنـاظـرـاتـ،ـ وـجـرـّـوـاـ الـخـصـمـ إـلـىـ سـاحـةـ الـجـدـلـ الـعـلـمـيـ،ـ مـاـ دـعـيـ الأـخـيـرـ إـلـىـ تـحـرـيمـ الـعـملـ

بالفلسفة وعلم الكلام، وعمدوا إلى سد الفراغ بالشتم والتكفير، وأبدعوا في نسبة الشبهات إلى الشيعة، وعندما اشتغلوا بهذا الفن، وقعوا في محنور أشد، وهو تسطيح الوعي عند الأجيال الإسلامية، لأن غياب نظرية الإمامة يحتاج إلى طرح بدائل عنها.

إنَّ العلماء ركزوا اهتمامهم، وكرّسوا جهدهم، وأنفقوا الكثير من وقتهم في سبيل صقل هذه الفكرة، وسرد الأدلة العقلية والنقلية على أهمية الإمامة، وارتباط أعمال المكلف بها، حيث ذكر المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر قيش في كتاب (عقائد الإمامية)، وقال: «وعلى الأقل أنَّ الاعتقاد بفراغ ذمة المكلف من التكاليف الشرعية المفروضة عليه، يتوقف على الاعتقاد بها إيجاباً أو سلباً، فإذا لم تكن أصلاً من الأصول لا يجوز فيها التقليد لكونها أصلاً، فإنه يجب الاعتقاد بها من هذه الجهة، أي من جهة أنَّ فراغ ذمة المكلف من التكاليف المفروضة عليه قطعاً من الله تعالى واجب عقلاً، وليس كلها معلومة من طريقة قطعية، فلا بد من الرجوع فيها إلى من نقطع بفراغ الذمة باتباعه، إما الإمام وعلى طريقة الإمامية، أو غيره على طريقة غيرهم». «وعلى هذا فالإمامية استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام عليه السلام بعد الرسول عليه السلام».

«وعليه لا يخلو عصر من العصور من إمام مفترض الطاعة، منصور من الله تعالى، سواءً أبي البشر أم لم يأبوا، وسواءً ناصروه أم لم يناصروه، أطاعوه أم لم يطيعوه، سواءً كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس، إذ كما يصح أن يغيب النبي عليه السلام كغيبته في الغار والشعب، صح أن يغيب الإمام، ولا فرق في حكم العقل بين طول الغيبة وقصرها».

## بعض الآيات التي تحكي سمات من ينتظر الإمام المهدى ﷺ

١- ﴿وَنَرِيدُ أَنْ تَمُّنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتُعْفِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٥)</sup>. فقد جاء في تفسير هذه الآية:

### حكومة المستضعفين العالمية:

إن الآيات المتقدمة لا تتحدث عن فترة خاصة أو معينة، ولا تختص ببني إسرائيل فحسب، بل توضح قانوناً كلياً لجميع العصور والقرون ولجميع الأمم والأقوام، فهي بشاره في صدد انتصار الحق على الباطل، والإيمان على الكفر. وهي بشاره لجميع الأحرار الذين يريدون العدالة وحكومة العدل وانطواء بساط الظلم والجور. فزوال حكومة بني إسرائيل وحكومة الفراعنة، ما هي إلا غودج لتحقق هذه المشيئة الإلهية بفناء هكذا أنواع من الحكومات، وحكومة نبي الإسلام عليه وآله وآل بيته عليهما السلام وأصحابه بعد ظهور الإسلام، خير مثال على حكومة العدل، حكومة الحفاة العفة والمؤمنين المظلومين، الذين كانوا موضع تحقر فراعنة زمانهم واستهزائهم، ويزحزحون تحت تأثير الضغوط (الظالمه) لأنهم الكفر والشرك. وكانت العاقبة أن الله فتح على أيدي هؤلاء المستضعفين أبواب قصور الأكاسرة والقياصرة، وأنزل أولئك من أسرة الحكم والقدرة، وأرغم أنوفهم بالتراب.

والمثل الأكبر والأوسع هو ظهور حكومة الحق والعدالة على جميع وجه البسيطة -الكرة الأرضية- على يد "المهدى" أرواحنا له الفداء.

هذه الآيات هي من جملة الآيات التي تبشر -بجلاء- بظهور مثل هذه الحكومة، ونقرأ عن أهل البيت في تفسير هذه الآية، أنها إشارة إلى هذا الظهور العظيم. فقد ورد في نهج البلاغة عن الإمام علي عليه السلام قوله: (التعطفن الدنيا علينا بعد شناسها

عطف الضروس على ولدها، وتلا عقيب ذلك: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ تُمْنَأَ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٦)</sup>. ونقرأ في حديث آخر عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام قوله: (والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، إنَّ الْأَبْرَياءَ مِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَشَيْعَتْهُمْ بِنَزْلَةِ مُوسَى وَشَيْعَتْهُ، وَإِنَّ عَدُونَا وَشَيْعَتْهُ بِنَزْلَةِ فَرْعَوْنَ وَأَشْيَاعِهِ)<sup>(٧)</sup>.

ومن الطبيعي أنَّ حكومة المهدى عليهما السلام في آخر الأمر، لا تقنع من وجود حكومات إسلامية في معاير محدودة قبلها من قبل المستضعفين ضد المستكبرين، ومتي ما نمت الظروف والشروط مثل هذه الحكومات الإسلامية، فإنَّ وعد الله المحتوم والمشيئة الإلهية سيتحققان في شأنها، ولا بدَّ أن يكون النظر حليفها بإذن الله.

#### أسلوب المستكبرين على مدى التاريخ:

لم يكن فرعون وحده يذبح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم لإذلالهم، فعلى مدى التاريخ نجد أسلوب الجبابرة على هذه الشاكلة، حيث يسعون لتعطيل القدرات والقوى بأية وسيلة كانت، فحيث لم يستطعوا قتل "الرجال" يلجؤون إلى قتل "الرجلة"، ويزدّبون روح الشهامة بنشر الفساد والمخدرات والفحشاء والمنكر والإحراف الجنسي وكثرة الشراب والقمار، ليستطعوا براحة بال واطمئنان خاطر أن يواصلوا حكمهم وحكومتهم.

ولكنَّ أُنبِياءَ الله، وخاصة نبي الإسلام عليهما السلام كانوا يسعون لإيقاظ قوى الفتوى النائمة، ويشحنون قدرات الشباب الهائلة، ويحررُوهم من أسر الذلة، وكانوا يعلمون حتى النساء دروساً من الشجاعة والشهامة، ليقفن في صفوف الرجال ضد

المستكبرين (١٨).

٢- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالَاتِ لَيَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ  
كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ  
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٩)</sup>.

الذين وعدهم الله باستخلاف الأرض:

إن نتيجة جهود جميع الأنبياء والمرسلين حصول حكم يسوده التوحيد، والأمن  
الكامل والعبادة الحالية من أي نوع من الشرك، وذلك حين ظهور المهدى عليه السلام وهو  
من سلالة الأنبياء عليهم السلام وحفيد النبي الأكرم  عليه السلام وهو المقصود في هذا الحديث  
الذي تناقله جميع المسلمين عن الرسول  عليه السلام: (لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم لطوى الله  
ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي، اسمه اسمي، يلاً الأرض عدلاً وقسطاً كما  
ملئت ظلماً وجوراً) <sup>(١٠)</sup>.

ومما يجدر ذكره هنا قول العلامة الطبرسي في تفسير هذه الآية: «روي عن أهل  
بيت رسول الله  عليه السلام حول هذه الآية: أنها في المهدى من آل محمد» <sup>(١١)</sup>.

الهدف النهائي عبادة خالصة:

إن مفهوم عبارة **﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾** من الناحية الأدبية سواء  
كانت جملة حالية أو مستقبلية، هو أن الهدف النهائي إعداد حكومة عادلة راسخة  
الأسس، ينتشر فيها الحق والأمن والاطمئنان، وتكون ذات تحصينات أُسسها



ال العبودية لله و توحيده على نحو ما ذكرته آية قرآنية أخرى تذكر الغاية من الخلق  
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١٢).

عبادة هدفها السامي تربية البشر و تسامي أنفسهم، عبادة لا يحتاج الله إليها، وإنما يحتاج إليها البشر لطبي مراحل تكاملها الإنساني. وعلى هذا فإن الفكر الإسلامي ليس كالأفكار المادية التي تتلوخى مكاسب مادية و رفاهية في الحياة، بل تكون للحياة المادية قيمة في الإسلام إن أصبحت وسيلة لتحقيق هدف معنوي سامٍ فالاهتمام بكون العبادة خاليةً من شوائب الشرك نافيةً للأهواء الزائفة، يعني أنه لا يمكن تحقق هذه العبادة الصافية إلا بتشكيل حكومة عادلة.

٣- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١٣).

### القرآن و ظهور المهدى ﷺ :

إن الآية مورد البحث عينها وبالألفاظ ذاتها، وردت في سورة الصاف، كما وردت في أواخر سورة الفتح باختلاف يسير. والآية تخبر عن حدث مهم كبير، استدعت أهميته هذه أن تتكرر الآية في القرآن، وهذا الحدث الذي أخبرت عنه الآية هو استيعاب الإسلام للعالم بأسره.

وبالرغم من أن بعض المفسرين فسر الانتصار في الآية محل البحث - انتصاراً في منطقة معينة و محدودة، وقد حدث ذلك فعلاً في عصر النبي ﷺ أو ما بعده من العصور للإسلام والمسلمين، إلا أنه مع ملاحظة أن الآية مطلقة لا قيد فيها ولا

شرط، فلا دليل على تحديد المعنى، فمفهوم الآية انتصار الإسلام كلياً - ومن جميع الجهات - على جميع الأديان، ومعنى هذا الكلام أنَّ الإسلام سيُهمن على الكراة الأرضية عامة وسينتصر على جميع العالم.

ولا شك أنَّ هذا الأمر لم يتحقق في الوقت الحاضر، لكننا ندرِّي أنَّ هذا وعد من قبل الله حتمي وأنَّه سيتحقق تدريجياً، فسرعة انتشار الإسلام وتقدمه في العالم، والاعتراف الرسمي به من قبل الدول الأوروبية المختلفة، ونفوذه السريع في أفريقيا وأمريكا، وإعلان كثير من العلماء والمفكرين اعتناقهم الإسلام، كل ذلك يشير إلى أنَّ الإسلام أخذ باستيعاب العالم. إلا أنه طبقاً للروايات المختلفة الورادة في المصادر الإسلامية، فإنَّ هذا الأمر إنما يتحقق عند ظهور المهدى عَلَيْهِ الْمَهْدَى فيجعل الإسلام عالياً.

ينقل العلامة الشيخ الطبرسي في تفسيره لهذه الآية عن الإمام الباقر عَلَيْهِ الْبَاقِرَى أنه قال: (إنَّ ذلك يكون عند خروج المهدى، فلا يبقى أحدٌ إلا أقرَّ بِمُحَمَّد عَلَيْهِ الْكَلَمُ). كما ورد في التفسير ذاته عن النبي عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ أنه قال: (لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام) (١٤).

كما أنَّ الشيخ الصدوق رضوان الله عليه روى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْصَادِقَى في تفسير هذه الآية - في كتابه إكمال الدين - أنه قال: (والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم، فإذا خرج القائم لم يبق كافر بالله العظيم) (١٥).

#### مفهوم الانتظار:

الانتظار: يطلق عادةً على من يكون في حالة غير مرحبة ويسعى لإيجاد وضع

أحسن. فمثلاً المريض ينتظر الشفاء من سقمه، أو الأب ينتظر عودة ولده من سفره، فهما -أي المريض والأب- مشفقان، هذا من مرضه وذاك من غياب ولده، فينتظران الحال الأحسن ويسيغيان من أجل ذلك بما في وسعهما.

بناءً على ذلك فإن مسألة انتظار حكومة الحق والعدل، أي حكومة المهدى عليه السلام وظهور المصلح العالمي، مركبة في الواقع من عنصرين: عنصر نفي، وعنصر إثبات، فعنصر النفي هو الإحساس بغرابة الوضع الذي يعنيه المنتظر، وعنصر الإثبات هو طلب الحال الأحسن. وإذا قدر هذين العنصرين أن يجلا في روح الإنسان فإنهما يكونان مدعاه ل نوعين من الأعمال وهذا النوعان هما:

أ- ترك كل شكل من أشكال التعاون مع أساليب الظلم والفساد، بل عليه أن يقاومها، هذا من جهة.

ب- بناء الشخصية والتحرك الذاتي وتهيئة الإستعدادات الجسمية والروحية والمادية والمعنوية لظهور تلك الحكومة العالمية الإنسانية، من جهة أخرى.

ولو أمعنا النظر لوجدنا أن هذين النوعين من الأعمال هما سبب اليقظة والوعي والبناء الذاتي.

ومع الالتفات إلى مفهوم الانتظار الأصيل، ندرك بصورة جيدة معنى الروايات الواردة في ثواب المنتظرين وعقوبة أمرهم، وعندما نعرف لمَ وصفت الروايات المنتظرين بحق بأنهم بنزلة من كان مع القائم تحت فساططه عليه السلام أو أنهم تحت لوائه، أو أنهم كمن يقاتل في سبيل الله بين يديه، أو كالمستشهد بين يديه، أو كالمتشحط بدمه. ترى أليست هذه التعبير تشير إلى المراحل المختلفة ودرجات الجهاد في سبيل

الحق والعدل، التي تتناسب ومقدار الاستعداد ودرجة انتظار الناس؟

#### الانتظار يعني الاستعداد الكامل:

إذا كنت ظالماً مجرماً، فكيف يتمنى لي أن أنتظر من سيفه متعطش لدماء الظالمين؟ وإذا كنت ملوثاً غير نقى فكيف أنتظر ثورة يحرق لها الملوثين؟! والقائد الذي ينتظر الجهاد الكبير يقوم برفع معنويات جنوده ويلهمهم روح الثورة، ويصلح نقاط الضعف فيهم إن وجدت، لأن كيفية الانتظار تتناسب دائماً والهدف الذي نحن في انتظاره. وهذه الثورة -التي ننتظرها- ليست كسائر الثورات السابقة، إذ هي غير محدودة بمنطقة ما، بل هي عامة وللجميع، وتشمل جميع شؤون الحياة والناس، في ثورة سياسية، ثقافية، اقتصادية، أخلاقية. إذن فالانتظار يتضمن من الإنسان أن يكون على أبهة الاستعداد لنصرة إمامه عليه السلام، فليس من السهل أن يكون ذلك الشخص من ينتخبه الإمام عليه السلام بل لا يكون ذلك إلا بعد أن يمر الإنسان عبر مراحل لكي ينال ذلك الشرف، وهو أن يكون جندياً في ركب الإمام عليه السلام. لذا نستفيد عدة حكم من تلك الآيات السابقة من أبرزها:

#### الحكمة الأولى - بناء الشخصية الفردية:

إنّ بناء الشخصية -قبل كل شيء- بحاجة إلى عناصر معدّة ذات قيم إنسانية، ليتمكن الفرد من أن يتحمل العبء الشقيّل لإصلاح العالم، وهذا الأمر بحاجة -أولاً- إلى الارتقاء الفكري والعلمي والاستعداد الروحي، لتطبيق ذلك المنهج العظيم. فالتحجر، وضيق النظر والحسد، والاختلافات الصبيانية، وكل نفاق بشكل عام أو

تفرقة لا تنسجم ومكانة المنتظرین الواقعیین.

والمسألة المهمة – هنا – أنّ المنتظر الواقعي لا يمكنه أن يقف موقف المتفرج، بل لابدّ أن يقف في الصف الآخر، أي صف التأثیرین المصلحین، فالإیان بالنتائج وما يؤول إليه هذا التحول، لا يسمح له أبداً أن يكون في صف "المبطئین" المتقاусین، بل يكون في صف المخلصین المصلحین، ويكون عمله خالصاً وروحه أكثر نقاءً، وأن يكون شهماً عارفاً معرفةً كافية بالأمور. أليس مثل هذا الانتظار كافياً لأن أطهّر نفسي وفكري، وأغسل جسمي وروحي من التلوث؟! فإذا كنتُ متقاусاً معوجاً فكيف يمكنني أن أنتظر نظاماً لا مكان فيه للفاسدين؟ فالجيش الذي ينتظر جهاداً تحررياً لابدّ له أن يكون في حالة من الاستعداد الكامل، وأن يُهيئ السلاح الجدير بالمعركة، وأن يرفع المعنويات القتالية في صفوف أفراده، ويقوی روحيّاتهم، ويسيرج في قلوبهم شعلة العشق للمواجهة، فإنّ جيشاً ليس فيه مثل هذه الاستعدادات لا يكون جيشاً (منتظراً)، وإذا ادعى الانتظار فهو "كاذب"!  
إن انتظار المصلح (العالمي)، معناه الاستعداد الكامل فكريّاً، وأخلاقيّاً، مادياً ومعنوياً، الاستعداد لإصلاح العالم كله، فتصوروا أنّ مثل هذا الاستعداد كم يكون بناءً! فبناء الشخصية مثل هذه الهدف يستلزم الارتباط بأشد المناهج الأخلاقية، والفكرية والاجتماعية أصالة وعمقاً، وهذا هو الانتظار الواقعي! ترى هل يستطيع أن ينكر أحد فيقول: إن مثل هذا الانتظار لا يكون فاعلاً؟

### **الحكمة الثانية - التعاون الاجتماعي:**

إنّ المنظرين بحق في الوقت الذي ينبغي عليهم أن يهتمّوا ببناء "شخصياتهم"، عليهم أن يراقبوا أحوال الآخرين، وأن يجدوا في إصلاح ذاتهم لأن المنهج العظيم الذي ينتظرون له ليس منهجاً فردياً، بل هو منهج ينبغي أن تشتراك فيه جميع العناصر الثورية، وأن يكون العمل جماعياً تماماً، وأن تتسع المساعي والجهود بشكل يتناسب وتلك الثورة العالمية التي هم في انتظارها. ففي ساحة معركة واسعة يقاتل أولئك المنظرون جنباً إلى جنب، لا يمكن لأحد منهم أن يغفل عن الآخرين بل عليه أن يشدّ أزرهم وأن يسدّ الثغرة ويصلح نقطة الضعف إن وُجدت ويرمم الموضع المتداعية ويدعم ما ضعف منها، لأنه لا يمكن تطبيق مثل هذا المنهج دون مساعدة جماعية نشيطة فعالة متناسقة!

فبناءً على ذلك فالمنظرون بحق عليهم أن يصلحوا حال الآخرين بالإضافة إلى إصلاح حالمهم. فهذا أثرٌ آخر بناءً يورثه الانتظار لقيام مصلح عالمي، وهذه حكمة الفضائل التي ينالها، المنظرون بحق.

### **الحكمة الثالثة - المنظرون بحق لا يذوبون في المحيط الفاسد:**

إنّ الأثر المهم الآخر للانتظار هو عدم ذوبان المنظرون في المحيط الفاسد، وعدم الانقياد وراء المغريات والتلوّث بها أبداً. أي أنه: حينما يعمُّ الفسادُ المجتمعَ، أو تكون الأغلبية الساحقة منه فاسدة، فقد يقع الإنسان النقي الطاهر في مأزق نفسي، أو بتعبير آخر: في طريق مسدود "للأسى من الإصلاحات التي يتواخّها".

وربما يتصور "المنتظرون" أنه لا مجال للإصلاح، وأن السعي والجد من أجل البقاء على "النقاء" والطهارة وعدم التلوث، كل ذلك لا طائل ولا جدوى منه، فهذا اليأس أو الفشل قد يجر الإنسان نحو الفساد والاصطباخ بصبغة المجتمع الفاسد، فلا يستطيع المنتظرون عندئذٍ أن يحافظوا على أنفسهم باعتبارهم أقلية صالحة بين أكثريّة طالحة، وأنهم سيفتَضَحُون إن أصرروا على مواصلة طريقهم، وينكشفون لأنهم ليسوا على شاكلة الجماعة.

والشيء الوحيد الذي يُعيشُ فيهم الأمل، ويدعوهم إلى المقاومة والتجلد وعدم الذوبان والانحلال في المحيط الفاسد، هو رجاؤهم بالإصلاح النهائي، فهم في هذه الحال – فقط – لا يسامون عن الجد والمثابرة، بل يواصلون طريقهم في سبيل المحافظة على الذات وحفظ الآخرين وإصلاحهم أيضاً.

وحين نجد – في التعاليم الإسلامية – أنَّ اليأس من رحمة الله وثوابه من أعظم الذنوب والكبائر، لأن العاصي الآيس من رحمة الله لا يرى شيئاً ينقذه ويحصله من عذاب الله، فلا يفكر بإصلاح الخلل، أو – يكف عن الذنب على الأقل – لأنَّه يقول في نفسه: أنا الغريقُ فهل أخشى من البيل؟ والنهاية الحتمية جهنم، وقد أشتريتها، فما عسى أن أفعل؟ إلا أنه حين تنفتح له نافذة الأمل، فإنه سيرجو عفوَ ربِّه، ويتجه نحو تغيير نفسه وحاله، ويحصل له منعطف جديد في حياته يدعوه إلى التوقف عن مواصلة الذنوب والعودة نحو الطهارة والنقاء والإصلاح.

ومن هنا يكمنا أن نعتبر أنَّ الأمل عامل تربوي مهمٌ ومؤثر في المنحرفين أو

الفاسدين، كما أنَّ الصالحين لا يستطيعون أن يواصلوا مسيرهم في المحيط الفاسد إذا لم يكن لهم أمل بالانتصار على المفاسد. والنتيجة أنَّ معنى انتظار ظهور المُصلح، هو أنَّ الدنيا مهما مالت نحو الفساد أكثر كان الأمل بالظهور أكثر، والانتظار يكون له أثر نفسي كبير، فيضمن للنفوس القوة في مواجهة الأمواج والتيارات الشديدة كيلا يجرفها الفساد، فهم ليسوا أربط جائساً فحسب، بل هم يسعون أكثر للوصول إلى الهدف المنشود، وتنشدُ همَّتهم لمواجهة الفساد ومكافحته بشوق لا مزيد عليه، فشوقيهم لتطبيق مفهوم المُصلح جعلهم يتفانون في إخلاصهم وفي تهذيب أنفسهم ومجتمعاتهم من رذائل الدهر، فلو لا الأجل الذي جعله المولى ﷺ عليهم لما بقت أرواحهم في أبدانهم ساعة شوقاً لمولام.

بينما يكون الأثر السلبي للانتظار فيما لو مسخ مفهومه، أو حرف عن واقعه، كما حرَّفَه المخالفون والأعداء، ومسخه الموافقون، غير أنه لو أخذَ بمفهومه الواقعي لكان عاملًا تربويًا مهمًا بناءً محركاً باعثاً على الأمل والرجاء. فبناءً على ذلك فإنَّ تحقق هذه الثورة الإصلاحية بدون إيمانٍ مُستحکمٍ يقضي على كل أنواع الضعف والتحلل، وبدون عمل صالح يفتح الطريق لإصلاح العالم، فإنَّ هذا التحقق مستبعدٌ جداً.

والطالبون لهذا التحقق عليهم أن يزدادوا إيماناً ومعرفة، وأن يجدوا في العمل الصالح وإصلاح ذاتهم، وهؤلاء هم طليعة تلك الحكومة العالمية وأملها المشرق، لا من ركَّن إلى الظلم والجحود، وليس المنتظرُ لتلك الحكومة الأشخاص ضعافَ الهمةِ والجبناءُ..

هذا هو أثر انتظار قيام المهدى عليه السلام في المجتمع الإسلامي حيث أنه يصوغ فكر الإنسان وحياته ويجعلها مهيأةً لتلك الدولة.

### المواهش:

- (١) المائدة .٦٧
- (٢) معجم أحاديث الإمام المهدى عليه السلام: الشيخ علي الكوراني العاملی، ج ٥ ص ١٣٥
- (٣) المائدة .٣
- (٤) تفسير الثقلین: الشيخ الحویزی ج ١٢ ص ١٩٢، التحصین: السيد ابن طاوس الحسني ص ٦٣٣، بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٣١ ص ٤١١
- (٥) القصص .٥
- (٦) نهج البلاغة، الكلمات الفصار، رقم ٢٠٩
- (٧) تفسیر مجمع البیان، ذیل الآیة مورد البحث.
- (٨) تفسیر الأمثل الجزء ٧ ص ٥٣٠
- (٩) النور الآیة .٥٥
- (١٠) منتخب الأثر ص ٢٤٧
- (١١) تفسیر مجمع البیان ج ٧ ص ١٥٢
- (١٢) الذاريات ص ٥٦
- (١٣) التوبۃ آیة .٣٣
- (١٤) تفسیر مجمع البیان ج ٥ ص ٤٥
- (١٥) تفسیر نور الثقلین ج ٢ ص ١١٢

# دعاوى البابية والنيابة الخاصة

## زمن الغيبة الكبرى

(القسم الرابع من أخبار المشاهدة)

محمد علي العربي

كثير قد من الله علينا أن يتفضل الإخوة في (رسالة القلم) بنشر مختصر لمقالنا الموسوم بـ(أخبار المشاهدة) في ثلاثة أعداد متتالية، وهذا هو القسم الرابع من التحقيق، أضفناه بعد إجالة النظر في بعض جوانبه، وذيلناه بما هو حقيق بأن يحقق حقه وينحي بباطله.

### في حكم دعاوى البابية والنيابة الخاصة زمن الغيبة الكبرى

اتضح مما قدمنا لك في الأقسام المتقدمة: أنَّ التوقيع المبارك للإمام الحجة عَلَيْهِ السَّلَام آخر سفرائه الكرام (عليهم رحمة الله والرضوان) نصٌّ في انقطاع النيابة الخاصة بدلالة عدم الإيصاء لأحد بعد السفير الرابع، واتضح مما بعدها من الأدلة أنَّ لقياه عَلَيْهِ السَّلَام والتشرف بالنظر لنور وجهه المبارك ممكן متحقق، بل لا مجال لإنكاره بعد توافر الإثباتات وتضاؤل الأدلة على إمكانها من جهة ساحته وناحيته المباركة. وذكرنا في طيات البحث أنَّ كثرة المدعين للمشاهدة والنيابة لا تلجمنا لرفع اليد عن دلالة النصوص على إمكان المشاهدة في هذا العصر وما قبله، وهذا ما يحتاج لمزيد بيان.

إذ أن حكومة الأدلة على بعضها إنما هو بعد الجمع بين دلالتها والأخذ بأقوالها المتصرف في ما يقابلها من النص أو الظاهر، ولما كان الدليل على إمكان مشاهدته عليه بلا معارض من دليل لفظي أو غيره، فلا شك أن التصرف فيه والحكم على خلافه - ولو اعتقادا - رد على صاحب الشرع عليه المزه عن تشريع ما ينشئ منه المفسدة. فيؤول الأمر لا محالة إلى كون المفسدة من المكلفين بعد العلم بأن الشارع الحكيم متنزه عن القبيح. وهذه المفسدة ليست هي المشاهدة في نفسها؛ فهي محققة في مصاديق متکثرة، لكنها في صنف خاص من الدعاوى فيها، وهي دعوى المشاهدة على نحو النيابة الخاصة تثبت السفارة أو الوكالة أو النيابة أو الولاية عن الإمام المعصوم (عليه وعلى آبائه السلام).

إذا عرفت هذا وتأملته مع ما سبق وتلونا عليك في فضول هذا التحقيق، يتضح حكم المدعى للسفارة عنه عليه في هذا العصر، ونوجز حكمه في جهتين:

#### الجهة الأولى: حكمه بالنسبة إلى نفسه:

قد دلنا التوقيع الشريف الصادر من الناحية المقدسة له عليه على أن مدعى السفارة في زمن الغيبة الكبرى وانقطاع عصر السفراء خارج عن المذهب الحق والتشيع، ويدلك عليه قوله عليه: (وسيأتي شيعتي من يدعى المشاهدة).

إن قلت: إن الوصف هو لبيان المؤتى إليهم، ولا يلزم منه أن يكون الآتي من غير شيعته عليه فقط، إذ قد يكون من شيعته كذلك. قلنا: إن ذلك وإن كان صحيحا؛ إذ قد يكون الآتي بدعوى السفارة عنه عليه من شيعته، إلا أنه لا يكون كذلك حال إتيانها؛ لأنه كذاب مفتر، وتعمد الكذب بأن ينصب نفسه إماما دون الإمام مساوقاً لإنكار إماما حجة زمانه عليه، ومن أنكره فقد خرج عن ربوة هذا

الدين والمذهب الحق.

يدل على ذلك ما رواه الكليني رحمه الله صحيحًا عن محمد بن يحيى، عن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبيان عن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر»<sup>(١)</sup>.

إن قلت: إنه لم ينصب نفسه إماماً، بل نصب نفسه نائباً عن الإمام. قلنا: إن هذا في الحقيقة مع تعمده - نصب لنفسه لا نيابة عن غيره، كيف وهو مع قيامه بالدعوى يعلم بأن لا إمام خلفه أو عز له بأمر. والتعير بالكفر عُنيَ به الكفر الواقعي لا الحكم الظاهري المتبعد به، إذ لو قلنا بأنه الحكم الشرعي لوجب تكفير كل طوائف المسلمين وحمل جملة من النصوص على خلاف ظاهرها، وهذا ما تشهد النصوص الكثيرة بخلافه، خاصة ما كان بلسان (من شهد الشاهدين فقد عصم نفسه وعرضه وماليه) وغيرها.

نعم لو دل دليل على أن الحكم بإسلام كل الفرق ممن يدعى الإسلام إنما كان للتقية وفي زمن الهدنة، فمع انتفاءها يتنتفي حكمها كما هو في زمن ظهوره عليه السلام، والمدعى للسفارة والمشاهدة ليس من ينتقى لكونه من داخل المذهب لا من خارجه، فوجب الحكم بكتابه. لكن الإنصاف أنه قول لا يقوى أمام أدلة القول بإسلامهم حكماً، وأدلة طهارتهم ومناكحتهم ومبaitهم المطلقة من جهة التقية والزمان، وليس المدعى للسفارة - مع خروجه عن المذهب الحق - بختلف عنهم من جهة شهادته للشهادتين وإنكاره عملا لإمام زمانه عليه السلام، فهو مشارك لهم في الحكم، إلا أن يكون مخصوصاً بحكم خاص كما سيأتي. كل هذا بحسب الأدلة اللغوية ومجموع النصوص.

لكن قد حَكَىُ الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة في (ذكر المذومين الذين ادعوا

البابية)<sup>(٢)</sup> أخبار جملة منهم، بذاتها ذكر الشرعي، وهو أول من ادعى مقاما لم يجعله الله فيه، ثم عقبه بذكر آخرين كالنميري والخلج وأحمد بن هلال الشلمغاني وهو ابن أبي العزاقر، وكلهم عاصروا الغيبة الصغرى للإمام عاشور عليه وفيهم من خرجت فيه التواقيع واللعن كالشلمغاني. إلى أن انتهى لـ(ذكر أمر أبي بكر البغدادي ابن أخي الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وأبي دلف الجنون) - والمدعى للأمر العظيم هو البغدادي وأبو الدلف أبرز أعوانه - فقال عليه مسند للثقات: "أخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان [وهو المفید]، عن أبي الحسن علي بن بلاط المهلبي قال: سمعت أبا القاسم جعفر بن محمد بن قولويه [شيخ المفید جليل القدر] يقول: أما أبو دلف الكاتب - لا حاطه الله - فكنا نعرفه ملحدا ثم أظهر الغلو، ثم جنَّ وسلسل، ثم صار مفوضا وما عرفناه قط إذا حضر في مشهد إلا استُخفَّ به، ولا عرفته الشيعة إلا مدة يسيرة، والجماعة تتبرأ منه ومن يومي إليه وينمس به. وقد كنا وجهاً إلى أبي بكر البغدادي لما ادعى له هذا ما ادعاه، فأنكر ذلك وحلف عليه، فقبلنا ذلك منه، فلما دخل بغداد مال إليه وعدل عن الطائفة وأوصى إليه، لم نشك أنه على مذهبها، فلعنَّاه وبرئنا منه؛ لأنَّ عندنا أن كل من ادعى الأمر بعد السمرى عليه فهو كافر منمس ضال مضل، وبالله التوفيق".

وظاهره الإجماع والاتفاق على ذلك حكما، مع موافقة الشيخ عليه، وتوجيهه أن يكون منتسباً للمذهب الحق مع كونه مدعياً لهذا الأمر العظيم، لأن يكون قائماً بمذهب في قبال مذهب الإمامية.

فيكون دليلاً - لو ثبتت كاشفيته عن الحكم الشرعي وتلقيه من المعصوم عاشور عليه - على كفر مدعى السفاراة عن مولانا صاحب العصر والزمان عاشور بعد وفاته السمرى عليه سنة تسع وعشرين وثلاثمائة إلى أوان ظهوره عليه.

## **الجهة الثانية: في حكمه بالنسبة لغيره:**

قد تبين لك في الجهة الأولى حكمه بالنسبة لنفسه، وأنه إما خارج عن المذهب يعامل معاملة الفرق الأخرى من المسلمين بدلالة الأدلة اللفظية، وإما أنه خارج عن ربوة الإسلام بالكلية بحكم الأدلة اللببية.

وعلى الأخير، فإنه لا تثبت له حقوق المسلمين ولا أحكامهم، وأنه يجري عليه حكم المرتد الفطري لو كان مسلماً عن فطرة، وحكم الملي لو كان ملياً.

نعم لا بد من استيضاح حاله، فإنه تارة يكون مقروراً باحتمال الشبهة فيه، فيرشد إلى جواهيرها، وتارة لا تتحمل الشبهة فيه ولا يلتمس له عذر، فيكون مقطوعاً بالحكم بالارتداد والكفر. وأما لو لم نقل بكفره مع خروجه عن المذهب أو بدونه، فلا شكّ في كونه مبتدعاً في الدين بما ليس منه، وثبت له أحكام المسلمين. إلا أنَّ أهلَ البدعِ والمعاصي يُجبُ ردُّ بدعهم بحسب مراتب النهي عن المنكر المقررة عند المشهور، فتُجب مقاطعتهم بعدم صحبتهم أو مجالستهم.

يدلُّك عليه ما روی بسنده صحيح في الكافي إلى عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّه قال: «لا تصحُّبوا أهلَ البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحدٍ منهم، قال رسول الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المرء على دين خليله وقرينه»<sup>(٤)</sup>.

وإظهار البراءة منهم والإكثار من الواقعية فيهم وخصمهم بالحجج حتى ينقطع شرُّهم، ويفضحهم الله أمام عباده بما قدمت أيديهم، كما دلت عليه صحيحة داود بن سرحان عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذارأيتم أهلَ الريب والبدع من بعدِي فأظهرُوا البراءة منهم وأكثروا من سبِّهم والقول فيهم والواقعية، وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرُهم الناسُ ولا يتعلمون من

بدعهم يكتب الله لكم بذلك المحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة<sup>(٥)</sup>. بل وإن في صحبتهم ما هو أكثر من الحكم التكليفي الإلزامي، مما هو إرشاد إلى أن مواضعهم مواضع نزول النقم، كما في خبر الجعفري، قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: مالي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟ فقلت إنه خالي، فقال: إنه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يوصف، فإما جلست معه وتركتنا، وإما جلست معنا وتركته، فقلت: هو يقول ما شاء، أي شيء على منه إذا لم أقل ما يقول؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أما تخاف أن تنزل به نسمة فتصيبكم جميعاً، أما علمت بالذى كان من أصحاب موسى عليه السلام، وكان أبوه من أصحاب فرعون، فلما لحقت خيل فرعون بموسى تخلف عنه ليعظ أباه فيلتحقه بموسى، فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر، فغرقا جميعاً فأتى موسى الخبر فقال: هو في رحمة الله، ولكن النسمة إذا نزلت لم يكن لها عنم قارب المذنب دفاع»<sup>(٦)</sup>.

وقد أولى علماؤنا المتقدمون عناية بسلوك منهج المقاطعة لأهل البدع والضلالات والاستهزاء بهم وكشف تزويراتهم وتلبيساتهم في الدين على عوام المؤمنين. فقد أورد الشيخ حنبل في كتابه المزبور ما فيه تدليل على المسلك العام لعلماء الطائفة منذ أول ظهور مدع للسفارة والنيابة – وهي المعبر عنها بالأمر العظيم – في عصر حضورهم عليه السلام إلى عصر الغيبتين الصغرى والكبرى. فقد روى حنبل: أنَّ (أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه) هو الشرعي من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ثم الحسن بن علي بعده عليهما السلام، (فلعنتم الشيعة وتبرأتم منه، وخرج توقيع الإمام عليهما السلام بلعنه والبراءة منه)<sup>(٧)</sup>. ثم ادعى البابية والنيابة من بعده محمد بن نصير النميري، الذي كان يأتي الفواحش ويأمر بها بزعم أنها من الطيبات التي لا يحرمها الله عزوجل، وروى فيه الشيخ عن أبي طالب الأنباري: أنه لما ظهر محمد

بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر عليه السلام وتبرأ منه، فبلغه ذلك، فقصد أبا جعفر عليه السلام ليغطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه، فلم يأذن له وحجبه ورده خائبا<sup>(٨)</sup>.

ومنهم: أبو طاهر محمد بن علي بن بلال، الذي ادعى الوكالة فترة سفارته أبي جعفر محمد بن عثمان عليه السلام، (حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان عليه السلام ما هو معروف)<sup>(٩)</sup>. ومنهم: الحسين بن منصور الحاج، الذي يتخد بعض الفلاسفة شعاراً للمعرفة والتصوف، فقد روى الشيخ عليه السلام عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال: «لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له أن أبا سهل إسماعيل بن علي النوبختي عليه السلام من تجوز عليه مخرقه وتم عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه، وظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله، وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق (به) ويتسوف بانقياده على غيره، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعف، لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحله من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول له في مراسلته إياه: إني وكيل صاحب الزمان عليه السلام - وبهذا أولاً كان يستجرُّ الجھالَ ثم يعلو منه إلى غيره - وقد أمرت براسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوى نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر.

فأرسل إليه أبو سهل عليه السلام يقول له: إني أسألك أمراً يسيرًا يخفف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أني رجل أحب الجواري وأصبو إليهن، ولني منهن عدة أتحظاهن والشيب يبعدني عنهن [ويبغضني إليهن] وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة، وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك، وإنما انكشف أمري عندهن، فصار القرب بعدها والوصال هجراً، وأريد أن تغبني عن

الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإني طوع يديك، وصائر إليك، وقاتل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولنك من المعونة. فلما سمع ذلك الحالج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلمته وجهل في الخروج إليه بمذهبة، وأمسك عنه ولم يرد إليه جوابا، ولم يرسل إليه رسولا، وصيده أبو سهل عليه السلام أحدوثة وضحكة ويطنز به عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سببا لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه».

ومن لطيف ما روى كذلك عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه: «أنَّ ابن الحالج صار إلى قم، وكاتب قرابة أبي الحسن يستدعيه ويستدعي أبي الحسن أيضا ويقول: أنا رسول الإمام ووكيله، قال: فلما وقعت المكاتبة في يد أبي عليه السلام خرقها وقال لموصلها إليه: ما أفرغك للجهالات؟ فقال له الرجل - وأظن أنه قال: أنه ابن عمته أو ابن عمه - فإن الرجل قد استدعانا فلم خرق مكاتبته؟ وضحكوا منه وهزوا به، ثم نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه. قال: فلما دخل إلى الدار التي كان فيها دكانه نهض له من كان هناك جالسا غير رجل رأه جالسا في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه أبي، فلما جلس وأخرج حسابه ودواته كما يكون التجار أقبل على بعض من كان حاضرا، فسألته عنه فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنه، فأقبل عليه وقال له: تسؤال عنني وأنا حاضر؟ فقال له أبي: أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك، فقال له: تخرب رقعي وأنا أشاهدك تخربها؟ فقال له أبي: فأنت الرجل إذا، ثم قال: يا غلام برجله وبقفاه، فخرج من الدار العدو الله ولرسوله، ثم قال له: أتدعي المعجزات عليك لعنة الله؟ أو كما قال فأخرج بقفاه بمارأيناها بعدها بقم»<sup>(١٠)</sup>.

ومنهم الشلماغاني المعروف بابن أبي العزاقر، الذي كان مقدما لدى أبي القاسم

الحسين بن روح عليه السلام لكونه أحد فقهاء الطائفة قبل ارتداده، وقد كتب كتاب (التكليف) الذي عرض على جمع من علماء بغداد وقم، واستظهر بعض علمائنا أنه رسالة ابن بابوته للأب نفسه، والكتاب في نفسه ممدوح معول عليه إلا ما استثنى منه في كتاب الشهادات<sup>(١١)</sup>، إلا أنه لحسده لأبي القاسم الحسين بن روح آخر الخروج عن المذهب بادعاء البابية والآراء الباطلة، وكان لقوته فكره وتكلمه يقلب على الناس الكلام والمعاني، فيدعى أن اللعن الصادر فيه رحمة له وإظهار لعلو شأنه؛ لكونه من أهل الاختصاص فلما أذاع السر أبعد، وأول ما ورد من اللعن فيه وأن له (باطنا عظيما وهو أن اللعنة الإبعاد)، وقال لما بلغه ذلك في معناه: "لعنه الله أي باعده الله عن العذاب والنار، والآن قد عرفت منزلتي ومرغ خديه على التراب وقال: عليكم بالكتمان لهذا الأمر". وذكر حاله وقبائحه لله عز وجل يطول سرده، إلا أن الغرض من ذكره بيان حال المتشرعاً مع أمثاله معاملة وحكمها، فقد روى الشيخ عليه السلام في سبب مقاله ما يظهر منه اتفاق أهل العلم على تكفير الشلمغاني ومن آل ماله من أمثاله، بل وإهدارهم لدمه، قال عليه السلام: "وكان سبب قتله: أنه لما أظهر لعنه أبو القاسم بن روح عليه السلام، واشتهر أمره وتبرأ منه وأمر جميع الشيعة بذلك، لم يكنه التلبيس، فقال -في مجلس حافل فيه رؤساء الشيعة، وكل يحكى عن الشيخ أبي القاسم لعنه والبراءة منه-: أجمعوا بيوني وبينه حتى آخذ يده ويأخذ بيدي، فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه وإنما فجميع ما قاله في حقه، ورقى ذلك إلى الراضي -لأنه كان ذلك في دار ابن مقلة- فأمر بالقبض عليه وقتله، فقتل واستراحت الشيعة منه"<sup>(١٢)</sup>.

### تذليل في ذكر أساليب المبتدعين وحياتهم

بما تقدم في أطراف الجهة الثانية يتبين أن المدعين لهذا الأمر الخطير لم يكونوا

من يجهلون كيفية استغلاق عقول الجهل أو من هم سذاجة تفضحهم، كيف وهذا الشلمغاني فقيه ومتكلم أيام استقامته، ومروج لضلالاته أيام اختلاطه، وتبعه آل فضال وقدموه وعظموه. ونذكر هنا اثنتين من الطرق التي يتواхها هؤلاء سبيلاً لاستغفال المؤمنين وضمهم لطريقتهم الضالة.

#### أولاً: دعوى المنامات:

وهي أشهر طرقهم وأكثرها استعمالاً بين هؤلاء، بل تكاد تقترب بدعواهم دائماً. والسر فيها هو أنها سلاح لا يكذبه المغفل والمغرور، ولا يسعه إلا تصديقه لو اقترن ببعض الإخبارات الخاصة والتفصيلية. وقد يتمسك هذا المدعى للدلالة على حقانية الرؤى والأحلام ببعض الأخبار ذات لسان (من رأنا فقد رأنا، فإن الشيطان لا يتصور أو يتمثل بنا).

والجواب عنه: أن الحديث -لو صح- كان المراد به أن الشيطان لا يتمثل بصورة النبي ﷺ المعلومة والحقيقة التي يصح معها نسبة الصورة إليه حقيقة كما هو ظاهر التعبير، وأن بإمكانه التمثل بصورة يزعم للرأي بها أنها صورة نبيه ﷺ أو غيره من الحجج (صلوات الله عليهم). أو أن يقوم القطع على أن المائي في المنام هو الحجة ﷺ لقرينة تورث العلم بصدق رؤياه، كما يأتي التمثيل له.

وقد ذكر السيد المرتضى عليه السلام سؤالاً وجواباً لهذا في رسائله ضمن مسألة المنامات ورؤيا الأنبياء، قال: "فما تأويل ما يروى عنه ﷺ من قوله: (من رأني فقد رأني فإنَّ الشيطان لا يتمثل بي)، وقد علمنا أن الحق والمبطل والمؤمن والكافر قد يرون النبي ﷺ ويخبر كل واحد منهم عنه بضد ما يخبر به الآخر، فكيف يكون رائياً له في الحقيقة مع هذا؟ قلنا: هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار

الآحاد، ولا معول على مثل ذلك. على أنه يمكن مع تسلیم صحته أن يكون المراد به: من رأني في اليقظة فقد رأني على الحقيقة، لأن الشيطان لا يتمثل بي لليقظان. فقد قيل: إن الشيطان ربما قتل بصورة البشر<sup>(١٣)</sup>.

لكنه حمل بعيد لظاهر المنقول من قول النبي ﷺ، بل هو وارد في المنام والرؤى لا اليقظة والانتباه. ويidel عليه المروي في الفقيه عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا علیہما السلام أنه «قال له رجل من أهل خراسان: يا ابن رسول الله رأيت رسول الله علیہما السلام في المنام كأنه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعي، واستحفظتم وديعتي، وغيب في ثراكم نجمي، فقال له الرضا علیہما السلام: أنا المدفون في أرضكم، أنا بضعة من نبيكم، وأنا الوديعة والنجم، إلا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله عزوجل من حقي وطاعتي فأنا وأبائي شفاعة يوم القيمة، ومن كنا شفعاؤه نجى ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والإنس، ولقد حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه علیہما السلام أن رسول الله علیہما السلام قال: من رأني في منامي فقد رأني لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة واحدة من شيعتهم وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءا من النبوة».

وتتأييده علیہما السلام وتصديقه للرؤيا ليست دليلا على ما استظره من لزوم كون الرئي دائمًا هو علیہما السلام أو كون رؤيته عالمة على صدقها، بل الدليل على كون الرئي في المنام شخص النبي علیہما السلام تأييد الحجة علیہما السلام لنفس الرؤية.

وفيها نفي لأن يتمثل الشيطان بوحد من الشيعة كذلك، وكم تمثل الشيطان بصورة ادعى كونها مؤمن من المؤمنين لكثير من الرائين والنائمين!، وهذا أمر وجداني يوجب صرف الخبر عن ظاهره الأولى.

بل إن حقيقة تمثل الشيطان في المنام في صورة توهם بكونها لبعض الحجاج -

فضلا عن باقي الناس - قد حصل مصادقه زمن حضورهم عليهما السلام، فقد روى الكشي  
عما وجده بخط جبريل بن أحمد: حدثني محمد بن عيسى، عن علي ابن الحكم، عن  
حمد بن عثمان، عن زرار، قال: قال أبو عبد الله عليهما السلام: «أخبرني عن حمزة أيزعم أن  
أبي آتيه؟ قلت: نعم. قال: كذب والله ما يأتيه إلا المتكون، إن إيليس سلط شيطانا  
يقال له المتكون يأتي الناس في أي صورة شاء، إن شاء في صورة صغيرة، وإن شاء في  
صورة كبيرة ولا والله ما يستطيع أن يجيء في صورة أبي عليهما السلام»<sup>(١٤)</sup>.

#### ثانياً: التمسك ببعض الأخبار:

وقد يتمسك المدلس ببعض أخبار عصر الظهور فيؤوها في شخصه، ويرتب  
عليها وجوب اتباعه، ولنذكر مثلاً معاصرًا عليها.  
منها: ما استدل به بعض المنحرفين عن جادة الطريق المستقيم في أرض العراق.  
وحاصلها - بعد أن أدعى أنه قد التقى بإمام زمانه عليهما السلام وعرفه شأنه، وأن هذا  
المدعي هو من سلالة النبيين وأنه ابنه - إن الشيخ حبيب في كتاب الغيبة قد روى عن  
جماعة، عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري، عن علي بن سنان  
الموصلي العدل، عن علي بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن الخليل، عن جعفر بن  
أحمد المصري، عن عممه الحسن بن علي، عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد،  
عن أبيه الباقي، عن أبيه ذي التفاتات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد،  
عن أمير المؤمنين عليهما السلام قال: «قال رسول الله عليهما السلام - في الليلة التي كانت فيها  
وفاته - لعلي عليهما السلام: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواء. فأملا رسول الله عليهما السلام وصيّته  
حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال: يا علي إنه سيكون بعدي إثنا عشر إماماً ومن  
بعدهم إثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثنين عشر إماماً... فإذا حضرتك الوفاة

فسلمها إلى ابني الحسن البر الوصوٰل، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول... فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد عليهما السلام. فذلك اثنا عشر إماماً، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، [إذا حضرته الوفاة] فليسلمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسماء: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين»<sup>(١٥)</sup>.

فدللت وباعتراف الشيخ جعفر عليهما السلام - على وجود اثنى عشر مهدياً بعده عليهما السلام، وأولهم ابنه، وهو نفس هذا المدعى، فوجبت طاعته وأنه الواسطة بين الخلق وحجة الخلق أجمعين، إلى غيرها من الإدعاءات<sup>(١٦)</sup>.

#### والجواب ينحل لجهات:

**المقدمة الأولى:** في ادعاء المشاهدة وتبلیغ الأوامر على نحو السفاراة والنيابة الخاصة قبل السفياني والصيحة، وقد تقدم تفصيل كل ذلك فلا نعيد، وعرضنا لك أدلة استحالته ونفيه هذا العصر بأكثـر من وجهـ، وأن مدعيها مبتدع خارج عن الدين.

**المقدمة الثانية:** في صحة الاستدلال بهذه الرواية. وتلاحظ أنها ضعيفة بجهالة الراوي أوها، وجهاـلة حال علي بن سنان العـدل، ولم يستبعد السيد الخوئي عليهما السلام كونه من العامة لمكان هذا اللقب<sup>(١٧)</sup>، بل عـدهـا الشيخ الحرـ عليهما السلام في (جملة الأحاديث التي رواها من طرق العامة، في النـصـ علىـ الأئمـةـ عليهـماـ السـلامـ)<sup>(١٨)</sup>، لكنـهـ مجرد حـدـسـ بحسبـ الـظـاهـرـ؛ فهوـ منـ روـىـ عنـ أـبـيهـ ماـ جـرـىـ بعدـ شـهـادـةـ الإمامـ العسكريـ عليهـماـ السـلامـ وأـمـرـ الغـيـبةـ وـوـفـدـ قـمـ إـلـىـ سـرـ مـنـ رـأـىـ، وـرـوـىـ عـنـهـ الشـيـخـ الصـدـوقـ فيـ (كمـالـ الدـينـ)<sup>(١٩)</sup> وـابـنـ عـيـاشـ فيـ (مقـتضـبـ الـأـثـرـ) رـوـاـيـةـ فيـ فـضـائـلـ عـلـيـ عليهـماـ السـلامـ وـلـقـبـهـ الـأـخـيرـ

بـ(المعدل)^(٢٠).

أما علي بن الحسين، فهو ابن بابويه الأب، بقرينة روایته عن شیخه أَمْدَنْ بن محمد الخليلي، وما وقع في السند لعله من سهو القلم.

وأما دلالتها، فھي نصٌّ في الأئمة الاتنى عشر، ودالة على وجود اثنى عشر مھدياً بعدهم، أو لهم ابنه. وبغض النظر عن معارضتها لما ورد من أخبار تفيد تعاقب الأئمة علیھم السلام بعده أو غيرهم، فإن الضمير في (فليسلمها) الأخيرة لم يتبيّن المراد منه، فھي إن كانت الإمامة فقد انقضت بإمامية الاتنى عشر علیھم السلام، وإن أريد غيرها فالمعنى بجمل جداً. وهذا المنصب للمھديين هو بعد انتهاء ولاية الإمام علیھم السلام، وليس لهم دور مذكور -بحسب هذه الرواية أو غيرها- قبلها أو قبل زمن الظهور.

هذا كلھ، مع أن الرواية لا يمكن الأخذ بها مع ضعف قرائن الصدور، وشذوذها ومخالفتها لطوائف أخرى من النصوص مرّ عليك جملة وافية منها ضمن الفصول الماضية.

**الجهة الثالثة:** في تطبيق العناوين على مصاديقها. إذا تقرر ما مرّ عليك، فنقول: إن التطبيق الجزافي للعناوين المأكولة في متون الأخبار -فضلاً عن عدم ملاحظة صحة صدورها من عدمه- لا يحترفه إلا الجاهل بالضوابط الشرعية والقوانين الفقهية، ولا يمكن أن يكون -والحال هذه- ولیاً على أمر الأمة بالنيابة عن صاحب الأمر علیھم السلام، إذ في اتباعه مھلكة الدين وتضييع حکمة الحکيم، عز أن لا يكون إلا حکيماً. وإن قلنا بصدق الخبر المزبور وتمامية ما استظہروه، إلا أنه لا تُذهب العقول الأمانی، ولا تستغلق البصائر المجهالات؛ فإن من السفة سرعة الانقياد بلا قرینة أو شاهد بیّن من شرع أو متشرعة أو عقل يرشدك إلى صدق المدعى من كذبه، بل العقل هنا أول الحجج، وهو حصن من تقدم الھلكات ومرشد لسبل النجاة.

ففي حديث ابن السكيت عن الإمام الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ قَالَ: «وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً عَلَيْهِ الْكَلَمَ فِي وَقْتٍ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الْخُطْبَ وَالْكَلَامَ وَأَظْنَهُ قَالَ: الشِّعْرُ فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَحْكَمَهُ مَا أَبْطَلَ بِهِ قَوْلَهُمْ، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحِجَةَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَقَالَ ابن السكيت: تَالَّهُ مَا رَأَيْتَ مِثْلَكَ قَطُّ فَمَا الْحِجَةُ عَلَى الْخَلْقِ الْيَوْمَ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ: العُقْلُ، يَعْرُفُ بِهِ الصَّادِقُ عَلَى اللَّهِ فَيَصِدِّقُهُ وَالْكاذِبُ عَلَى اللَّهِ فَيَكْذِبُهُ، قَالَ: فَقَالَ ابن السكيت: هَذَا وَاللَّهُ هُوَ الْجَوَابُ»<sup>(٢١)</sup>.

**المقدمة الرابعة:** في التعامل مع المدعى لهذا الأمر. فقد تبين لك بحمد الله من أول التذليل: أن الأمر لا يختلف عبر العصور، فالحال واحد والتكليف واحد، إلا أن الصور وتفاصيلها تفترق من زمن لآخر، فإن أساليب المدعين للأمر كانت بحسب ما هو تحت يدهم من الوسائل المتاحة للتصرف -كما تقدم ذكر الحالـ وأنه كان يستعين بالوسائل الخاصة، والسلمعاني الذي يستعين بشهرته وميل قلوب بنـ فضـالـ إـلـيـهـ - بـخـالـفـ هـذـاـ العـصـرـ الذـيـ اـتـسـعـتـ فـيـهـ جـوـانـبـ النـفـوذـ لـلـقـلـوبـ وـالـأـسـعـاءـ وـالـأـبـصـارـ،ـ فـكـانـ مـنـ الـحـتـمـ أـنـ يـوـاجـهـواـ بـاـ يـنـاسـبـ سـلاـحـهـمـ أـوـ بـاـ يـُضـعـفـهـ وـيـهـوـنـ أـمـرـهـ؛ـ كـمـاـ قـدـمـنـاـ لـكـ الـحـدـيـثـ فـيـ اـسـتـهـزـاءـ الـأـصـحـابـ وـاسـتـخـافـهـمـ وـتـبـيـنـ جـهـالـاتـ الـمـدـعـينـ أـمـامـ الـمـلـأـ وـالـمـؤـمـنـينـ.

وصلى الله على محمد وآلـهـ أـجـمـعـينـ،ـ وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ.

### المواهش:

- (١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ج ١، ط دار الكتب الإسلامية، طهران، ص ٣٧٢، ح ٢.
- (٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، ط ١، مؤسسة المعارف الإسلامية، ص ٣٩٧.

- (٣) المصدر السابق، ص ٤١٢، ح ٣٨٥.
- (٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، تحقيق الغفارى، ط ٤، دار الكتب الإسلامية، طهران، ح ٣، ص ٣٧٥.
- (٥) نفس المصدر، ح ٤، ص ٣٧٥.
- (٦) نفس المصدر، ح ٢، ص ٣٧٥.
- (٧) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، ط ١، مؤسسة المعرفة الإسلامية، ص ٣٩٧.
- (٨) نفس المصدر، ح ٣، ص ٣٩٨.
- (٩) نفس المصدر، ص ٤٠٠.
- (١٠) نفس المصدر، ص ٤٠٢-٤٠٣.
- (١١) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، ج ١، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٤١٤.
- (١٢) نفس المصدر، ح ٤، ص ٤٠٨.
- (١٣) المرتضى، السيد الشريف، رسائل المرتضى، ج ٢، إعداد السيد الرجائي، ط دار القرآن الكريم قم، ص ١٢-١٣، ١٤٠٥.
- (١٤) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال للكشي، ج ٢، ط مؤسسة آل البيت علیهم السلام، قم، ص ٥٨٩.
- (١٥) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، ط ١، مؤسسة المعرفة الإسلامية، ص ١٥١.
- (١٦) انظر البلاغ المبين، من إصدارات (أنصار الإمام المهدي علیه السلام).
- (١٧) الخوئي، السيد أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ج ١٢، ط ١٤١٣ هـ ص ٤٦.
- (١٨) العاملي، محمد بن الحسن، الإيقاظ من الهمجنة بالبرهان على الرجعة، ط ١، منشورات دليل ما ١٤٢٢ هـ ص ٣٦٢.
- (١٩) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وقام النعمة، ط مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٤٧٦.
- (٢٠) الجوهرى، أحمد بن عياش، مقتضب الأثر، ط مكتبة الطباطبائى، ص ١٠.
- (٢١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ط ٥، دار الكتب الإسلامية، ص ٢٥.

# من قرئنا

## دراسات توهينية من خلال الآيات القرآنية

قصي الشيخ علي العربي

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(۱)</sup>. حينما نعرض هذه الآية المباركة على الروايات المتعددة الواردة في تفسير ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾ سنرى أن المراد بها هو وجود الإمام المهدي ﷺ ومن هذه الروايات ما نقل عن الإمام الباقر ع عليهما السلام في كتاب إكمال الدين: «أوَّل ما ينطق به القائم ع حين يخرج هذه الآية «بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» ثم يقول: أنا بقية الله وحجّته وخليفته عليكم، فلا يسلم عليه مسلم إلا قال السلام عليك يا بقية الله في أرضه»<sup>(۲)</sup>. وقد جاء في تفسير الأمثل: إن آيات القرآن الكريم بالرغم من نزولها في موارد خاصة، إلا أنها تحتل مفاهيم جامعة وكُلية، بحيث يمكن أن تكون مصداقاً في العصور والقرون التالية وتنطبق على مجال أوسع أيضاً.

صحيح أن المخاطبين في الآية المتقدمة هم قوم شعيب، والمراد من ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾ هو الربح ورأس المال الحلال أو الشواب الإلهي، إلا أن كل موجود نافع باق من قبل الله للبشرية، ويكون أساس سعادتها وخيرها يعد ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾ أيضاً. فجميع أنبياء الله ورسله المكرمين هم ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾ وجميع القادة الحقّ الذين يبقون بعد المهداد المرير في وجه الأعداء فوجودهم في الأمة يُعدُّ ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾ وكذلك الجنود المقاتلون إذا عادوا إلى ذويهم من ميدان القتال بعد انتصارهم على الأعداء فهم ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾، ومن هنا فإن «المهدي الموعود» ع آخر إمام وأعظم قائد ثوري بعد النبي ﷺ من

أجل مصاديق ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾ وهو أجد من سواه بهذا اللقب، خاصة أنه الوحيد الذي يحيى بعد الأنبياء والأئمة عليهما السلام<sup>(٣)</sup>.

### المستقبل للإسلام

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. تزف هذه الآية المباركة البشرى للمسلمين باستيعاب الإسلام العالم بأسره، وعدم الفلاح لأعداء الإسلام في محاولاتهم الخبيثة بوجه الإسلام أبداً. والمقصود من المدى - كما جاء في الآية الكريمة - هو الدلائل الواضحة. والبراهين الجلية التي وجدت في الدين الإسلامي.

وأماماً المراد من دين الحق، فهو هذا الدين الذي أصوله حقة وفروعه حقة أيضاً وكل ما فيه من تاريخ وبراهين ونتائج حق، ولا شك أن الدين الذي محتواه حق، ودلائله وبراهينه حقة، وتاريخه حق جلي، لا بد أن يظهر على جميع الأديان. ومبرور الزمان وتقدم العلم وسهولة الارتباطات، فإن الواقع سيكشف وجهه ويطلعه من وراء سُدُلِ الإعلام المضلل، وستزول كل العقبات والموانع والسدود التي وضعت في طريق انتشار الإسلام.

وهكذا فإن دين الحق سيستوعب كل مكان، ولا يحول بينه وبين تقدمه شيء أبداً، لأن الحركات المضادة للإسلام حركات مخالفة لسير التاريخ وسفن الحلق.

### آية جاء الحق...وقيام المهدى

قال الله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾<sup>(٥)</sup>. تفسير هذه الآية كما في بعض الروايات بقيام دولة المهدى عليه السلام فالإمام الباقر عليه السلام يبين أن مفهوم الكلام الإلهي هو: «إذا قام القائم ذهب دولة الباطل»<sup>(٦)</sup>. وفي رواية أخرى

نقرأ آية حينما ولد المهدى ﷺ كان مكتوباً على عضده قوله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾.

إنَّ مفهوم هذه الأحاديث لا يحصر المعنى الواسع للآية بهذا المصدق، بل إنَّ ثورة المهدى ﷺ ونهضته هي من أوضح المصاديق حيث تكون نتيجتها الانتصار النهائي للحق على الباطل في كل العالم. وبالنسبة للرسول ﷺ نقرأ آية ﴿أَنَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ دَخَلَ فِي يَوْمٍ فَتَحَ مَكَّةَ، الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَحَطَمَ (٣٦٠) صَنْمَاءَ كَانَتْ لِقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَكَانَتْ مَوْضِعَةً حَوْلَ فَنَاءِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ عَلَيْهِ وَاللَّهُ يَحْطُمُهَا الْوَاحِدُ تَلَوَ الْآخِرِ بِعَصَاهِ، وَهُوَ يَقُولُ: جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾.

وخلصة القول: إنَّ حقيقة انتصار الحق وانهزام الباطل هي تعبير عن قانون عام يجري في مختلف العصور، وانتصار الرسول ﷺ على الشرك والأصنام، ونهضة المهدى ﷺ الموعودة وانتصاره على الظالمين في العالم، هُما من أوضح المصاديق لهذا القانون العام. وهذا القانون يبعث الأمل في نفوس أهل الحق، ويعطيهم القوة على مواجهة مشاكل الطريق في عملهم ومسيرهم الإسلامي. من هنا يمكننا أن نستفيد من الآية المباركة أعلاه: حتمية انتصار الحق وهزيمة الباطل، فهي تعتبر أصلاً تاماً، وأساساً مهماً، وسنة إلهية خالدة تزرع الأمل في قلوب أنصار الحق، هذا الأصل هو أنَّ عاقبة الحق الانتصار، وعاقبة الباطل الاندحار، وأنَّ للباطل صولة وبرق ورعد، وله كر وفر، إلاَّ أنَّ عمره قصير، وفي النهاية يكون مآلُه السقوط والزوال. الباطل كما يقول القرآن: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٧)</sup>.

ومثل هذا كما في الرسالة الإلهية فهي كالغيث المطر من السماء على الأرض فتستقبلها الأودية ليروي الزرع والضرع، ويجعل الأرض مخضرة، ويزيل شوائب

الحياة «الزبد» ولكن الإنسان -للأسف- بدل أن يهتم بالماء نجده يهتم بهذا الزبد الطافح عليه، ألا يدل ذلك على قصر النظر؟! فليس النفع في الزبد ولكن النفع في الماء، والزبد هو الشيء الظاهر، والإنسان لا يبحث غالباً عن الظاهر، وهو عادةً يحبُّ الظاهر، فالزبد يمثل متع الحياة الدنيا وليس الحياة الدنيا بأفضل من الزبد، بل هي والزبد سواء. لهذا فإنَّ سبب كون متع الحياة كالزبد، لكونها تشغله تشغيل الإنسان بالظاهر كالزبد، وتدعه ينسى هدفيَّة الحياة ويتصور أن هدفيَّة الحياة هو ما يحصل من هذه المتع. إذاً فمتع الحياة مثل الزبد، وهذا هو الباطل، أما الحق فعادةً ما يغفل عنه، ذلك لأنَّ الحق ليس الذي يستهويك، إنما الحق هو الذي يكمن خلف المباحث، فلا تغرنك المباحث بل ابحث خلفها عن الحقيقة الناصعة.

ويتلخص لنا مما سبق: أن الزبد يتلاشى ويضيع هدرًا، قال الراغب في مفرداته: جُفاءً: وهو ما يرمي به الوادي أو القدرُ من الغثاء إلى جوانبه يقال: أ杰فأت القدر زبدَها: ألقته إجفاءً، وأ杰فأت الأرض: صارت كالجفاء في ذهاب خيرها<sup>(٨)</sup>.

وإذا زال الزبد بقي الجوهر، والباطل لا يستطيع أن يعطي الحق أبداً الأبدان، فالباطل سريع الزوال، لأنه ضدُّ الطبيعة، وهو لا يمتلك مؤهلات الوجود ليس تستمر. والدليل عليه كامن في بطنه، حيث أنه لا يتفق مع القوانين العامة للوجود، وليس له رصيدٌ من الواقعية والحقيقة. وإنَّ الباطل شيء مصنوع ومزور وأجوف، ليست له جذور، والأشياء التي لها صفات كهذه -عادةً- لا يمكنها البقاء طويلاً. أما الحق فله أبعاد وجذور متناسبة مع قوانين الخلق والوجود، ومثله ينبغي أن يبقى. وأنصار الحق يعتمدون سلاح الإيمان، مَنْطَقُهم الوفاء بالعهد، وصدق الكلام، والتضحية، وهم مستعدون أن يضحوا بأنفسهم والاستشهاد في سبيل الله، قلوبهم مُنورة بنور المعرفة، لا يخافون أحداً سوى الله، ولا يعتمدون إلاً عليه، وهذا هو سر انتصارهم.

**سيحكم الصالحون الأرض، ويجعلونها تنعم وتسعد بالعدل الإلهي:**

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. لأنَّ الإنسان مسؤول عن تصرفاته بجميع أشكالها وأنواعها، فقد منَ الله على الصالحين المؤمنين إلى جانب ثوابهم في الآخرة بوراثة الأرض كمكافأة دنيوية لهم بعدهما قاموا بتصفية أنفسهم من رواسب العقد والعقائد الفاسدة، وإيقاظها من غفلتها، فكانوا بحق أهلاً -من خلال استعدادهم - لتلقي هذه الحقيقة وهي وراثة الصالحين الأرض جمِيعاً.

وهنا قد يسأل قارئي الكريم، وهو كيف يتم ذلك للصالحين فقط؟ فنقول: لأنَّ الحياة مبنية على أساس الصلاح، وليس على أساس الفساد، فلو كان الكون فاسداً لتحطم وزال. ثمَّ قد يسأل عزيزي القارئ: ما هي علاقة هذا الأمر بحديثنا في قوله: ﴿عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾؟ كما تعلمون أنَّ الإنسان الصالح هو الذي يسير وفق سنن الله، ولا بدَّ أن يسير منسجماً مع مسيرة الكون، ولا بدَّ أن يتقيها في يومٍ من الأيام، أما الإنسان الفاسد الذي لا يسير وفق سننه، فإنه من الطبيعي أن يفترق عن مسيرة الكون، وتكون بينهما هوة تتسع مع الزمن، والذي يسير وفق برامج الحق لا بدَّ أن يتتقى مع الكون، أما الذي يسير وفق أهوائه فإنه سوف يكون إما وبالاً على الكون فينشر فيه فساداً، أو يكون الكون وبالاً عليه فيهلكه أو يدمره. إن سنن الله في الكون تُطبَّق شائناً أم أبينا، وإنَّ من يسير وفقها لا بدَّ أن يتلقى معها، بينما الذي يسير ضدها لا بدَّ أن ينتهي، وعنوان هذه السنن هو الصلاح، وقد بني الكون على الصلاح، والصالحون من عباد الله هم الذين يرثون الأرض، لأنَّهم يطبقون سنن الله فيها.

وقد ورد في الآية الكريمة ذكر الزبور والذكر، فلماذا خصّهما ربُّ بالذكر، أوليس هذه سنة إلهية نوهت بها رسالات الله جميعاً؟ بلـ، ولذلك احتمل بعض المفسرين أن يكون الذكر هنا هو القرآن بينما المراد من الزبور هو كل كتاب هبط قبله، من كتب الأنبياء السابقين<sup>(١٠)</sup>. فقد أنقذ الله تعالى بني إسرائيل، ذلك القوم المستضعف من سلطة فرعون، وعلى يد النبي موسى عليه السلام وأورثهم أرض الظالمين. كما أعطى لداود حكماً وهياً أسباب القدرة، فكان من المناسب أن يذكرهما، لأن وراثة كل الأرض تكون للصالحين من خلال منظارين اثنين:

**الأول:** لكي يكون ما تحقق فعلاً على عهدهنا شاهداً على ما يتحقق في المستقبل جرياً على نهج القرآن العظيم في الارتفاع بالقارئ من الحقائق المشهودة الحاضرة إلى الغيب الأوسع مدى.

**الثاني:** وليرعلم كل مؤمن بأن الله سوف يورث الأرض للصالحين من عباده كما فعل في عهد داود وموسى، فيكون ذلك أملاً يبعثه إلى المزيد من النشاط، وبصيرة كونية لمعرفة حركة الكائنات التي تنتهي إلى وراثة الأرض جميعاً.

هكذا نستوحى من الآية فكريتين:

١ - عندما يهبيء العباد المؤمنون الذين يعبدون الله بحق، هذه المؤهلات والأرضيات لأنفسهم، فإنَّ الله سبحانه يساعدهم ويعينهم ليمرغوا أنوف المستكبارين في التراب، ويقطعوا أيديهم الملوثة، فلا يحكمون أرضهم بعدُ، بل تكون للمستضعفين، فيرثونها، وبناءً على ذلك، فإنَّ مجرد كونهم مستضعفين لا يدل على الانتصار على الأعداء وحكم الأرض، بل إنَّ الإيمان لازم من جهة، واكتساب المؤهلات من جهة أخرى، وما دام المستضعفون لم يحيوا هذين الأصلين فسوف لا يصلون إلى وراثة الأرض وحكمها.

٢. تأكيداً لما تقدم فإن الآية التالية تقول: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾. حيث أن ظاهرها هو أن ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى الوعد الذي أعطى للعباد الصالحين في الآية السابقة في شأن الحكومة في الأرض.

وبتعبير آخر: إن الأرض بأكملها سوف تسعد بحكومة عادلة إلهية، وهذه هي التي نجدها فيما يسمى بـ«مزامير داود» والذي هو اليوم جزء من كتب العهد القديم -يلاحظ التعبير الذي ورد في الآية آنفة الذكر - نفسه أو ما يشبهه في عدة مواضع، وهذا يوحي بأنه بالرغم من وجود تحريف في هذه الكتب. فقد بقي لنا الكثير من حقائق الوحي ووصايا الأنبياء، ومنها هذا القسم مصوناً من تلاعيب الأيدي به، فإننا نقرأ في بعضها ما ترجمته: «إِنَّ الصَّالِحِينَ سَيِّرُونَ الْأَرْضَ وَسِيسِكُونَ فِيهَا إِلَى الأَبَدِ»<sup>(١١)</sup>. وجاء في جملة أخرى من نفس المزמור: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَيَّامَ الصَّالِحِينَ، وَسِيسِكُونَ مِيرَاثَهُمْ أَبْدِيًّا»<sup>(١٢)</sup>.

نلاحظ هنا بصورة جيدة أن عنوان «الصالحين» الذي جاء في القرآن الكريم، ورد بنفس هذا التعبير في مزامير داود. إنَّ هذا التعبير دليل على عموم حكومة الصالحين. لذلك جاءت النصوص الإسلامية عن الرسول ﷺ تتراء وتبشر بأنه لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل البيت ﷺ يملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وجاء في حديث مأثور عن الإمام الباقر ع عليهما السلام في تفسير هذه الآية «هم أصحاب المهدي في آخر الزمان»<sup>(١٣)</sup>.

وهنا قد يتبدادر إلى ذهن قارئي النبوة هذا السؤال: لماذا تختلفنا وتقدم غير المؤمنين من الصنف الكافر، هل هم صالحون فعلاً؟ لا شك ولا ريب أن الصلاح مطية التقدم، ذلك لأنَّه يعني التوافق بين عمل الإنسان وسنن الخلاق، ونتساءل: إذا

لماذا أصبح الكافر متقدماً علينا؟ هل يشم منهم الصلاح حتى وصلوا بسببه إلى ما هم فيه من تقدم ورقي. نعم، إنهم قد اكتشفوا بعض سنن الله وعملوا بها مثل: السعي، النظام، التخطيط، العطاء، فتقدمو علينا. إلا أن الكفرة لا يملكون خلفية عقائدية صحيحة وبالتالي لا يملكون إطاراً سليماً لنشاطهم، ولم يهتدوا إلى الصراط القويم، فكانوا كمن يجد السير على غير الطريق الصحيح فتراه يركض، ويلك من العزيمة على السير، ووسائل التحرك ما يساعدها على الوصول إلى الهدف، إلا أنه أضلَّ الطريقَ فلا يغنيه السعي والنظام والتخطيط والعطاء شيئاً.

هؤلاء الكفرة حققوا جزءاً من الشرط الثاني دون الشرط الأول والأهم لوارثة الأرض وهو عبادة الله، فلذلك لن يكونوا المبشرين بوراثة الأرض، لأنهم ليسوا عباد الله الصالحين، بل إِنَّهُمْ يَكُونُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ نَسْبَةً يَجِزِيهِمُ اللَّهُ بِتَقْدِيمِهِمُ الْمَحْدُودُ وَالْمُوقَتُ فِي الدُّنْيَا، وَعِنْدَنَا -نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ- نَسْبَةً مِنَ الْفَسَادِ تَخْلُفُ بِسَبَبِهَا فِي الدُّنْيَا. إِذَاً لَا بدَّ مِنْ تَطْبِيقِ كُلِّ الدِّينِ حَتَّى نَكُونَ صَالِحِينَ، وَكُلُّ الدِّينِ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُنَا نَتَعَايشُ مَعَ سَنَنِ الْكَوْنِ وَنَبْشِرُ بُورَاثَةَ الْأَرْضِ بِقَدْرِ تَسْخِيرِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ.

وأخيراً: إن ما يهمني الإشارة إليه في خاتمة هذا البحث المتواضع أن منهجنا في هذه الدراسة السالفة يعتمد على البُعد العلمي للموضوع من خلال القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لأهل بيته العصمة والطهارة عليهم أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، فإن هذه -الدراسة- تعتبر من أوضح الأفكار والرؤى التي تنتسب إلى الحق ونهجه القويم، وهي الفكرة العقائدية الربانية المقدسة التي زرعتها الشريعة السماوية المتعاقبة في حقل الذهن البشري من خلال المسيرة التكاملية للأنبياء والرسل والأوصياء، وهي فكرة المنقذ الذي سيمدُّ يده التي باركتها قدرة السماء لتنتشل البشرية من الأودية السحيقة للظلم والجور إلى مرابع القسط والعدل الإلهي، والتي ستحقق

الأحلام والأمال التي بذل الأنبياء والمصلحون دماءهم زهيدة في سبيل تحقيقها، ساعين بذلك لجذب الدنيا من بؤر الظلم والفساد والعبودية إلى آفاق الحرية والعيش الرغيد.

وبما أن أهمية الدفاع عن هذه العقيدة تنبع من حيث ارتباطها ببداً العقيدة الإسلامية التي عبر عنها النبي ﷺ الأكرم عليه وآله في قوله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»<sup>(١)</sup>.

حتى ذلك اليوم الذي تنقشع فيه كافة السحب والغيوم فيضيء هذا العالم المظلم بنور طلعته البهية. وما أقرب هذا اليوم «أَلَيْسَ الصُّبُّحُ بِقَرِيبٍ». والحمد لله رب العالمين.

## المواهش:

- (١) سورة هود، الآية: ٨٦.
- (٢) نقلًا عن تفسير الصافي.
- (٣) تفسير الأمثل ج ٧ ص ٢٨، بتصرف.
- (٤) سورة الصافات، الآية: ٩.
- (٥) سورة الإسراء، الآية: ٨١.
- (٦) نور النقلين، ج ٣، ص ٢١٢ و ٢١٣.
- (٧) سورة الرعد، الآية: ١٧.
- (٨) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٩٢.
- (٩) سورة الأنبياء، الآيات: ١٠٥ و ١٠٦.
- (١٠) نقل هذا الاحتمال في تفسير جمجمة البیان، وتفسیر الفخر الرازی عن عدة من المفسرين.
- (١١) الجملة ٢٩ في المزمور.

- (١٢) الجملة ١٨ من نفس المزמור أعلاه، طبعاً هناك نصوص كثيرة نقلت في تفسير (الأمثال) في هذا الحقل راجع ج ١٠ ص ١٧٨، ونقلت هذه الجمل من الترجمة الفارسية لكتب العهد القديم، الذي ترجم في عام ١٨٧٨ تحت إشراف الكنيسة المعروفة بـ مجمع البيان البريطانية المقدسة.
- (١٣) تفسير مجمع البيان، في ذيل الآية.
- (١٤) أصول الكافي، ج ١، ص ٣٧٦، الباب الأول، ج ١.

# ولادة المهدى عليه السلام في مصادر أهل السنة والجماعة

غازي عبد الحسن إبراهيم

كَمَّ الْمَهْدِيُّ عليه السلام مشروع إلهي بشرَ به الرسول ﷺ - حقيقة سماوية - وأن الله تعالى سيملأ به الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن تملأ ظلماً وجوراً<sup>(١)</sup>، وهو وعد قرآنى للمظلومين، ووعيد للظالمين، فقد قال الله تعالى في حكم كتابه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْلَفُوكُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحينما نريد أن نتحدث عن ذلك المشروع الإلهي، فالحديث عنه طويل الذيل، وسوف أخصص البحث تحديداً عن نظرة العلماء من الطائفة الإسلامية السننية الكريمة في موضوع ولادة المهدى عليه السلام. علمًا بأن روایات الشيعة في المهدى عليه السلام تجاوزت حد التواتر، وهي صحيحة ومعتبرة في غاية الاعتبار سندًا، بل مقطوعة الصدور، رواها الثقات الأثبات من الأجلاء في جميع الطبقات، الذين لا طريق للغمز فيهم، وصرىحة واضحة من حيث الدلالة.

## أولاً: ولادة المهدى عليه السلام في كلمات علماء أهل السنة والجماعة

أجمع المسلمون الشيعة الإمامية على ولادة المهدى المنتظر عليه السلام وأنه الإمام محمد بن الحسن العسكري، ولد عليه السلام بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس

وخمسين ومائتين للهجرة، أمه مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمها بنت شمعون الصفا وصي عيسى عليهما السلام، ولقبها نرجس<sup>(٣)</sup>. وهو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين ثبتت إمامتهم بالنص الصریح والصحیح من قبل الرسول صلی اللہ علیہ وسلم والأئمۃ من بعده عليهما السلام.

وهناك جمٌع غَيْرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْسَّنَةِ - يَرْبُو عَدْدُهُمْ عَلَى التَّمَانِينِ - ذَهَبَ إِلَى عَيْنِ مَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الشِّعْيَةُ مِنْ وَلَادَةِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُحَسْنِ الْعَسْكَرِيِّ، إِلَّا أَنْ هُؤُلَاءِ يُكَنُّ تَقْسِيمَهُمْ إِلَى قَسْمَيْنِ - عَلَى الرَّغْمِ مِنْ إِقْرَارِهِمْ بِوَلَادَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُحَسْنِ الْعَسْكَرِيِّ - وَذَلِكَ بِلِحْاظِ الْاعْتِقَادِ بِعَهْدِهِ وَعَدْمِهِ:

القسم الأول: من أقرّ بولادة محمد بن الحسن العسكري، وأنه المهدى المنتظر.

١. الحافظ أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم الطوسي البلاذري، المتوفي سنة ٣٣٩ هجرية، حيث التقى الحافظ البلاذري بالمهدي عليهما السلام ونقل عنه رواية بلا واسطة، معبرا عنه بإمام عصره (٤).

٤١٢. الحافظ محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، أبو الفتح البغدادي، المتوفى سنة هجرية، فقد ذكر في الحديث الرابع من أربعينه: قال: أخبرنا محمود بن محمد المروي..... حدثني سيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: قال لي أخي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يلقى الله عز وجل وهو مقبل عليه غير معرض عنه فليتول عليا، ومن سره أن يلقى الله وهو راض عنه فليتول ابنك الحسن، ومن أحب أن يلقى الله عز وجل ولا خوف عليه فليتول ابنك الحسين، ومن أحب أن يلقى الله وهو يحيط عنه ذنوبه فليتول علي بن الحسين فإنه كما قال الله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ آثَرِ السُّجُود﴾ ومن أحب أن يلقى الله عز وجل وهو قرير العين فليتول

محمد بن علي، ومن أحب أن يلقى الله عزوجل فيعطيه كتابه بيمنيه فليتول جعفر بن محمد، ومن أحب أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتول موسى بن جعفر النور الكاظم، ومن أحب أن يلقى الله عزوجل وهو ضاحك فليتول علي بن موسى الرضا، ومن أحب أن يلقى الله عزوجل وقد رفعت درجاته وبدل سياته حسنات فليتول ابنه محمدا، ومن أحب أن يلقى الله عزوجل فيحاسبه حسابا يسيرا ويدخله جنة عرضها السماوات والأرض فليتول ابنه عليا، ومن أحب أن يلقى الله عزوجل وهو من الفائزين فليتول ابنه الحسن العسكري، ومن أحب أن يلقى الله عزوجل قد كمل إيمانه وحسن إسلامه فليتول ابنه صاحب الزمان المهدي، فهو لاء مصابيح الدجى وأئمة الهدى وأعلام التقى فمن أحبهم وتولاهم كنت ضامنا له على الله الجنة»<sup>(٥)</sup>.

٣. أحمد بن الحسن النامي الجامي، المتوفى سنة ٥٣٦ هجرية، فقد قال صاحب نبایع المودة في آخر الباب: ٨٦: وأما شيخ المشايخ العظام أعني حضرة شيخ الإسلام أحمد الجامي النامي، والشيخ عطار النيسابوري، وشمس الدين التبريزى، وجلال الدين مولانا الرومي، والسيد نعمة الله الولي، والسيد النسيمي، وغيرهم (قدس الله أسرارهم ووهب لنا عرفانهم وبركاتهم) ذكروا في أشعارهم في مدائح من أهل البيت الطيبين حفظهم مدح المهدي في آخرهم متصلا بهم، فهذه أدلة على أن المهدي ولد أولا (ض) ومن تتبع آثار هؤلاء الكاملين العارفين يجد الأمر واضحأ عيانا<sup>(٦)</sup>.

٤. يحيى بن سلامة بن حسين بن أبي محمد عبد الله الديار بكري الحصيفي، المتوفي سنة ٥٥٣ هجرية، حيث ذكر ولادة المهدي علیهم السلام وغيته في قصيدة طويلة جاء فيها:

وسائل عن حب أهل البيت هل أقر إعلانا به أم أجحد

هيهات ممزوج بلحمي ودمي  
 حبهم وهو الهدى والرشد  
 حيدرة والحسنان وابنه محمد  
 وجعفر الصادق وابن جعفر  
 أعني الرضا ثم ابنه محمد  
 والحسن التالى ويتلو تلوه  
 فإنهما أئمتي وسادتي  
 وأئمة أكرم بهم تطرد  
 هم حجج الله على عباده  
 هم النهار صوم لربهم  
 قوم أتى في هل أتى مدحهم  
 قوم لهم فضل ومجد باذخ  
 قوم لهم في كل ارض مشهد  
 قوم مني والمشعران لهم  
 قوم له مكة والأبطح والخيف  
 ما صدق الناس ولا تصدقوا  
 ولا غزوا وأوجبوا حجا ولا  
 لولا رسول الله وهو جدهم  
 ومصرع الطف فلا أذكره  
 ففي الحشى منه هبيب يقد

يرى الفرات ابن الرسول ظاميا  
 يلقى الردى وابن الدعى يرد  
 عليهم يوم المعاد الصمد  
 يا أهل بيته المصطفى وعدتى  
 ومن على حبهم اعتمد  
 وكيف أخسى وبكم اعتضد  
 أنتم إلى الله غدا وسائلتي  
 والضد في نار لظى مخلد  
 وليكم في الخلد حي خالد

قد يعتقد البعض بعد قراءة هذه الأبيات بأنه على المذهب الشيعي، غير أنه بعد  
 هذه الأبيات ذكر ما يثبت أنه على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنه شافعي:

ولست أهواكم لبغض غيركم إني إذا أشقي بكم لا أسعد  
 فلا يظن راضي أنني وافقته أو خارجي مفسد  
 محمد والخلفاء بعده أجد  
 هم أسسوا قواعد الدين لنا وهم بنوا أركانه وشيدوا  
 ومن يخن أحمد في أصحابه فخصمه يوم المعاد أحمد  
 هذا اعتقادي فالزموه تفلحوا فاسلكوه تهتدوا  
 والشافعي مذهبى مذهبى قوله مؤيد<sup>(٧)</sup>

٥. الحديث الفقيه الحنبلي، العلامة أبو محمد بن الخشاب عبد الله بن أحمد بن  
 أحمد بن عبد الله بن نصر البغدادي النحوي، المتوفى سنة ٥٦٧ هجرية، فقد قال في  
 كتاب تواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم: (حدثنا صدقة بن موسى..... قال حدثني أبو  
 القاسم طاهر بن هارون ابن موسى العلوي عن أبيه هارون عن أبيه موسى قال: قال

سيدي جعفر بن محمد: الخلف الصالح من ولدى، المهدي، اسمه محمد، كنيته أبو القاسم، يخرج في آخر الزمان، يقال لأمه صيقل<sup>(٨)</sup>.

٦. أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية، حيث نقل بعض الأحاديث الدالة على ولادة المهدي عليه السلام من دون أن يعلق عليها<sup>(٩)</sup>.

٧. الشيخ محيي الدين محمد بن علي، المعروف بابن عربي الطائي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨ هجرية، حيث قال في الباب السادس والستين وثلاثة من الفتوحات المكية: (واعلموا أنه لا بد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى قتلى الأرض جورا وظلما فيملاها قسطا وعدلا، ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولد فاطمة  عليها السلام، جده الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده الحسن العسكري ابن الإمام علي النقى -بالنون - ابن [الإمام] محمد التقى -بالباء - ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب  عليهما السلام)<sup>(١٠)</sup>.

٨. سبط ابن الجوزي الحنفي، العالمة يوسف بن فرغلي، المتوفى سنة ٦٥٤ هجرية، حيث ذكر في كتابه تذكرة الخواص: (فصل في ذكر الحجة المهدي: هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو عبد الله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجة صاحب الزمان القائم والمنتظر والتالي، وهو آخر الأئمة)<sup>(١١)</sup>.

٩. الشیخ الفقیہ أبو عبد الله محمد بن یوسف بن محمد الکنجی الشافعی، المتوفی سنة ٦٥٨ هجریة، قال فی الباب الثامن من الأبواب التي أحقها بآبوب الفضائل من كتابه کفایة الطالب بعد ذکر الأئمۃ من ولد أمیر المؤمنین علیہ السلام و هو يتحدث عن الإمام الحسن العسكري علیہ السلام: (و دفن في داره بسر من رأى في البيت الذي دفن فيه أبوه، و خلف ابنه وهو الإمام المنتظر صلوات الله عليه) <sup>(١٢)</sup>.

وقال فی كتابه البيان فی أخبار صاحب الزمان فی الباب الخامس والعشرين، و هو آخر الأبواب فی الدلالة على کون المهدی علیہ السلام حیاً باقیاً منذ غیبته إلى الآن: (ولا امتناع فی بقاء بدليل بقاء عیسیٰ وإلیاس والحضر من أولیاء الله تعالى، وبقاء الدجال وإلیس الملعونین من أعداء الله تعالى) <sup>(١٣)</sup>.

١٠. المحدث الكبير إبراهیم بن محمد بن المؤید الجوینی الشافعی، المتوفی سنة ٧٢٢ هجریة، حيث أخرج فی الباب الثاني والثلاثین من الجزء الثاني حدیث اللوح فی صیاغات مختلفة، فيه ذکر الأئمۃ الإثنی عشر واحداً واحداً، وأن آخرهم القائم، المهدی المنتظر بن الحسن العسكري <sup>(١٤)</sup>.

١١. نور الدین علی بن محمد بن الصباغ المالکی، المتوفی سنة ٨٥٥ هجریة، حيث قال فی كتابه الفصول المهمة فی معرفة الأئمۃ: (ولد أبو القاسم محمد بن الحجة ابن الحسن الحالص بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة. وأما نسبه أبا وأما فهو أبو القاسم محمد الحجة ابن الحسن الحالص ابن علی المادی ابن محمد الجواد ابن علی الرضا ابن موسی الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علی زین العابدین ابن الحسین بن علی بن أبي طالب صلوات الله علیهم أجمعین. وأما أمه فأم ولد يقال لها نرجس خیر أمة، وقيل: اسمها

غير ذلك. وأما كنيته فأبو القاسم. وأما لقبه فالمحجة، والمهدى، والخلف الصالح، والقائم المنتظر، وصاحب الزمان، وأشهرها المهدى<sup>(١٥)</sup>.

١٢.الشيخ أبو المعالي محمد سراج الدين الرفاعي، المتوفى سنة ٨٨٥ هجرية، ذكر في كتابه صالح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار بعد أن تحدث عن الإمام العسكري عليه السلام: (فالحسن العسكري أعقب صاحب السردار الحجة المنتظر ولي الله الإمام محمد المهدي) <sup>(١٦)</sup>.

**القسم الثاني:** من أقر بولادة محمد بن الحسن العسكري، وأنكر كونه المهدى أو سكت عن ذلك.

ويظهر من كلام هؤلاء الذهباء إلى ولادة المهدى في آخر الزمان، وهو كلام يخالف ما ورد عن النبي ﷺ متواتراً في مضمونه عند الفريقين، والدال على وجود إمام في كل عصر وزمان: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) <sup>(١٧)</sup>. وسأكتفى بذكر اثنى عشر مصدراً، كما مر في القسم الأول، روما للاختصار.

١. ابن الأزرق الفارقي، المتوفى سنة ٥٧٧ هجرية، ذكر في كتابه تاريخ ميافارقين: (إن الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح) <sup>(١٨)</sup>.

٢. شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي،  
صاحب كتاب معجم البلدان، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية، حيث قال في كتابه عند  
ذكره لمدينة عسكر سامراء: (وأما الحسن -أي العسكري- فمات بسامراً أيضاً  
سنة ٦٠ ودفناً -أي العسكري ووالده الهادي- بسامراً وقبورهما مشهورة هناك).  
ولولدهما المنتظر هناك مشاهد معروفة<sup>(١٩)</sup>.

٣. ابن الأثير الجزري، المتوفى سنة ٦٣٠ هجرية، قال في كتاب الكامل في التاريخ، في ذكر حوادث سنة ٢٦٠ هجرية: (وفيها توفي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو أبو محمد العلوي العسكري وهو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر) <sup>(٢٠)</sup>.

٤. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم، المتوفى سنة ٦٨١ هجرية، قال في كتاب وفيات الأعيان تحت عنوان الحجة المنتظر: (أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، المعروف بالحجۃ، وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدی)،..... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه - وقد سبق ذكره - كان عمره خمس سنين، واسم أمه خمط وقيل نرجس) <sup>(٢١)</sup>.

٥. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، المؤرخ الشهير، توفي سنة ٧٣٢ هجرية، قال في تاريخه المختصر في تاريخ البشر، عند ذكره لوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (والحسن العسكري المذكور هو والد محمد المنتظر صاحب السرداد، والمنتظر ثاني عشرهم، ويلقب أيضاً القائم والمهدی والحجۃ، ومولد المنتظر سنة خمس وخمسين ومائتين) <sup>(٢٢)</sup>.

٦. المؤرخ الشهير، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية، قال في تاريخ الإسلام عند ترجمته للإمام الحسن العسكري عليه السلام في حوادث السنوات [٢٥١-٢٦٠]: (وأما ابنه محمد بن الحسن الذي يدعوه

- الرافضة القائم الخلف الحجة، فولد سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة ست وخمسين<sup>(٢٣)</sup>.
٧. الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية، قال في لسان الميزان عند ترجمته لجعفر بن علي: (أخو الحسن الذي يقال له العسكري، وهو الحادي عشر من الأئمة الإمامية، ووالد محمد صاحب السردار)<sup>(٢٤)</sup>.
٨. نور الدين عبد الرحمن بن أحمد بن قوام الدين الدشتي الجامي الحنفي، المتوفى سنة ٩٩٨ هجرية، قال في كتابه شواهد النبوة: (هو الإمام الثاني عشر، كنيته أبو القاسم، وتلقبه الإمامية بالحجۃ والقائم والمهدی المنتظر وصاحب الزمان، وهو عندهم خاتم الاثني عشر إماما..... كانت ولادته في سر من رأى في الثالث والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين)<sup>(٢٥)</sup>.
٩. شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي الحنفي، توفي سنة ٩٥٣ هجرية، قال في كتابه الأئمة الإثناء عشر في معرض حديثه عن المهدی عليه السلام: (كانت ولادته في عنده يوم الجمعة، منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه المتقدم ذكره في عنده كان عمره خمس سنين)<sup>(٢٦)</sup>.
١٠. حسين بن محمد الديار بكري القاضي المؤرخ، توفي سنة ٩٦٦ هجرية، قال في كتابه تاريخ الخميس: (وفي سنة ستين ومائتين، مات الحسن بن علي الجواد بن الرضا العلوي، أحد الأئمة الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، وهو والد متظرهم محمد بن الحسن)<sup>(٢٧)</sup>.
١١. أحمد بن حجر الهيثمي الشافعي، توفي سنة ٩٧٤ هجرية، قال في الصواعق المحرقة في آخر الفصل الثالث من الباب الحادي عشر: (أبو محمد الحسن الحالص، وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين... مات بسر

من رأى، ودفن عند أبيه وعمه، وعمره ثانية وعشرون سنة، ويقال إنه سُمِّ أيضًا،  
ولم يختلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن  
آتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القائم المنتظر، قيل: لأنَّه ستر بالمدينة وغاب فلم  
يعرف أين ذهب).<sup>(٢٨)</sup>

١٢. محمد بن الحسين بن عبد الله الحسيني السمرقندى المدى، توفي سنة ٩٦٦  
هجرية، قال في كتابه تحفة الطالب بعد تعرضه لولادة محمد المهدي بن الحسن  
العسكري: (ولد يوم الجمعة منتصف شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وقيل ولد  
تاسع شهر ربيع الثاني سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل ولد ثامن شعبان سنة ست  
وخمسين ومائتين، وهو الأصح).<sup>(٢٩)</sup>

#### ثانياً: أشهر كتب أهل السنة والجماعة التي تحدثت عن المهدى ﷺ

١. أخبار المهدى، تأليف عباد بن يعقوب الرواجنى، المتوفى  
سنة ٢٥٠ هجرية، أي قبل ولادة المهدى ﷺ بخمس سنوات.
٢. كتاب المهدى، تأليف أحمد بن محمد الأصبهانى، المتوفى سنة ٤٣٠  
هجرية.
٣. البيان بأخبار صاحب الزمان، تأليف محمد بن يوسف الكنجى الشافعى،  
المتوفى سنة ٦٥٨ هجرية.
٤. عقد الدرر في أخبار المهدى المنتظر، تأليف يوسف بن حيى السلمى  
الشافعى، المتوفى سنة ٦٨٥ هجرية.
٥. المهدى المنتظر، تأليف ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١ هجرية.

٦. كتاب الفتن واللاحـم، تأليف إسماعيل بن كثير القرشي، المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية، فقد أفرد فيه جزءاً على حدة في ذكر المهدي كما صنع في كتاب البداية والنهاية.
٧. العرف الوردي في أخبار المهدي، تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هجرية.
٨. تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان، تأليف ابن كمال باشا الحنفي، المتوفى سنة ٩٤٠ هجرية.
٩. المُهدي إلى ما ورد في المهدى، تأليف محمد بن طولون الدمشقى، المتوفى سنة ٩٥٣ هجرية.
١٠. البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، تأليف علي بن حسام الدين المتقي الهندي، صاحب منتخب كنز العمال، المتوفى سنة ٩٥٧ هجرية.
١١. القول المختصر في علامات المهدى المنتظر، لابن حجر الهيثمى، المتوفى سنة ٩٧٤ هجرية.
١٢. المهدى من آل الرسول، تأليف الملا سلطان القارئ، المتوفى سنة ١٠١٤ هجرية.
١٣. فرائد الفكر في الإمام المنتظر، تأليف مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٣٣ هجرية.
١٤. التوضيح في توادر ما جاء في المهدى المنتظر، تأليف القاضي محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠ هجرية.

١٥. القطر الشهدي في أوصاف المهدى، تأليف شهاب الدين أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلواني الشافعى، المتوفى سنة ١٣٠٨ هجرية.

١٦. نور الأ بصار، تأليف العالمة سيد مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي، وهو من أعلام أهل السنة، ولد بقرية شبلنج من قرى مصر، وقد خص شطراً من كتابه هذا <sup>عَلَيْهِ الْمَنَاءُ</sup> بالمهدي <sup>عَلَيْهِ الْمَنَاءُ</sup> من الولادة إلى الغيبة، وهو من خيرة ما كتبه علماء أهل السنة في هذا المجال.

١٧. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تأليف الإمام المفسر الفقيه الحافظ القرطبي، صاحب تفسير القرطبي، وهو من أشهر علماء أهل السنة والجماعة، كان مالكيا.

١٨. فرائد السلطين، تأليف شيخ الإسلام إبراهيم بن سعد الدين محمد بن المؤيد الجوييني، وهو من أعلام أهل السنة والجماعة وحافظها.

١٩. ينابيع المودة، تأليف الفقيه المتكلم الحافظ سليمان بن إبراهيم بن القندوزي الحنفي، وهو من أعلام أهل السنة وكبار محدثيها.  
بطبيعة الحال، فإن هناك كتب أخرى تعرضت لموضوع المهدى المنتظر <sup>عَلَيْهِ الْمَنَاءُ</sup>  
أعرضت عن ذكرها طلباً للاختصار.

والحمد لله رب العالمين

## المواهش:

(١) قال الرسول الأكرم <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>: (لو لم يبق من الدنيا إلا ساعة واحدة لطول الله تعالى تلك الساعة حتى يخرج رجل من ذريتي اسمه كاسمي وكنيته ككنسي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً فيجب على كل مخلوق من الخلق متابعته). توجد هذه الرواية الثابتة عن

النبي ﷺ في كتب الشيعة وأهل السنة، على اختلاف في بعض كلماتهم، ومن أراد الوقوف على جملة من طرقها وعباراتها فعليه بكتاب "منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر" للشيخ لطف الله الصافي، والعشرات من نظائر هذا الكتاب القيم.

(٢) سورة النور: ٥٥

(٣) كمال الدين وقام النعمة، الصدوق، ٤١٧.

(٤) أسف المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب، شمس الدين بن الجوزي الشافعي، ص ٨٦.

(٥) نقله صاحب كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأ بصار، ص ٦٠.

(٦) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، ج ٢ ص ٥٦٦.

(٧) نقل الأبيات المتقدمة ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٩٧/١٢.

(٨) تاريخ مواليد الأئمة وفياتهم، ابن الحشان البغدادي، ص ٤٤.

(٩) مقتل الخوارزمي، الخوارزمي، الفصل السادس، في فضائل الحسن والحسين، حديث ٢١ ص ١٤٤.

(١٠) من المؤسف أن هذه العبارة قد حذفت من كتاب الفتوحات المكية المتداول، وما يهون الخطب أن هذه العبارة من كلام ابن عربي نقلها عبد الوهاب الشعراوي في ج ٢ من كتاب اليواقيت والجواهر، وقد أدرج الشيخ مهدي فقيه إيلاني نسخة مصورة من الفصل المتعلق بال موضوع في كتابه المهدى عند أهل السنة، وأيضاً نقل كلامه الصبان الشافعي في إسعاف الراغبين المطبوع في هامش نور الأ بصار.

(١١) تذكرة المخواص، ابن الجوزي، ص ٣٢٥.

(١٢) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، الكنجي الشافعي، ص ٣١٢.

(١٣) البيان في أخبار صاحب الزمان، الكنجي الشافعي، ص ١٤٨.

(١٤) فرائد السبطين، الجويني الشافعي، ج ٢ ص ١٣٦.

(١٥) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، بن الصباغ المالكي، ص ٢٨٢.

(١٦) صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار، الرفاعي، ص ٥٥.

(١٧) مسند أبي داود، ص ٢٥٩، وأيضاً صحيح ابن حبان: ٤٣٤/١٠.

- (١٨) نقل كلامه ابن خلkan في وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٣٠.

(١٩) معجم البلدان، ج ٦-٥ ص ٣.

(٢٠) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج ٧ ص ٢٧٤.

(٢١) وفيات الأعيان، ابن خلkan، ج ٤ ص ٣١.

(٢٢) المختصر في تاريخ البشر، أبو الفداء، ج ٢ ص ٤٥.

(٢٣) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١٩ ص ١١٣.

(٢٤) لسان الميزان، ابن حجر، ج ٢ ص ١١٩.

(٢٥) شواهد النبوة، ص ٤٠٤.

(٢٦) الأئمة الاثنا عشر، بن طولون، الفصل الخاص بالحججة المهدى، ص ١١٧.

(٢٧) تاريخ الخميس، الديار بكري، ج ٢ ص ٣٤٣.

(٢٨) الصواعق المحرقة، ابن حجر، ج ١٣.

(٢٩) تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلى عبد الله وأبي طالب، السمرقندى، ص ٥٤.

# الاستبدال والأبدال

السيد ياسين السيد قاسم الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

قر على الإنسان كثيراً في الدروس أو المحاضرات أو من خلال القراءة أو الموارد والمناقشات مفردات ومصطلحات جديدة يحب التعرّف عليها، وينقدح في الذهن التساؤل عنها، إلا أنَّ بعضها تتميز عن غيرها بأنها ترُّ في ظروف مؤثرة وخاصة وبشكل متكرر مما يلفت العقل ويشدّه لمعرفة حقيقتها، و هكذا بسبب غريزة (حب الاستطلاع) التي تدفعه كذلك للبحث عنها ومعرفة حقيقتها، والبحث عن مفردة كهذه ليس ترفاً فكريأً أو مضيعة لوقت -كما قد يُتوهّم- وإنما حقيقة هذا المصطلح وموارد استعماله في موضوعات مهمة في حياة المؤمن، وكذلك من خلال وروده في النصوص الشرعية يبعث على البحث عنه بداعي المعرفة، حتى أنه يأخذ من عقلك وقلبك ما يجعلك تفكّر فيه لأنه يمسُّ دينك وآخرتك.

و من هذه المفردات مفردة (الأبدال)؛ وهي مفردة وردت بالنص في جملة وافرة من الروايات عند الفريقيين -وسيأتي الحديث عنها- ولها أيضاً جذور قرآنية سيما عند الحديث عن سُنّة الاستبدال. وقد كان البحث حول (الأبدال) بالأصلّة، ولكن من باب (الكلام يجر الكلام) و من خلال البحث عنه كان لابد من البحث عن نظرية قرآنية كمقدمة للبحث، ألا وهي (الاستبدال) التي هي عبارة عن سُنّة كونية وتاريخية تعرّض لها القرآن الكريم في غير واحدة من الآيات الكريمة -وسيأتي

الحديث عنها، ولكن الظاهر أن المقدمة قد تكون أطول من ذي المقدمة، والفرع أطول من الأصل، أو قل: أصبح البحث قسمين، الأول: حول سنة الاستبدال، والثاني: مَن هم الأبدال؟

ولا يفوتي هنا أن أُنوه بأنني لم أجد -في حدود ما بحثت وقرأت- مَن طرق هذا البحث -سواء سنة الاستبدال أو الأبدال- بشكل خاص إلا كإشارات عابرة أو في جانب واحد من جوانب هذا العنوان.

### سنة الاستبدال

قد جعل الخالق الحكيم تَعَالَى للكون قوانين ونظم تسير عليها حركته الطبيعية، وتعيش فيه كائناته ومنها الإنسان، وقد ضمّن سبحانه القرآن الكريم بهذه المعاني على نحو الإشارة والتلميح من خلال عرض قصص الأنبياء والأقوام السابقين ووصف الكون وما فيه من مخلوقات بالدقة والنظام وو.. الخ، على أنها سنن كونية قد جرت على من سبق كحقائق تاريخية أو أنها موجودة نلاحظها في آياته الآفافية، والستة يمكن أن نعرفها بأنها: قانون كوني ثابت لا يختلف ولا يتخلّف، متى ما توفرت شروط تحققِ تحققَ. والاستبدال يمكن أن نقول عنه أنه سنة إلهية كونية تاريخية قد جعلها الله تَعَالَى في خلقه، لأنّ شروط كون الظاهرة سنة من السنن الكونية والتاريخية<sup>(١)</sup> قد تحققت وتوفرت في ظاهرة (الاستبدال)، وهذه الشروط هي:

١. الاطراد: يعني أنّ السنة التاريخية مطردة ليست علاقة عشوائية، وليست رابطة قائمة على أساس الصدفة و المحو والاتفاق، وإنما هي علاقة ذات طابع موضوعي لا تتخلّف في الحالات الاعتيادية التي تجري فيها الطبيعة والكون على السنن العامة.

٢. ربانية السنة التاريخية: أن السنة التاريخية مرتبطة بمشيئة الله تعالى، وأن الاستفادة من مختلف القوانين والسنن التي تتحكم ليس ذلك انعزلاً عن الله تعالى؛ لأن الله يمارس قدرته من خلال هذه السنن، و لأن هذه السنن والقوانين هي إرادة الله، وهي ممثلة لحكمة الله و تدبيره في الكون.

٣. اختيار الإنسان ودوره في السنن التاريخية: وقد أكد تعالى على أن المحور في تسلسل الأحداث والقضايا إنما هو إرادة الإنسان. فلا تعني السنن الكونية جبر الإنسان وتسيره.

والاستبدال قانون مطرد كلما تحقق شرطه –على ما سيأتي بيانه– تتحقق آثاره ونتائجها، وهو قانون إلهي وضعه الله بمشيئة وهياً مقتضياته، ولا يكون ولا يتحقق إلا بإرادة الإنسان و اختياره وأنه يتحقق الشرط حتى يتحقق الجزاء.

### ما هي سنة الاستبدال؟

وردت آيات متعددة في القرآن الكريم تجمعها فكرة واحدة حاصلها: أن الله تعالى ليس محتاجاً لأحد وهو الغني المطلق، فأيما قوم انحرروا عن جادة الطريق، بعد أن كانوا على الصراط القويم وحملة لرأي الدين أو على الأقل كانوا ملتزمين بأوامر الله ونواهيه في الجملة، ثم بدأوا دينهم كان مصيرهم هو الزوال وأن يبدّلهم الله بخيارِ منهم، وأهم وأبرز آية هي الآية الثامنة والثلاثون من سورة محمد عليه السلام وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلُواْ يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُم﴾.

### وقفة مع الآية الكريمة:

للسنن التاريخية في القرآن الكريم أشكال مختلفة<sup>(٢)</sup> منها: شكل القضية الشرطية، وقد وردت هذه الآية على هذا الشكل؛ فهي سنة معلقة على شرط متى ما تتحقق.

وُجِدت؛ والكلام حول الآية على قسمين:

القسم الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلُوا يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُم﴾ وهو صدر الآية الذي يحوي أداة الشرط و فعله وجذاءه، وتفصيل الكلام فيها: أَتَّا أَداة الشرط وهي (إن) فقد ذكر علماء البلاغة أنها تستعمل -حسب الأصل- في الأمر المحتمل المشكوك فيه، بخلاف (إذا) التي تستعمل فيما يجزم وقوعه، وهذه النكتة تنفعنا في طيات البحث عند البحث عن تحقق هذا الأمر -الاستبدال- من عدمه. وأَمَّا فعل الشرط فهو: (تَوَلُوا) من (تَوَلَّى) بمعنى أعرض، قال ابن منظور في لسان العرب: والتولي يكون بمعنى الإعراض ويكون بمعنى الاتباع، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلُوا يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُم﴾ أي أن تعرضوا عن الإسلام.

أقول: فالتولي هنا جاء بمعنى الإعراض ولكنه -أي الإعراض- على مستويات وبدرجات متفاوتة شدة وضعفاً، فلا يمكن أن نقول أن أدنى درجة من درجات الإعراض موجبة للخروج من ربة الإسلام وحقيقة لشرط الاستبدال، لأن ما يقابل الإعراض هو التسليم المطلق، الذي هو أعلى وأقصى درجة من درجات الإيمان الذي لا يتوفّر عليه من المسلمين، بل حتى من المؤمنين إلا القلة القليلة جداً، فلا يمكن أن نتصوّر أن يكون معيار الاستبدال هو أدنى درجات الإعراض؛ لأن غالبية المتلبسين بالإسلام يحملون درجة ولو بسيطة من الإعراض والتولي وعدم التسليم المطلق.

ومما يدلّ على ذلك -أولاً: عطف قوله تعالى: (وَإِن تَتَوَلُوا) على قوله: (وَإِن تَؤْمِنُوا وَتَتَقَوَّا) والمعنى: إن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم وإن تتولوا وتعرضوا يستبدل قوماً غيركم<sup>(٣)</sup>، فالمقابلة هنا تفيد أن معنى التولي هنا يقابل الإيمان، وهل

يقابل الإيمان إلا الكفر.

ثانياً: إن الله تعالى لم يعشل في القرآن الكريم مفسراً لمعنى التولى والإعراض بالمخالفة في جزئيات الفقهية أو في سلوكية أو أخلاقية من أخلاقيات الإسلام بل فسره بالكفر والارتداد عن الدين كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخْفَوْنَ لَوْمَةً لَّا تِمْ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ومثل له كذلك في آية أخرى بالإعراض المطلق عن الدعوة وعدم الاستجابة بشكل كلي للنداء الإلهي من خلال صدّ الرسول، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ \* إِن يَشَاءُ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ \* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

أضف إلى ذلك أثنا نرى أنه قد وقعت مخالفات على المستوى العملي من الناحية الفقهية والأخلاقية في الصدر الأول للإسلام سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي، ولكن لم يكن ذلك موجباً ومحقاً للتولى والإعراض الذي تحدثت عنه الآية مورد البحث. وعلى هذا لم يذكر أي من المفسرين في تفسير هذه المفردة في هذه الآية بهذا المستوى من التولى والإعراض، بل أكثرهم فسّرها بـ الإعراض عن الدين<sup>(٦)</sup> أو عن طاعة الله وأمر رسوله<sup>(٧)</sup>.

ومما يصلح كقرينة مؤيدة على مرادنا هو نفس استعمال الكلمة (تتوالوا) في القرآن الكريم، فهي كما أسلفنا تأتي لأحد معنيين الإعراض أو الاتباع، ومجموع ما ورد من لفظ (تتوالوا) في القرآن أربعة موارد ثلاثة منها بمعنى الإعراض وواحد بمعنى

الاتباع، فإذا لاحظناها في هذه الموارد الثلاثة نجدها جاءت لإعطاء معنى التوسيع والإعراض بدرجاته العالية ففي قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمٍ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوَّبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ جاء لفظ (تتوالوا) في خطاب نبي الله هود عليه السلام لقومه بأن آمنوا بالله واستغفروه، فاستعملت في مقابل الإيمان وفي مقابل الدخول في الدين والاستجابة لنداء السماء، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تَقَاتِلُهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلُّوْا كَمَا تَوَلَّتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، فقد جاءت في مقابل الطاعة التي تعني طاعة الله ورسوله والتسليم لما يأمران به، إلا أنَّ مورد هذه الآية ليس الإيمان في مقابل الكفر الصريح؛ لأن المخاطبين فيها هم مجموعة من المسلمين، وهم الأعراب الذين تكرر منهم التخلف عن حضور ميادين الحرب، وقد أصرُّوا على معصية الله ورسوله ومخالفة تشريع سماوي لهم ألا وهو jihad فجاءهم هذا التهديد الذي يبين أهمية هذه الفريضة وأن التخلف عنها -خصوصاً بين يدي المقصوم- موجب للعقاب والعقاب الأليم، ولكن لقاعدة (المورد لا يخصص الوارد) أو (العبرة بعموم اللفظ لا خصوص المورد) يمكن استفادة أن في الآية مقابلة بين الطاعة والتولي.

أما بالنسبة لكون هذا اللفظ (تتوالوا) جاء في الآية بصيغة الجمع فلأن الآية في سياق مخاطبة مجموعة المسلمين، ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ تحقق الشرط والجزاء متوقفان على توالي وإدبار مجموعة المسلمين حتى يستبدل الله بهم قوماً آخرين، بل توجد قرائن تصرف المعنى عن أن يكون للمجموع فقط، منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا تَوَلَّوْا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، فإنها جاءت على نحو القضية الحقيقة المقدرة التي لا تعني الجمع بل تتحقق بفرد واحد،

وأماماً عن (قوم) التي جعلت في مقابل (من) في الآية فيمكن صرفها عن معناها الحقيقي وهو اسم الجمع الدال على الجمع من ثلاثة مما فوق إلى دلالتها على الواحد، بحيث تدل على واحد في هذا المورد على غرار صرف معنى (طائفة) عن الجماعة إلى الواحد في بعض الروايات وصرف معنى (آمة) عن دلالته على الجماعة إلى دلالتها على واحد، ومنها: الدليل على ذلك، وهو أيضاً دليلاً على أن سنة الإستبدل ليست على نحو العموم المجموعي بل على نحو العموم الاستغراقي بحيث تنحل إلى كل فرد من المسلمين ما روى عن الإمام الصادق ع: (لا يخرج من شيعتنا أحد إلا أبدلنا الله به مَنْ هو خير منه، وذلك لأنَّ الله يقول: ﴿وَإِنْ تَوَلُوا  
يَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾<sup>(٩)</sup>.

وأماماً فعل جواب الشرط وهو: (يستبدل) من بدّل يبدّل استبدالاً، بمعنى (لغة): أحل شيئاً محل شيء آخر مطلقاً سواء كان البديل أفضل من المبدل منه أو لا كما، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَار﴾<sup>(١٠)</sup>، أمّا المعنى القرآنيًّا: فيمكن أن نلاحظ عدة ملاحظات:

الأولى: أن القرآن الكريم لم يستعمل لفظ (استبدل) إلا عندما يكون البديل أفضل من المبدل منه، كما في الآية مورد البحث، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَثَاقْلَتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١١)</sup>، فلذلك جاء على لسان نبي الله موسى ع مستنكراً على قومه: كيف يجعلون البديل أسوأ وأدنى من المبدل منه في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبَدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾<sup>(١٢)</sup>.

**الثانية:** هي استعمال لفظ مشتق من (البدل) دون غيره من مرادفاته من التحويل أو التعويض، وذلك لأن التبديل يعني وضع شيء مكان شيء آخر، أما التحويل فيعني نقل شيء يستحقه المنقول عنه إلى شيء آخر لا يستحقه، وأما التعويض فيعني أن يكون الثاني عوضاً عن الأول فهو مساوٍ له في القيمة.

**الثالثة:** هي استعماله لخصوص لفظ (يستبدل) بصيغة المضارع، الذي يفيد الاستمرار متى ما تحقق شرطه فإنه يتحقق.

**القسم الثاني:** وهو قوله تعالى: ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ وهي عبارة عن نتيجة الاستبدال أو قل: صفة القوم الذين سيحلّون محلَّ القوم الذين تولّوا، فقوله: (غيركم) يبيّن أن هناك مغایرة وتباین بين القوم الذين تولّوا وبين (أبدالهم)، ومن هنا ندخل إلى بحثٍ آخرٍ له نحو ارتباط بالبحث الأول وله كذلك جهات افتراق عنه وهو:

**من هم الأبدال كما ورد في الروايات؟**

تهيد:

وردت في مصادر الفريقيين عدة روايات وردت فيها كلمة (الأبدال)، ولكنَّ مسار واتجاه الروايات واستعمال هذا التعبير فيها يختلف من طائفة إلى أخرى، الذي يبيّن أنَّ كلمة (أبدال) إما أنها مشتركة لفظي أو أنها وضعت لمعنى واحد من تلك المعاني واستعملت في غيره على نحو التجوز أو التنزيل أو التشبيه أو توسيعاً، أو استعملت تارة بمعناها اللغوي وأخرى بمعناها الاصطلاحي.

## سير البحث:

أولاً: اختيار أفضل تعريف بعد ذكر التعريفات التي ذُكرت لـ(الأبدال).

ثانياً: تقسيم الروايات على أساس موضوعاتها.

ثالثاً: بما أنّ البحث حول الروايات فلا بد أن يكون البحث على مستويين، الأول: السندي، والثاني: الدلالي، وستكون العمدة في البحث والتي سينصب الكلام عنها هي روايات الإمامية التي أوردها علماؤنا (قدس الله أسرارهم) في كتبهم، أمّا الروايات التي رواها غيرنا فستنعرض إليها بالطبع، كمؤيدات ليس إلا.

## أولاً: معنى الأبدال:

الأبدال (لغة): هي جمع بَدَلٍ: وهو شيء يُستعاض به عن شيء آخر من نوعه<sup>(١٣)</sup>. أمّا اصطلاحاً فقد عرّفه جملة من أصحاب المعاجم منهم:

العلامة الطريحي في مجمع البحرين: الأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر. وفي القاموس: الأبدال قوم يقيم الله بهم الأرض وهم سبعون، أربعون بالشام وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا قام مقامه آخر من سائر الناس<sup>(١٤)</sup>. وللراغب الإصفهاني في مفرداته تعريف آخر حيث قال: و الأبدال قوم صالحون يجعلهم الله مكان آخرين مثلهم ماضين - وقد أنكر بعض الناس وجودهم -، ثم يضيف قائلاً: و حقيقته هم الذين بدلوا أحوالهم الذميمة بأحوالهم الحميدة، و هم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ...﴾<sup>(١٥)</sup>.

أقول: هذه التعريفات لا تناسب ما سنذكره لاحقاً، لأن هذه التعريفات هي في الحقيقة عبارة عن روايات أوردها بعض العامة لا يعول عليها، لدخولها في شبهة

الوضع لاضطراب متونها ودلائلها، فضلاً عن أسانيدها المخدوشة أو المقطوعة، وإن تنزلنا نقول: إنَّ هذه التعريفات تعبر عن معنى أَلْفَهُ الْمُسْلِمُونَ؛ لأنَّ هذا التعبير لا يطلق إلا على الصالحين أو العظام، ولكن سيتضح معنى (الأبدال) بعد سبر غور الروايات الشريفة التي وردت عن أهل بيت العصمة والطهارة.

### ثانياً: روايات الأبدال على أساس موضوعاتها من طريقنا:

**الطائفة الأولى:** أنَّ الأبدال هم الأئمة المعصومون عليهم السلام أو خواص أصحابهم: فقد رُوِيَ في الاحتجاج عن الخالد بن الهيثم الفارسي أنه قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إن الناس يزعمون أن في الأرض أبدالا، فمن هؤلاء الأبدال؟ قال: «صدقو، الأبدال هم الأووصياء، جعلهم الله بِرْحَانَ في الأرض بَدْلَ الأنبياء، إذ رفع الأنبياء وختمهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» <sup>(١)</sup>.

قال العلامة المجلسي (قدَّسَ اللهُ نفسَهُ الرَّكْيَةُ) معلقاً على هذه الرواية بعد أن ذكرها: ظاهر الدعاء المروي من أم داود عن الصادق عليه السلام في النصف من رجب - حيث قال: «(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْحَمْ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَرَحَمْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْأَوْصِيَاءِ وَالسَّعَدَاءِ وَالشَّهَدَاءِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَىِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْأَبْدَالِ وَالْأَوْتَادِ وَالسَّيَاحِ وَالْعَبَادِ وَالْمُخْلَصِينِ وَالْزَّهَادِ وَأَهْلِ الْجَدِ وَالْاجْتِهَادِ»، - إلى آخر الدعاء - يدل على مغایرة الأبدال للأئمة عليهم السلام، لكن ليس بصريح فيها، فيمكن حمله على التأكيد. ثم أضاف قائلاً: ويجترأ أن يكون المراد به في الدعاء خواص أصحاب الأئمة عليهم السلام ...).

**الطائفة الثانية:** أنَّهم أصحاب الإمام المهدي المنتظر عليه السلام:

فقد روى طارق بن شهاب عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان عند خروج القائم ينادي منادٍ من السماء أيها الناس قطع عنكم مدة المبارين، وولي الأمر خير أمة محمد، فالحقوا بعكة، فيخرج النجباء من مصر والأبدال من الشام وعصائب العراق رهبان بالليل ليوثر بالنهار، كأن قلوبهم زبر الحديد، فيبايعونه بين الركن و المقام...»<sup>(١٧)</sup>.

وروى عن جابر الجعفي أنه قال: قال أبو جعفر ع عليهما السلام: «يتابع القائم بين الركن و المقام ثلاثة و نيف عدة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقييم ما شاء الله أن يقييم»<sup>(١٨)</sup>. وروى المفيد، بسنده عن محمد بن سعيد الأشعري، قال: «دخلت أنا وفطر بن خليفة، على جعفر بن محمد، فقرب إلينا قرآن فأكلنا، وجعل يتناول فطراً منه.. ثم قال له: كيف الحديث الذي حدثني عن أبي الطفيلي في الأبدال؟ فقال فطر: سمعت أبا الطفيلي يقول: سمعت علياً أمير المؤمنين ع عليهما السلام يقول: الأبدال من أهل الشام، والنجباء من أهل الكوفة، يجمعهم الله لشر يوم لعدونا.. فقال جعفر الصادق: رحمة الله، بنا يبدأ البلاء ثم بكم. وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم، رحم الله من حببنا إلى الناس، ولم يكرهنا إليهم»<sup>(١٩)</sup>.

**الطاقة الثالثة:** وهي الروايات التي تشير إلى أنهم نخبة خاصة من صالحى المؤمنين:

روى ابن الفتاوى في روضة الوعظتين عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ تبارَكَ وَتَعَالَى اخْتارَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَرْبَعَةٍ... وَاخْتارَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ أَرْبَعَةَ أَصْنافٍ: الْعُلَمَاءُ وَالْزَّهَادُ وَالْأَبْدَالُ وَالْغَزَّادُ»<sup>(٢٠)</sup>. وجاء في وصايا النبي ﷺ لعلي ع عليهما السلام: «... وَإِنْ

جَاءَتْهَا فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ يُرجَى أَنْ يَكُونَ الْوَلَدُ مِنَ الْأَبْدَالِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ...»<sup>(٢١)</sup>. وَرُوِيَّ عَنِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسًا وَعَشْرِينَ مَرَّةً، نَزَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْغُلَّ مِنْ صَدْرِهِ، وَكَتَبَهُ مِنَ الْأَبْدَالِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»<sup>(٢٢)</sup>.

### ثالثاً: البحث حول أسانيد الروايات:

أمّا الطائفة الأولى: وهي رواية الخالد بن الهيثم الفارسي فهي مرسلة وهو مجهول، وأمّا الطائفة الثانية: فالرواية الأولى - وهي رواية طارق بن شهاب عن حذيفة - قد نقلت عن الاختصاص وطريقها: حدثنا محمد بن معقل القرميسيني عن محمد بن عاصم عن علي بن الحسين عن محمد بن مرزوق عن عامر السراج عن سفيان الثوري عن طارق بن شهاب عن حذيفة<sup>(٢٣)</sup>.

وأما الرواية الثانية - وهي رواية جابر الجعفي - فقد نقلها الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) وطريقه إليها: الفضل عن أحمد بن عمر بن مسلم عن الحسن بن عقبة النهي عن أبي اسحاق البناء عن جابر الجعفي<sup>(٢٤)</sup>.

وأمّا الرواية الثالثة - وهي رواية محمد بن سعيد الأشعري - فنالقلاها هو الشيخ المفید في مجالسه أی الامالی وطريقها: الجعابی عن ابن عقدة عن عمر بن عیسی بن عثمان عن أبيه عن خالد بن عامر بن عباس عن محمد بن سعيد الأشعري<sup>(٢٥)</sup>.

### وقفة مع رواية:

في ذيل هذه الآية أورد أكثر المفسّرين من الفريقيين رواية عامية عن أبي هريرة وهي: (حدثنا أحمد بن الحسن الترمذی، قال: حدثنا عبد الله بن الولید العدنی، قال: حدثنا مسلم بن خالد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: نزلت هذه الآية

وسلمان الفارسي إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحك ركبته ركبته ﴿وَإِن تَوَلُوا يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ قالوا: يا رسول الله ومن الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا، قال: فضرب فخذ سلمان ثم قال: هذا وقومه) وفي نقل: «ولو كان الدين عند الشريعة رجال من الفرس» وفي نقل: عن مجاهد ﴿يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ من شاء، وقال بعضهم: هم النصارى، وقال آخرون: هم أهل اليمن.

بعض النظر عن سند هذه الرواية ومصدرها يمكن المناقشة في دلالتها:

**أولاً:** غاية ما يمكن أن تثبته هذه الرواية بتفسيرها للآية أنه على تقدير بدلة المسلمين دينهم وتولوا عن شريعة سيد المرسلين وأهل بيته عليهما السلام كان الجزاء هو إحلال غيرهم مكانهم وهم الفرس، لا أنه قد تتحقق وثبت الانحراف -الذي دون اثباته خرط القتاد- وقد أبدل الله المسلمين بأهل فارس، وهو ما يذكره بعض المفسرين المعاصرين على أنه من المسلمات الثابتة. فإنه لا بد من إثبات الشرط وأن المسلمين بدلاً حتى يتحقق المنشود.

**ثانياً:** إن اختلاف النقل في حد ذاته يورث التشكيك بصدورها.

**ثالثاً:** إن هذه الرواية تبيّن إمكان تولي الانحراف جميع العرب حتى يستبدل الله بهم سلمان عليهما السلام وقومه التي فسرته بعض النقولات بأهل فارس، مما يعني أن أهل فارس سيصبحون خير وأفضل من كل من أسلم آنذاك من عرب وغيرهم، وهذا مما لا يقبله مسلم فضلاً عن مؤمن.

**رابعاً:** إن هذه الرواية العامية تتنافي مع ما روی عن الإمام الصادق عليهما السلام -التي ذكرناها آنفاً- لأن جواب النبي عليهما السلام في هذه الرواية يسلّم بأن الانحراف إذا كان سيحصل فسيحصل لكل المسلمين من دون ملاحظة إمكان انحراف بعض دون

بعض، وأن الاستبدال يكون على نحو العموم الاستغراقي وليس بالضرورة أن يكون على نحو العموم الجموعي الذي أثبته-العموم الاستغراقي-رواية الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ. بعبارة أخرى: السؤال من بعضهم للنبي عَلَيْهِ السَّلَامُ خطأ؛ لأنّه ليس الانحراف من المسلمين لا يكون إلا جماعياً بل قد يكون فردياً والجواب على السؤال بشكل جماعي لا يثبت أن الانحراف إذا حصل لا يحصل إلا جماعياً وهذا ما تبته الرواية.

**خامساً:** أن المعيار النهائي ومقاييس الكراهة والإعنان على مستوى كل فرد فرد هو (التقوى)، فعرق الإنسان وقوميته ولونه ولغته ليست معياراً وليس لها مدخلية أصلاً في تحديد قيمة الإنسان وكرامته عند الله تَعَالَى.

#### المواهش:

- (١) على ما أفاده السيد الشهيد الصدر قَتَلَ في كتابه المدرسة القرآنية.
- (٢) كما ذكرها الشهيد الصدر في كتابه المدرسة القرآنية: ٨٩.
- (٣) تفسير الميزان: ج ١٨ ص ٢٥٣.
- (٤) المائدة: ٥٤.
- (٥) فاطر: ١٤ - ١٧.
- (٦) كما عن الطبرى.
- (٧) كما عن مجمع البيان وابن كثير.
- (٨) الفتح: ١٦.
- (٩) تفسير البرهان: ج ٧ ص ٢٢٥.
- (١٠) إبراهيم: ٢٨.
- (١١) التوبة: ٣٨ - ٣٩.

- (١٢) البقرة: ٦١.
- (١٣) المنجد في اللغة العربية المعاصرة: ص ٧١.
- (١٤) مجمع البحرين: ٥ / ٣١٩، للعلامة فخر الدين بن محمد الطريحي، المولود سنة: ٩٧٩ هجرية بالنجف الأشرف / العراق، و المتوفى سنة: ١٠٨٧ هجرية بالرماحية، و المدفون بالنجف الأشرف / العراق، الطبعة الثانية سنة: ١٣٦٥ شمسية، مكتبة المرتضوي، طهران / إيران).
- (١٥) هامش: المفردات: ص ١١٢.
- (١٦) بحار الأنوار: ج ٢٧ / ص ٤٨، من كتاب الاحتجاج ج ٢ ص ١٨٣ .
- (١٧) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٠٤.
- (١٨) الغيبة: ٤٧٦، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المولود بخراسان سنة: ٣٨٥ هجرية، و المتوفى بالنجف الأشرف سنة: ٤٦٠ هجرية، و بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٣٤.
- (١٩) الأimalي للمفید ص ٣١ والبحار ج ٥٢ ص ٣٤٧.
- (٢٠) روضة الوعظين: ٤٠٥.
- (٢١) من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٥٥٣، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، المولود سنة: ٣٠٥ هجرية بقم، و المتوفى سنة: ٣٨١ هجرية، طبعة انتشارات إسلامي التابعة لجامعة المدرسين، الطبعة الثالثة، سنة: ١٤١٣ هجرية، قم / إيران.
- (٢٢) الجعفريات: ٢٢٣، باب فضل الدعاء للمؤمنين و المؤمنات).
- (٢٣) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٠٤.
- (٢٤) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٣٤.
- (٢٥) البحار ج ٥٢ ص ٣٤٧.

# نظرة في عوامل الثورتين الحسينية والمهدوية

(القسم الأول)

حسين علي أبو رويس

## تمهيد

كلاً حركة الأئمة الأطهار عليهم السلام حركة متكاملة متناسقة لا تجد فيها تخلقاً أو اختلافاً على مستوى هدف هذه الحركة وشعاراتها، ونستطيع القول بأنها تشكل منظومة إلهية كلّ إمام يقوم فيها بدوره الذي يوصل فيه هذه المنظومة لساحل الرضا الإلهي، فليس هناك فصل بين حركة أيّ إمام عن إمام آخر، فالثورة الحسينية ما هي إلا امتداد للثورة التي قادها الرسول عليه السلام في نشر الإسلام وتبيين حقائقه، والثورة المهدوية تكون أيضاً امتداداً للثورة الحسينية، وهذا ما تشير له روايات أهل البيت عليهم السلام، فقد روي عن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال: «لما ضرب رأس الحسين بن علي عليه السلام بالسيف، ثمَّ ابتدَرَ ليقطع رأسه نادى منادٌ من قبل ربِّ العزة تبارك وتعالى من بطنان العرش فقال: ألا أيتها الأئمة المتحيرة الظالمة بعد نبيها، لا وفقكم الله لا ضحى ولا فطر. ثمَّ قال أبو عبد الله عليه السلام: لا جرم والله ما وفقو ولا يوفدون أبداً حتى يقوم ثائر الحسين عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

ولكي يتضح لنا وجود الانسجام بين ثورة الإمام الحسين عليه السلام وبين الثورة المهدوية، نبيّن باختصار عوامل كلّ من الثورتين مع بيان الهدف الذي تنطلق على

أساسه كلٌّ من الثورتين.

### أولاً: عوامل النهضة الحسينية

النهضة الحسينية المباركة نهضة إلهية محمدية أصلية، لم تخطُ بها الأهواء المادية والشهوات النفسية والإغراءات المختلفة، وإنما كانت تحت اللطف الإلهي والحراسة الملكوتية، هذه النهضة نشأت عن عوامل مبدئية، عن عوامل تحمل بين جنبيها رفع راية الإسلام الأصيل، وتنكس كلَّ راية ضلال وظلم وجور وعدوان آثم.

ولو جئنا لنقف على هذه العوامل، لوجدنا أنَّها ترجع لواحد، و لكن لتعدد الزوايا التي ينظر منها للنهاية الحسينية تعددت العوامل، وفي هذه المقالة نقف لبيان أهم ثلاثة عوامل، أحدها العامل الرئيس والأساس:

### أولاً: العامل الدفاعي:

هذا العامل هو أحد العناصر المهمة التي ولدت لنا النهضة العاشورائية الخالدة، فدفاع الإمام الحسين عليه السلام عن المبدأ وعن القضية وعدم اكتراشه بعظام ما سيلاقيه جزاءً لدفاعه كان عاملاً في نشأة نهضته وثورته.

الإمام عليه السلام منذ أن علم بأنَّ معاوية بن أبي سفيان بدأ في تنصيب ابنه يزيد خليفة على المسلمين وحاكمًا عليهم، لم يهدأ له بال لعظم ما سيحلُّ على الإسلام والمسلمين إن وكيَّ أمرهم رجل فاجر فاسق، شارب للخمور، هاتك للحرمات، ومكاتباته إلى معاوية كانت واضحة في بيان هذا الأمر، حيث يقول عليه السلام في إدحافها: «... وقلتَ فيما قلتَ: لا ترددَ هذه الأُمَّةَ في فتنَة، وإنِّي لا أعلم فتنَة أعظم من إمارتك عليها، وقلتَ فيما قلتَ: انظر لنفسك ولدينك ولآمَّةَ محمد، وإنِّي والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإنْ أ فعل فإِنَّه قربةٌ إلى ربِّي وإنْ لم أ فعله فأستغفر الله

لديني وأسئلته التوفيق لما يحبُّ ويرضي...»<sup>(٢)</sup>.

ولكنه عليه السلام لم ينهض أثناء فترة حكم معاوية، لأنَّ الهدف الذي كان بين عيني الإمام الحسين عليهما السلام ومن قبله أخيه الإمام الحسن عليهما السلام لا يتحقق في ظلٍّ حكومة مثل حكومة معاوية، فالإمام الحسين عليهما السلام في ظلٍّ حكومة معاوية لن يتمكن من أن يضحّي التضحية التي توقظ الأمة من سباتها، وتبدى لها حقيقة زيف النظام الأموي الجائر، وترجعها إلى الإسلام الحمدي الأصيل. فإنَّ معاوية لا يسمح لأيِّ أحد مهما كان أن ينافسه في ملكه وسلطانه، فسممه للإمام الحسن المجتبى عليهما السلام وغيره من الذين حاولوا أن يفضحوه ويسقطوا حكمه دليلاً على أنه بمستوى من الدهاء والخبث بحيث لو قام الإمام الحسين عليهما السلام بشورته لقضى عليها قبل أن تتم، وتأخذ صداتها في أوساط الأمة.

واستمر صبر الإمام عليهما السلام حتى انقضت حقبة معاوية التي كان لها ما لها من التأثير السلبي على الأمة، ولكن بعد أن تسلّم يزيد الرجل الفاجر مقاليد الحكم، تهيا الإمام عليهما السلام ليواجه هذه الأزمة التي ستفضي على دين الله في أرضه، إلى أن وقع اللقاء بين الإمام عليهما السلام وبين الوليـد، اللقاء الذي دُعي فيه الإمام عليهما السلام لبيان فيه رجل الفسق والفحـور، فأعلنـها صرخة مدوية في وجه الظلمة: «... إـنـا أـهـلـ بـيـتـ النـبـوـةـ، وـمـعـدـنـ الرـسـالـةـ، وـمـخـتـلـفـ الـمـلـائـكـةـ، وـمـحـلـ الـرـحـمـةـ، وـبـنـاـ فـتـحـ اللهـ وـبـنـاـ خـتـمـ، وـيـزـيدـ رـجـلـ فـاسـقـ، شـارـبـ الـخـمـرـ، قـاتـلـ النـفـسـ الـحـتـرـمـةـ، مـعـلـنـ بـالـفـسـقـ، مـثـلـيـ لـاـ بـيـاعـ مـثـلـهـ، وـلـكـنـ نـصـبـ وـتـصـبـحـونـ، وـنـنـظـرـ وـنـنـظـرـونـ أـيـنـاـ أـحـقـ بـالـخـلـافـةـ وـالـبـيـعـةـ»<sup>(٣)</sup>.

هذا الموقف الصامد من الإمام عليهما السلام ثابتاً على طول المسيرة الحسينية، فحتى لو أنَّ يزيد لم يطلب بيعة الإمام عليهما السلام، فإنَّ الإمام الحسين عليهما السلام سيستمر في موقفه الرافضة لهذا الحكم الأموي الجائر، ولن تطمئن نفسه حتى يعيد الإسلام إلى أصله

ومنابعه، لأنَّه يعلم أنَّ التهاون والتساهل في هذه المرحلة الحساسة يعني القضاء على كلمة التوحيد في هذه الأُمَّة، لذا فهو كان يؤكد على أخيه محمد ابن الحنفية بقوله: «يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجاً ولا مأوى لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبداً»<sup>(٤)</sup>.

#### ثانياً: العامل التعاوني:

حينما وصلت أنباء موت معاوية إلى أهل الكوفة، وأنَّ يزيد صار خليفة المسلمين، والإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَفَاف قد رفض مبايعته، عزم أهل الكوفة على دعوة الإمام عَلَيْهِ الْكَفَاف لديارهم ليحكم فيهم كما كان أبوه أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَاف قد حكم فيهم من قبل، فتقاطررت رسائل أهل الكوفة على الإمام عَلَيْهِ الْكَفَاف تدعوه فيها للقدوم إليهم فينصروه ويعزّروه. يا ترى ما هو الموقف الذي كان على الإمام عَلَيْهِ الْكَفَاف أن يتخدّه من هذه الرسائل، فهو عَلَيْهِ الْكَفَاف يعلم ما وراء هذه الرسائل وأنَّ أصحابها ليسوا أصحاباً مبدأً وعقيدة راسخة، وأنَّهم رجال غرَّتهم شهوات هذه الدنيا وملذاتها؟!

ولو تأمّلنا في موقفٍ مشابهٍ لهذا الموقف في زمن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَفَاف، حينما بعث له أبو سلمة الخلال -وزير الدولة العباسية- رسالة للإمام عَلَيْهِ الْكَفَاف يدعوه فيها للقيام ضد العباسية وأنَّه سيسانده ويعاونه في ذلك، فأخذ الإمام عَلَيْهِ الْكَفَاف الرسالة من دون أن يرى محتواها وألقى بها في النار، وقال لرسول الخلال هذا جوابي على رسالتك، سنلاحظ شدة الإمام عَلَيْهِ الْكَفَاف في التعامل مع مثل هذه الرسائل التي يعلم أنَّ أصحابها ليسوا طلاب الحق والعدالة، بل طلاب الباطل والظلم، ولكن هل يجب أن يكون موقف الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَفَاف هو نفس هذا الموقف الشديد والحازم؟!

طبعاً ظروف فترة الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَفَاف تختلف عن فترة الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَفَاف، فرفض الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَفَاف لرسائل أهل الكوفة لن يكون في موازاة رفض الإمام

الصادق عَلَيْهِ الْكَلَم لرسالة أبي سلمة الخلال، لاختلاف الظروف الموضوعية المحيطة بكل الموقفين.

كان وضع الأمة في عهد إماماً سيد الشهداء عَلَيْهِ الْكَلَم وضع مرير ومؤلم جداً، فبنوا أمية اضطهدوا الناس وأذوهُم واستعبدوهم بشراء دنياهُم بآخرهم، والأمة كانت تنتظر المخلص الذي يأخذ بيدها من الظلمات إلى النور، فكانت تريد التعلق بأي خشبةٍ تخلصها من بحر بني أمية الغادر. ولكن مع وجود هذا الأمل والارتباط بالمنفذ كانت الأمة تعاني من الضعف والوهن أمام الحكم الأموي، فمن يجرؤ في ذاك الوقت أن يعارض النظام الأموي الظالم أو يساند الثوار الذين يخرجون ضد هذه الدولة الجائرة، فعدم تحرك الإمام عَلَيْهِ الْكَلَم بعد أن أتته العهود والمواثيق قد يجعل الأمة تعتبر عليه لذلك، حيث كان أملهم الذي يطمحون أن يتحقق الله تعالى ظلم بني أمية على يديه.

فالإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَم إثر ذلك استقبل رسائل أهل الكوفة وبمعوشيهم، ولكنه في نفس الوقت لم يجسم أمره بالذهاب للكوفة قبل أن يطمئنَّ بأنَّ هناك من ينصره في أمره فيها، فأرسل إليهم رسوله الخاص وهو مسلم ابن عقيل، ليتأكد فعلاً من وجود أنصار للإمام عَلَيْهِ الْكَلَم، وأنَّ من كاتب الإمام عَلَيْهِ الْكَلَم على استعداد لنصرته وتعزيره. وقبل أن يصل خبر أهل الكوفة من مسلم ابن عقيل تحرك الإمام عَلَيْهِ الْكَلَم من مكة المكرمة قاصداً الكوفة، وهذا دليل على أنَّ الحسين عَلَيْهِ الْكَلَم لم يعلق مسيرته على أهل الكوفة، فحتى لو أنَّهم نقضوا البيعة والعهد فهو سائر لإحياء دين الله عَزَّوجلَّ، وفي الطريق من مكة إلى العراق وصل نبأ استشهاد مسلم ابن عقيل وجراه في أسواق الكوفة، فعدل الحسين عَلَيْهِ الْكَلَم عن مقصدِه الذي كان يعلم بأنَّه لن يتحقق وصوله إليه. قد يرى البعض أنَّ العامل التعاوني انتهى أثره في الثورة الحسينية حين جاء

خبر استشهاد مسلم ابن عقيل، في حين أنَّ هذا العامل استمر إلى يوم عاشوراء وإلى ما بعد يوم عاشوراء، فهذا العامل لا ينحصر في أهل الكوفة المتخاذلين عن نصرة ابن نبيهم عليهما السلام بل يشمل كلَّ من أبدى الاستعداد والنصرة لأبي عبد الله عليهما السلام، سواء الذي وفَّق لحضور عاشوراء وصار من الثلة المؤمنة التي ضحت بالنفس والدم من أجل أبي عبد الله عليهما السلام، أو الذي لم يوْفِق لعلةٍ ومانعٍ حقيقيٍ.

ونُوكِد هنا على نقطة مهمة جدًا، وهي أنَّ الإمام علي عليهما السلام اهتمَ بدور تعاون الأمة والتحامها في مواجهة الظلم، بيد أنَّه لم يجعل ثورته معلقة عليه، فهو ماضٍ في مسيرته، تحقق هذا العامل أم لم يتحقق. والإمام علي عليهما السلام كان عازمًا على ردِّ المنكر مهما كانت الظروف والأوضاع، فال المصيبة التي ستحلُّ بدين الله تعالى أكبر من أيٌّ ظرف موضوعيٌّ خاص، لذا فإنَّ دور العامل التعاوني كان دوراً مهماً لكنَّه ليس العامل الرئيس، فلو لم يوجد هذا العامل فلن يتوقف الإمام علي عليهما السلام عن مواصلة المسيرة ضد الظلم والظالمين.

### ثالثاً: العامل الشرعي:

قد تقدَّم أنَّ العامل الدفاعي والعامل التعاوني لا يثلان العامل الحقيقي للشورة الحسينية، بل يوجد عامل أساس يُبني عليه قوام الحركة الحسينية، هذا العامل هو «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وقد لا يدرك بعضنا أهميَّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين الإسلامي -خصوصاً في وقتنا الحاضر- حيث توالت الروايات عن النبي عليهما السلام وأهل بيته عليهما السلام في كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة واجبة على كلِّ مسلم ومسلمة، ونكتفي في المقام بذكر حديث إمامنا محمد الباقر عليهما السلام حيث قال: «يكون في آخر الزمان قوم ينبع فيهم قومٌ مراوون -إلى أن قال:- ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا

أسمى الفرائض وأشرفها، إنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ فِرِيْضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تَقَامُ الْفَرَائِضُ، هَنالِكَ يَتَمُّ غَضْبُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِمْ فَيُعَذِّبُهُمْ بِعِقَابٍ فِيهِلَكَ الْأَبْرَارُ فِي دَارِ الْأَشْرَارِ، وَالصَّغَارُ فِي دَارِ الْكَبَارِ، إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ سَبِيلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِنْهَاجُ الصَّلَحَاءِ، فِرِيْضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تَقَامُ الْفَرَائِضُ وَتَأْمُنُ الْمَذَاهِبُ، وَتَحْلُّ الْمَكَاسِبُ، وَتَرْدُ الْمَظَالِمُ، وَتَعْمَرُ الْأَرْضُ، وَيَنْتَصِفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَيَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ»<sup>(٥)</sup>.

فَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الدِّينِ، وَهُجْرَانُهُ وَالْاِبْتِعَادُ عَنْهُ يَكُونُ مَسَاهِمًا فِي مَحْقِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْأَرْضِ، لِذَلِكَ فَعَنِدَمَا يَكُونُ الْعَامِلُ الْحَقِيقِيُّ وَالرَّئِيسُ لِلثُّورَةِ الْحُسَينِيَّةِ هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَعْنِي بِتَعْبِيرِ آخِرٍ أَنَّ الْعَامِلَ الْحَقِيقِيَّ لِلثُّورَةِ الْحُسَينِيَّةِ هُوَ إِحْيَا الدِّينِ وَإِرْجَاعُ مَعَالِمِ الْمَذَاهِبِ الْأَيْدِيِّ الْخَبِيثَةِ وَعِيشَتْ فِيهِ وَشُوَّهَتْ طِيلَةُ عَشْرَاتِ مِنِ السَّنِينِ۔

وَقَدْ تَعَدَّدَتْ عَوَامِلُ الثُّورَةِ الْحُسَينِيَّةِ فَتَنْصُلُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَةِ عَوَامِلٍ -فَمَا ذُكِرَ هُوَ أَهْمَّ ثَلَاثَةِ عَوَامِلٍ-، وَلَكِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْعَوَامِلِ تَرْجِعُ لِلْعَامِلِ الْحَقِيقِيِّ وَهُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ سُبُلِ إِعْلَاءِ كَلْمَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِحْيَا دِينِهِ فِي الْأَرْضِ، وَتَعَدَّدَ الْعَوَامِلُ كَائِنٌ بِلَحْاظِ الظَّرُوفِ الْمُوضُوعِيَّةِ الَّتِي حَاطَتْ بِالْإِمَامِ الْحُسَينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَلَوْ تَأْمَلْنَا بِدَقَّةٍ فِي كَلْمَاتِ الْإِمَامِ الْحُسَينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْذَ خَرْوَجَهُ مِنْ مَدِينَةِ جَدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَبْلِ سَاعَاتٍ مِنْ مَصْرُعِهِ نَجَدَ أَنَّهُ يُؤْكِدُ عَلَى أَنَّ خَرْوَجَهُ وَنَهْضَتِهِ لَيْسَ طَلَبًاً لِلْمَالِ أَوِ الْجَاهِ وَإِنَّمَا لِأَجْلِ إِحْيَا الدِّينِ وَإِرْجَاعِ سَنَةِ النَّبِيِّ الْمَصْطَفِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي غُيَّبَتْ عَنِ النَّاسِ أَمْدًا بَعِيدًا، وَهُنَّا نَسْتَعْرُضُ مَجْمُوعَةً مِنْ كَلْمَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّالِلَةُ وَالْمُؤْكِدَةُ عَلَى اهْتِمَامِ الْإِمَامِ بِبَيَانِ حَقِيقَةِ ثُورَتِهِ وَنَهْضَتِهِ:

١- جَاءَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَشْرَافِ الْبَصَرَةِ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ لِنَصْرَتِهِ: «...وَأَنَا

أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه وآله فإن السنة قد أُميتت، وإن البدعة قد أحْيَت وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله»<sup>(٦)</sup>.

٢- ومن ضمن كلامه عَلَيْهِ الْكَلَام للفرزدق حين لاقاه في طريقه لكرباء: «يا فرزدق! إن هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمور، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين، وأنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعيه والجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا»<sup>(٧)</sup>.

٣- وفي كلامه لعمر بن سعد وجندوه قال عَلَيْهِ الْكَلَام: «لا تعجلوا والله! ما أتيتكم حتى أتنى كتب أمثلكم بآن السنة قد أُميتت، والنفاق قد تَجَمَّع، والحدود قد عطَّلت؛ فأقدم لعل الله يصلح بك...»<sup>(٨)</sup>.

### المواهش:

- (١) أمالى الصدق، صفحة ١٤٢، المجلس ٣١، حديث ٥.
- (٢) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٨٢.
- (٣) تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٢٥٢.
- (٤) الفتوح، ج ٥، صفحة ٢١.
- (٥) وسائل الشيعة، جزء ١٦، باب (١) وجوب الأمر والنهي، حديث ٦، صفحة ١١٩.
- (٦) بحار الأنوار، جزء ٤٤، صفحة ٣٤٠.
- (٧) تذكرة المخواص، صفحة ٢١٧.
- (٨) تذكرة المخواص، صفحة ٢٢٧.

## دروس أخلاقية من سورة الفاتحة

عيسى جاسم القفاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَاللَّعْنُ الدَّائِمُ الْمُؤْبِدُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ، إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ، هَذِهِ بَعْضُ الدُّرُوسِ الْأَخْلَاقِيَّةُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

القرآن الكريم كتاب هداية الإنسان، وتعني الهداية أنْ يتجسد الحقُّ في الإنسان في كل أبعاده، في سلوكه وصفاته وأفكاره، فعلى الإنسان أن يقف عند كل آية ليرى نوع الهداية التي جاءت من أجلها، هل هي هداية السلوك أم هداية القلب أم هداية العقل، ليستفيد منها بالشكل المطلوب، وعلى المتأمل في الآيات أن ينظر إليها بنظر الهادي المحب، دون أن يستغرق في الجانب العلمي على حساب الهدف الأساس - الهداية -، وهذا ما أكدت عليه النصوص الدينية، فالله سبحانه وتعالى عندما يريد أن يصف القرآن الكريم، يقول عنه أنه كتاب هداية ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وعندما يصفه بأنه كتاب الفرقان بين الحق والباطل فإن ذلك تعبير آخر عن الهداية ﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾<sup>(٢)</sup>، لأن معنى أن يكون القرآن فرقاناً بين الحق والباطل، يعني يريدك أن تسلك طريق الحق، الحق في السلوك الذي يوصل الإنسان إلى كماله، والحق في الصفات النفسية والحق في العقائد والأفكار، إذاً معنى قوله أنه كتاب الفرقان يعني أنه كتاب هداية، وكذلك وصفه رَبِّ الْعَالَمِينَ القرآن بأنه تبيان لكل شيء ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، إذاً القرآن الكريم هو الكتاب الذي جاء من

أجل تحقيق الهدف من خلق الإنسان، والهدف الذي من أجله أوجد الله هذا العبد الضعيف هو الهدایة والسير على طريق الله بِعَذَابٍ عَلَيْهِ، وهذه بعض الإشارات والوقفات الأخلاقية من سورة الفاتحة المباركة، حاولت التركيز على الأبعاد التربوية فيها لتأكيد الجانب التربوي في الإنسان:

### الدرس الأول (بسم الله الرحمن الرحيم)

أول آية يبدأ بها القرآن الكريم، هي البسمة، وهي من أعظم آيات القرآن الكريم، وقد ورد عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في معنى قوله: بسم الله قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يعني أسم نفسي بسمة من سمات الله وهي العبادة، قيل له: ما السمة؟ قال العلامة»<sup>(٤)</sup>، واسم الله هو الاسم الجامع لجميع الصفات والأسماء، ومعنى باسم الله أي أستعين بالله على كل ما أحتجه سواء كان قياما بفعل، أو طلب الحصول على المعرفة الصادقة، أو التوفيق للحصول على الصفات النفسية الحسنة، لأن معنى باسم الله أن كل شيء في الوجود إنما يكون باسم الله بِعَذَابٍ عَلَيْهِ، بمعنى أن هذا العالم كله تحليات لكمال الله بِعَذَابٍ عَلَيْهِ، ولا شيء في الوجود إلا وهو نازل من خزائنه بِعَذَابٍ عَلَيْهِ، قال تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(٥)</sup>، كل فعل من الإنسان مخلوق فهو بإذن الله، وكل صفة نفسية في الإنسان مخلوقة فهي بإذن الله، والعقائد التي توجد في نفس الإنسان مخلوقة فهي بإذن الله، وهكذا كل شيء، فبسم الله خلق الخلق، وبسمه يرجع، وبسمه يحيى ويحيط.....، والدروس التي نستلهمها من هذه الآية المباركة كثيرة:

**التوحيد الأفعالي:** يعلمنا ربنا بِعَذَابٍ عَلَيْهِ في هذه الآية المباركة أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله بِعَذَابٍ عَلَيْهِ، وأن كل فعل وكل عين إنما هو تحلي وظهور لأسمائه المقدسة، وكل شيء إنما كان باسم الله بِعَذَابٍ عَلَيْهِ، فأصل وجوده باسم الله وتحقق صفاتاته باسم الله

ووجود أفعاله باسم الله، وهذا ما يفسر لنا قوله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَكَنَّ اللَّهَ قَاتِلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَكَنَّ اللَّهَ رَمَى﴾<sup>(٦)</sup>، الله يخاطب النبي ﷺ ويقول له لا تحسب أنت الذي قمت بالرمي مستقلاً ومن عند نفسك، كلام الله هو الذي رمى على يدك المباركة، هذه حقيقة عظيمة على الإنسان المؤمن أن يكتبها بقلم عقله على صفحة قلبه، فإن لها ثاراً لا تعد ولا تحصى، ومن ثار هذه المعرفة التوحيدية:

**أ - حب الله: الإنسان بفطرته يحب المحسن المنعم؛ فمثلاً عندما يرى المؤمن المحب للعلم الكتب الثمينة التي ألفها الإمام الخميني رضوان الله عليه، ويقرؤها ويرى ما فيها من درر ثمينة تساعده على الكمال، وتفتح له الطريق للسير نحو الله، يشعر بالفطرة أنه يحب الإمام الخميني رضوان الله عليه، فكيف به إذا رأى أن كل هذا الكون وكل صغير وكبير فيه إنما خططه يد القدرة الإلهية، وأن الإمام الخميني الذي أحبه ليس إلا مخلوقاً ضعيفاً أمام عظمته بِعَزَّةِ قُوَّتِهِ فكيف سيحبه، هل سيحبه كما أحب الإمام الخميني؟ كلام سوف يحبه حباً لا يسعه كيانه، حباً يجعله ممسوساً في ذات الله كما كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد روي عن رسول الله ﷺ «لا تسبوا علياً فإنه كان ممسوساً في ذات الله بِعَزَّةِ قُوَّتِهِ»<sup>(٧)</sup>.**

**ب - ترك الحسد: الحسد يعني تمني زوال النعمة -المادية أو المعنوية- عن الغير وتحولها إلى الحاسد، وهذا يعني الاعتراض على الله بِعَزَّةِ قُوَّتِهِ، لأنه هو الذي أنعم على هذا الإنسان، روي عن رسول الله ﷺ: «قال الله بِعَزَّةِ قُوَّتِهِ موسى بن عمران: يا بن عمران لا تخسدن الناس على ما آتتكم من فضلي، ولا تقدن عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمتي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي»<sup>(٨)</sup>، فلماذا يتمنى الحاسد خلاف ما يريد الله بِعَزَّةِ قُوَّتِهِ! عندما يؤمن الإنسان إيماناً حقيقياً بأن كل فعل في هذا**

العالم إنما هو من آثار رحمة ربها، لا يمكن أن يعترض عليها ولا يمكن أن يجد الحسد إلى قلبه طريقاً.

ج - ترك العجب والكبر والتكبر: العجب، حسب ما ذكره العلماء رضوان الله تعالى عليهم هو: "تعظيم العمل الصالح واستكثاره والسرور والابتهاج به، والتغنج والدلال بواسطته، واعتبار الإنسان نفسه غير مقصّرٌ"<sup>(٩)</sup>، والكِبْر عبارة عن حالة نفسية للإنسان تجعله يترفع ويتعالى على الآخرين<sup>(١٠)</sup>، والتكبر إظهار هذه الحالة، إذا علم الإنسان أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله وأن إيمانه إنما كان بتوفيق من الله وإعطاء منه تَعَالَى، وأن صفاته الحسنة إنما هي من صفات جماله وجلاله تَعَالَى، وهو الذي رزقه إياها، وأن كل فعل يفعله فإنه يخاطب كما يخاطب النبي ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ فيعرف أن لا شيء له من نفسه وأن كل ما يملكه إنما هو من الله سبحانه، فهل يمكن أن يعجب بنفسه أو يتكبر؟! ولذا فإن العلاج الأساسي للمتكبر والمعجب هو أن يدخل هذه الحقيقة إلى قلبه فإنها علاج لكل رذيلة.

د - الشعور بعز الربوبية وذل العبودية: من أهم المعارف التي يجب على الإنسان أن يعمقها في نفسه ويكتبهما على قلبه هي الشعور بالعزّة المطلقة لله تَعَالَى والصغر والذل المطلق للعبد في قبال ربها تَعَالَى، يقول الإمام الخميني العظيم (من الآداب القلبية في العبادات، والوظائف الباطنية لسلوك طريق الآخرة التوجّه إلى عزّ الربوبية وذلّ العبودية، وهذا التوجّه من المنازل المهمّة في السلوك للسلوك بحيث تكون قوّة سلوك كل من السالكين بحسب قوّة هذا النظر وبقدارها، بل الكمال والنقص لإنسانية الإنسان تابع لهذا الأمر، وكلما كان النظر إلى الإيمان والأنانية ورؤيه النفس وحبّها في الإنسان غالباً كان بعيداً عن كمال الإنسانية ومهجوراً من مقام القرب الربوبي)<sup>(١١)</sup>، ومن أهم موجبات تحصيل هذه الحالة هو الإيمان القلبي الصادق بالتوحيد الأفعالي وأنه لا مؤثر في

الوجود إلا الله تَبَارَكَ اللَّهُ عَزَّ ذِيْجَلَّ

### استحباب بدء كل عمل بالبسملة<sup>(١٢)</sup>

الحسن بن علي العسكري عليه السلام في التفسير المنسوب إليه: عن آبائه عن علي عليه السلام - في حديث - «أن رجلاً قال له: إن رأيت أن تعرفي ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس، فقال: تركت حين جلست أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، إن رسول الله عليه وآله وسنه حدثني عن الله عَزَّ ذِيْجَلَّ أنه قال: كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر»<sup>(١٣)</sup>، وعن العسكري عليه السلام أيضاً قال: «بسم الله، أي: أستعين على أمري كلها بالله - إلى أن قال - وقال الصادق عليه السلام: ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره بسم الله الرحمن الرحيم فيمتحنه الله بمكروره لينبه على شكر الله والثناء عليه، ويتحقق وصمة تقصيره عند تركه قول: بسم الله، قال: وقال الله عَزَّ ذِيْجَلَّ لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي، قد ألزمتكم الحاجة إلى في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت، فإليّ فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلغوا غايتها، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم: بسم الله الرحمن الرحيم، أي: أستعين على هذا الأمر بالله»<sup>(١٤)</sup>.

### وقفة مع الروايات

أ- من آداب البسمة أن يُقبل الإنسان بقلبه على الله متوجهاً إليه مخلصاً له، لكي يتحقق الغرض الأساس من البسمة، فعن رسول الله عليه وآله وسنه: «من حزنه أمر يتعاطاه فقال: بسم الله الرحمن الرحيم وهو مخلص الله ويقبل بقلبه...»<sup>(١٥)</sup>، أما حينما تكون البسمة لقلقة لسان فلن تتحقق غرضها المنشود من إيصال العبد إلى غايتها الحقيقة، وسوف يكون العمل أبتر أي منقطع الآخر أي لا يصل إلى غايتها.

ب- كل ذكر تكون قيمته بحسب ما يحمل من مضمون، وكذلك كل نص ديني،

فسورة التوحيد أعظم من سورة الفتح مثلا؛ لأن مضمونها التوحيد أرقى من مضمون سورة الفتح، والآية التي تتحدث عن التوحيد أفضل من الآية التي تتحدث عن حكم الصلاة مثلا؛ لأن التوحيد أعظم من الصلاة، بل لأجله جاءت الصلاة، وعندما نأتي إلى ذكر البسمة، نرى أنه ذكر عظيم الشأن حيث إنه يتحدث عن التوحيد، ويربط الإنسان بالله و يجعله متعلقا به دون سواه، ويريد من العبد أن يعيش حالة الارتباط بالغنى المطلق في كل حالاته وسكناته، ليحبه ويخلص له، فإنَّ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذَكْرِ شَيْءٍ أَحَبَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ، حيث إن الإنسان إذا لم يكن ذاكرا الله فسوف يكون لا محالة ذاكرا لغيره، ذاكرا للدنيا والشهوات والذات والشهرة والمنصب والأموال...، وإذا كان ذاكرا لها فسوف يحبها ويخلص لها كل حياته وسوف تنطبع نفسه على ذلك وهذا هو الخسران المبين.

ج - الاستعانة أمر ضروري في حياة الإنسان بالقدرة المطلقة والرب الغني، خصوصا في تهذيب النفس وتطهيرها؛ لأن هذا العمل أشق من الأعمال الظاهرة والمادية، فإنه طريق صعب شاق، فعلى العبد أن يستعين دائما بربه في سيره وسلوكه، وإلا فلن يتمكن من الوصول إلى شيء، يقول الإمام المقدس الخميني رضوان الله عليه (إذاً في أيها العزيز، فكّر، وابحث عن العلاج، واعثر على سبيل نجاتك ووسيلة خلاصك، واستعن بالله أرحم الراحمين، واطلب من الذات المقدسة في اللياليظلمة، بتضرع وخضوع أن يعينك في هذا الجهاد المقدس مع النفس، لكي تتغلب إن شاء الله، وتجعل مملكته وجودك رحمانية، و تطرد منها جنود الشيطان) <sup>(١)</sup>. والحمد لله رب العالمين.

### الدرس الثاني (الرحمن الرحيم)

الرحمة من الصفات الفعلية <sup>(١٧)</sup> لله تَعَالَى، وهي في العبد انفعال نفسي ورقة

قلبية تستتبع عادة القيام بعقتضى هذا الانفعال لسد حاجة الموجود الذي أوجبت حاله الرقة، فالإنسان عندما يرى فقيراً معدماً يرق قلبه عليه فينعنطف عليه ليقدم له المساعدة، فرحمه العبد تتكون من أمرتين، من الانفعال القلبي والسلوك العملي، إلا أنها في المخالق تَبَعَ الْمُؤْمِنَاتِ ليست إلا الأمر الثاني وهي التفضل على العبد بما يحتاجه ويفتقر إليه<sup>(١٨)</sup>، يقول أمير المؤمنين وسيد الموحدين عَلَيْهِ السَّلَامُ «رحيم لا يوصف بالرقة»<sup>(١٩)</sup>؛ لأن الله ليس محلاً للحوادث ويستحيل أن يتغير حاله من حال إلى حال. والفرق بين صفتتي الرحمن والرحيم، أن صفة الرحمن أعم من صفة الرحيم، وهي المسماة بالرحمة العامة، فخلقُ العالم إنما كان بعقتضى الرحمة العامة، والرزق المادي من المأكل والمشرب لكل الناس؛ الكافر والمؤمن من الرحمة العامة، أما صفة الرحيم فهي تعني الرحمة الخاصة لبعض عباده، فنعمـة الإيمان من الرحمة الخاصة التي لا تشمل الكفار، ونعمـة التوفيق لصلاح الليل مثلاً من الرحمة الخاصة والتوفيق الخاص الذي لا يشمل كل إنسان، والجنة من الرحمة الخاصة، وهذه الرحمة الخاصة نابعة من الرحمة العامة، فالرحمة العامة هي منبع كل فعل من أفعال الله تَبَعَ الْمُؤْمِنَاتِ، حتى الغضب الإلهي هو من الرحمة العامة، لكنه ليس من الرحمة الخاصة، من هنا نفهم ما جاء في الأدعية من كون رحمته سبحانه سبقت غضبه «سبحان الذي سبقت رحمته غضبه»<sup>(٢٠)</sup>، فإن المراد بالرحمة السابقة في الدعاء هي الرحمة العامة<sup>(٢١)</sup>، فالغضب الإلهي يقابل الرحمة الخاصة، دون الرحمة العامة لأن الرحمة العامة تشمل الغضب الإلهي وهو نابع منها<sup>(٢٢)</sup>، ولذا فإن أساس كل شيء في العالم التكويني والتشريعي هو الرحمة الإلهية، وقد خلق الله تَبَعَ الْمُؤْمِنَاتِ عبده ليرحمه «إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(٢٣)(٢٤)</sup>. والآن نريد أن نقف على بعض الدروس الأخلاقية من هذه الآية المباركة:



**أ- الرحيم محبوب:** فطرة الإنسان وقلبه يميل إلى حب الرحيم، حتى لو لم يسد إحساناً إليه، فعندما يسمع الإنسان عن مؤمن رحيم بالناس وبزوجته وبأولاده يحبه ويأنس لذكره<sup>(٢٥)</sup>؛ لأنَّ الرحمة من الصفات الجميلة التي فطر الإنسان على حبها، ويزداد حب الإنسان لهذا الرحيم عندما يصله من رحمته شيءٌ، فعندما تخطئ الزوجة وترى الرحمة البالغة من زوجها كما كانت رحمة الحبيب المصطفى ﷺ مع زوجاته، تحب زوجها وترى فيه الكهف الذي تلجمأ إليه، عن رسول الله ﷺ «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها»<sup>(٢٦)</sup>، فكيف بخالقنا وربنا؟! الذي يحيطنا بالنعم المعنوية والمادية، والذي يحن علينا أكثر من أمهاتنا وآبائنا، ويستر علينا، جاء في الحديث القدسي «يا داود! لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم، ورفقي بهم، وشوفي إلى ترك معاصيهم، لما توا شوقاً إلي وتقطعت أو صافهم من محبني»<sup>(٢٧)</sup>، ولكن غافلون عن هذا المحبوب، ومشغلون بخلوقاته التي تعكس القليل من جماله، وكل حب ليس لحب الله فهو حب كاذب سوف يظهر زيفه يوم القيمة، قال تعالى ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢٨)</sup>؛ لأنَّ حب غير المتقين ليس على أساس الحب في الله ﷺ، بل على أساس المصالح الدنيوية، على أساس الجمال الظاهري، والمال والجاه و... .

**ب- درس للعبد:** إذا كان الله ﷺ الخالق المالك لكل شيء يتعامل مع عباده على أساس الرحمة، فكيف يجب أن يكون العبد في تعامله مع العباد الضعاف المحتاجون؟ طبعاً سوف يكون من الواجب عليه أن يتعامل مع الناس على أساس الرحمة؛ لأنَّه من المطلوب منه أن يتخلق بأخلاق الله ﷺ<sup>(٢٩)</sup>، ولأنَّ الناس عباد الله ومنتسبون إليه، عن أبي عبد الله عاشور قال: قال رسول الله ﷺ «الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيته سروراً»<sup>(٣٠)</sup>، يجب أن يقف العبد مع نفسه بتأمل

ليرى هل أن المبدأ الذي يتعامل به مع الناس هو مبدأ الرحمة والعطف والشفقة، أم مبدأ العنف والشدة والقسوة؟ خصوصاً مع من هم أضعف منه، كالزوجة والأولاد، وإذا كان مسؤولاً في مؤسسة فلينظر في نفسه جيداً وليراقبها، نحن عبيدٌ لفقراء لا نملك لأنفسنا شيئاً، وليس لنا حقٌّ إلا ما أعطانا ربنا، فلماذا القسوة والشدة على عباد الله، وما أجمل قوله تعالى في وصف المؤمنين والمتبعين للحبيب المصطفى ﷺ: ﴿مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَسْدِاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ﴾<sup>(٣١)</sup>. وكما يجب على المؤمن أن يتعامل مع العباد على أساس الرحمة، عليه أيضاً أن يتعامل مع نفسه على أساس الرحمة كذلك، ورحمة العبد بنفسه أخذها على طريق الله وطاعته تتعالى، وعدم التجربة على الله تتعالى والاغترار به سبحانه، يقول أمير المؤمنين ع: «يا أيها الإنسان ما جرأك على ذنبك، وما غرك بربك، وما آنسك بهلكة نفسك. أما من دائق بلول. ألم ليس من نومتك يقطنة. أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك. فربما ترى الضاحي لحر الشمس فتظله، أو ترى المبتلي بآلم يض جسده فتبكي رحمة له، فما صبرك على دائك، وجلدك على مصابك، وعزاك عن البكاء على نفسك. وهي أعز الأنفس عليك»<sup>(٣٢)</sup>. ولا يتمكن الإنسان من رحمة بنفسه إلا إذا كان عارفاً بما يوجب له الرحمة ويبعد عنه العذاب، فالجاهل بذلك لا يمكن من القيام بهذا العمل، فالذي لا يعرف أن الرياء يفسد أعماله ويتساهم به مثلاً، أو يعرف ذلك ولكن لا يعرف كيف يتخلص من الرياء، فإنه لا يمكن من أن يرحم نفسه المسكينة، ولذا فإن المعرفة بالأحكام الشرعية وطرق تهذيب النفس أول خطوة ليتمكن العبد من أن يرحم نفسه، يقول أمير المؤمنين ع: «لكميل بن زياد (يا كميل! ما من حركة إلا وأنت تحتاج فيها إلى معرفة)»<sup>(٣٣)</sup>.

**ج - محاربة المستكبرين رحمة: من رحمة الله بعباده أن أمرهم بالجهاد وقتال الكفار**

والمستكبرين؛ لأنَّ بقاء قوتهم وسيطرتهم تعني بقاء أكبر حجاب يحجب الهدایة عن الناس، فتحرم بذلك ملايين الناس من الهدایة؛ لأنَّ الكفار يسعون مهما أمكنهم أن لا يصل الحق إلى الناس، فمثلاً هل تقبل أمريكا المستكبرة أنْ يُبلغَ الإسلامُ الأصيل في جميع أرجاء أمريكا؟ كلا لأنَّها تخاف انجذاب الناس لهذا الدين الفطري الذي تأنس به النفوس، لذا فلابد من السعي لإزالة هذه الحكومة الكافرة، وكل من يسعى سعيها لكي يفتح الباب لبقية الناس ويعرض عليهم الدين خالصاً فيختاروا الطريق الآمن ليفلحوا في الدنيا والآخرة، وهذه الرحمة -محاربة المستكبرين- وإن ظهرت بصورة الغضب إلا أن باطها الرحمة حتى على الكفار؛ لأنَّ بقاءهم لا يزيدهم إلا تسافلاً وانحطاطاً إلى جهنم.

د- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رحمة: لقد كلفنا الله بتكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك مراتب مختلفة، من الأيسر إلى الأشد، إلى أن تصل في بعض الأحيان إلى الضرب والجرح، أو حتى القتل، وهذا التكليف أيضاً من أعظم مظاهر رحمته سبحانه، حيث يكون رحمة على الآمر والمأمور والمجتمع، هو رحمة على المأمور لأنَّه بذلك يرتدع عن الذنوب التي تهلكه، ورحمة على الآمر لأنَّه ينال بذلك الثواب الجزييل لأنَّه قام بتكليفه، ورحمة على المجتمع لأنَّ المجتمع الذي يشيع في المنكر ينحط ويتسافل ويضعف وينهار، ويضيق فيه الحق وتختلط فيه المفاهيم، فعلى المأمور أن ينظر إلى الآمر على أنه طبيب رحيم مشفق عليه، كما يجب على الآمر أن يكون رحيماً في أمره ونهيه، وما خربت المجتمعات وضاعت وكثير فيها البلاء والمشاكل إلا لأنَّه ضيّعت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هـ- درس للمبلغين: ليس الله بعزيزاً فحسب هو الذي يتعامل مع عباده على أساس الرحمة، بل كل من تربى في المدرسة الإلهية كذلك، كل الأنبياء والأوصياء

والائمة والأولياء والعلماء الحقيقين كانوا يتعاملون مع الناس على أساس الرحمة، فمن يقرأ في سيرتهم يجد ذلك بوضوح؛ لأنهم تربوا التربية الإلهية، ويصف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ النبيَّ الْأَكْرَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأنه طبيب دوار بطبه: «اختاره من شجرة الأنبياء مشكاة الضياء، وذوابة العلياء وسرة البطحاء. ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة، طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، وأذان صم، وألسنة بكم. متبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة»<sup>(٣٤)</sup>، والطبيب يجب أن يكون شفيراً رحيمًا بالمريض، فكذلك طبيب القلوب والعقول، بل يمكن القول أنه الواجب عليه أبلغ؛ لأن مرض القلب والعقل أخطر، وعلاجه أصعب، كما أن مقتضى الرحمة من المبلغ أن يعرض نفسه هداية الناس وأن يبادر هو بذلك ولا ينتظر الناس أن يأتوا إليه ليسألوه الموعظة والحكمة والرأي الشرعي، ولذا فإنّ الرسول لم يكن طبيباً فحسب، بل كان دواراً بطبيه يتربص مواضع هداية الناس، لذا فإنه كان يعرض نفسه لذلك، ونقرأ هذا النص لبيان هذه الحقيقة، ينقل العلامة الجلسي في البحار هذا النص التاريخي، «وذلك ما روی أن رسول الله ﷺ خرج في الموسم يعرض نفسه على القبائل فيينا هو على العقبة إذ لقي رهطاً من الخزرج، فقال: من أنتم؟ فقالوا: من الخزرج، قال: أفلأ تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن»<sup>(٣٥)</sup>. والحمد لله رب العالمين.

### الدرس الثالث (الحمد لله رب العالمين)

الحمد يعني الثناء على الجميل الاختياري من الذات والصفات والأفعال، والثناء على الله ثناء على كل شيء يرتبط به سبحانه على ذاته وصفاته وأفعاله، وكل ما في العالم أفعاله تعماه، وكل خير منه سبحانه، قال تعالى ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ

اللهٰ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سُيَّرَةٍ فَمِنْ تَفْسِيْكَ ﴿٣٦﴾، والرب هو الذي يعطي المربوب ما يحتاجه، والله رب العالمين رب الدنيا والآخرة، رب الغيب والشهادة، رب الأنبياء والمساكين، فهو الذي يعطي كل موجود ما يحتاجه، سواء كانت حاجة معنوية أو مادية، فالحمد له وحده لا غير، وحق الحمد الذي يصدر من عبده إنما هو بتوفيقه بِعَذَابِهِ تَعَالَى، يقول زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في مناجاة الشاكرين: «فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر؟! فكلما قلت لك الحمد، وجب علي لذلك أن أقول لك الحمد»<sup>(٣٧)</sup>. وهذه الآية عين لا تنبع بالمواعظ للعبد المسكين:

**أ - لا حمد لغيره**<sup>(٣٨)</sup>: على العبد أن لا ينتظر الثناء من أحد من العباد؛ لأنه ليس له حول ولا قوة فيما قام به، وعليه أن يشعر أن كل أعماله الصالحة التي يقوم بها إنما هي بتوفيق من الله بِعَذَابِهِ تَعَالَى، ولو لا عنابة الله بِعَذَابِهِ تَعَالَى لما قام بشيء من الأعمال الصالحة، فهو الموفق لكل خير، فعلام العجب إذن؟ إذا كان الخير ليس إلا له بِعَذَابِهِ تَعَالَى فعلام الغرور، أحياناً يشعر الإنسان أنه في منصب لولاه لما قام أحد غيره به! وهذا من حيل الشيطان لَعَلَّهُ، وأحياناً يشعر الإنسان أن له مقاماً كبيراً لما يقوم به من أعمال صالحة وخدمات للمجتمع؟ واعجبه ألا يقرأ هذا الفقير كل يوم قوله تعالى الحمد لله؟ ليس للعبد شيء وإنما الحمد لله، تأمل أيها العبد في قوله تعالى **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلَيْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**<sup>(٣٩)</sup>، هل هذه الآية مبالغة؟ أم حقيقة؟ على كل إنسان خصوصاً أصحاب المناصب والمراكز الاجتماعية وسيما المناصب المعنوية المرتبطة بالدين، أن يركز هذه الحقيقة في نفسه وأنه لم يقم بشيء وليس هو شيء، إنما كل شيء منه سبحانه وهو المحمود بل وهو الحامد سبحانه، وأكثر مصابينا من النفس وحبها وحب الدنيا، عندما يرى الإنسان نفسه شيئاً وأنه لابد أن يحمد ويحترم ويقدس، من هنا تبدأ المشاكل

الأساسية في المجتمع، وتحل كل المشاكل عندما لا يرى الإنسان نفسه شيئاً، وأنه لا يستحق لا حمداً ولا شكراً، وإنما الذي يستحق ذلك هو الله تَعَالَى، لقد تكنت الجمالات والرسوم وحب النفس من مجتمعنا أيها تكن حتى انقلب المفاهيم - والعياذ بالله سبحانه -؛ فترى كثيراً من أصحاب المناصب الدينية ربما يغضب كالأسد إذا لم يسد إليه الشكر والحمد ولم يشر إليه بالبنان.

**بـ الشرك في الحمد:** كثيراً منا يبتلى بالشرك في الحمد فيحمد سوى الله تَعَالَى، فيحمد ويشكر ذلك الذي أعطاه المال ويغفل عن كونه من الله سبحانه، وأن هذا العبد ليس إلا وسيلة سخرها الله تَعَالَى، أحياناً يعول المؤمن في معيشته على الراتب الشهري الذي يستلمه من الشركة الفلانية، دون أن يلتفت إلى أن الرزق بيد الله، وأن هذا المال من الله تَعَالَى، هذا شرك خفي، والحديث عن الرضا عَنِ الْمُنْعَمِ «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عَزَّوجلَّ»<sup>(٤٠)</sup> لا يتنافى مع هذه الحقيقة؛ لأنَّه لابد<sup>(٤١)</sup> أن يشكر المخلوق مع الافتراض إلى أنه مخلوق ليس من عنده شيء، وأن ذلك من عند الله تَعَالَى، كثيرٌ منا يحمد غير الله، كثيرٌ منا يشكر الغني الذي أعطاه مالاً غافلاً عن الله تَعَالَى، كثيرٌ منا يشكر المسؤول في الشركة لأنه وظفه في الشركة، ويغفل عن الله تَعَالَى، كثيرٌ منا يدح العالم العارف الفلاي غافلاً عن كونه رشحة من جمال الخالق، كثيرٌ منا يشي على علمٍ فلان من العلماء غافلاً عن كون علمه تحجبي من علم الخالق جَلَّ وَعَلَى...، ونغفل عن قوله تعالى وما نقرؤه كل يوم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

### مالك يوم الدين

ملكُ اللهِ ملكُ حقيقيٍ<sup>(٤٢)</sup> وهو يملُك الدنيا والآخرة، والآخرة باطن هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾<sup>(٤٣)</sup>

ولكن تظهر ملكيته للجميع يوم القيمة، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ تَوَابًا وَخَيْرٌ عَقْبًا﴾<sup>(٤٤)</sup> فالولاية لله في الدنيا والآخرة، لكنها تظهر للجميع يوم القيمة وتنجلي بأكمل صورها؛ لأن بصر الإنسان يكون نافذا يوم القيمة، بل مجرد أن يوت قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غَطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾<sup>(٤٥)</sup> وفي يوم القيمة يجازى الإنسان عن جميع ما فعل، عن كل صغيرة وكبيرة، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُשْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيَلْتَئِمَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(٤٦)</sup>، فالله مالك يوم القيمة وفيه يحاسب الناس وهذا معنى يوم الدين أي يوم الحساب، وفي هذه العقيدة دروس:

### ذكرى الدار

يجب على الإنسان أن يضع نصب عينيه دائماً أن مرده إلى القبر وإلى الحياة الخالدة التي لا موت فيها، وأنه إلى حفرة من حفر النار أو إلى روضة من رياض الجنة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن للقبر كلاما في كل يوم يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»<sup>(٤٧)</sup>، وهذه الحالة إذا عاشها الإنسان عصمته عن الذنوب والاستغراق في ملذات الدنيا، وهكذا كان حال أهل البيت عليهما السلام، روي عن أم كلثوم بنت علي عليهما السلام: «لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدمت إليه عند إفطاره طبقا فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره، فلما نظر إليه وتأمله حرك رأسه وبكى بكاء شديدا عاليا، وقال: يا بنية ما ظننت أن بنتا تسوء أباها كما قد أساءت أنت إلى. قالت: وما ذا يا أباه؟ قال: يا بنية

أتقدمين إلى أبيك إدامين في فرد طبق واحد؟ أتريدين أن يطول وقوفي غدا بين يدي الله عز وجل يوم القيمة؟ أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمِي رسول الله عليه صلوات الله، ما قدم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله، يا بنية ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عز وجل يوم القيمة، يا بنية إن الدنيا في حلاها حساب وفي حرامها عقاب...، يا بنية والله لا آكل شيئا حتى ترفعين أحد الإدامين، فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصا واحدا بالملح الجريش»<sup>(٤٨)</sup>.

الإنسان الذاكر للآخرة عندما يهم بظلم أحد يفكر في الآخرة، وأنه سوف يؤخذ بظلمه فيتراجع، وإذا أراد أن يتكبر يتذكر أنه إن فعل فسوف يجعل كالذر ذليلا يقوم القيمة تطوه الخائق، ولذا قال رسول الله عليه صلوات الله «كفى بالموت واعظا»<sup>(٤٩)</sup>، وكان أهل البيت عليهما السلام وهم المعصومون يضطربون عند ذكر الموت، تصف أم كلثوم سلام الله عليها حال أمير المؤمنين عليه السلام ليلة التاسع عشر من شهر رمضان فتقول: «ويكثر الدخول والخروج وهو ينظر إلى السماء وهو قلق يتململ ... قالت: ولم يزل تلك الليلة قائما وракعا وساجدا، ثم يخرج ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء، وينظر في الكواكب وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت، وإنها الليلة التي وعدت بها، ثم يعود إلى مصلاه ويقول: اللهم بارك لي في الموت، ويكثر من قول: إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويصلی على النبي وآلـهـ ويستغفر الله كثيرا. قالت: فلما رأيته في تلك الليلة قلقا متتملاً كثیر الذکر والاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت: يا أباـهـ ما لي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد؟ قال: يا بنية إن أباـكـ قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوفا، وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقلت: يا أباـهـ مالك تتعنى نفسك منذ الليلة؟ قال: يا بنية قد قرب الأجل

وأنقطع الأمل»<sup>(٥٠)</sup>.

علينا أن نراجع أنفسنا جيداً فهل نحن ذاكرون للموت؟ أم هي لقلة لسان؟ ويستدل على ذلك بالآثار والعمل الصالح، فأكثرنا ذكرًا للموت أكثرنا زهداً في الدنيا، وأكثرنا خوفاً من الله، وأكثرنا ورعاً وأكثرنا جهاداً وخدمة للدين. والحمد لله رب العالمين.

#### الدرس الرابع (إياكَ نبعد وإياكَ نستعين)

العبد هو المملوك، والعبادة هي أن ينصب العبد نفسه في مقام المملوكيّة لربه، ولذلك كانت العبادة منافية للاستكبار، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدِχُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٥١)</sup>، وتقديم إياك على العبادة يفيد الحصر فلم يقل نعبدك بل إياك وحدك نعبد، والعبودية تعمق بقدر المملوكيّة، فلو كان المالك يملك نصف العبد كانت عبودية العبد في نصفه، وإذا كان يملكه بأكمله صار عبداً محضاً، والله يملكونا ملكاً حقيقةً كاملاً، يملكون حتى النفس الذي تنفسه، فالله مالك كل شيء ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥٢)</sup> لذا فلا يستعن بغيره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَعْلَمُ﴾<sup>(٥٣)</sup>؛ لأنّه لا مؤثر في الوجود إلا الله يعْلَمُ، وفي هذه اللطيفة

عبر:

**ال العبادة هدف وجودك:** قلنا إن تقديم إياك على العبادة يفيد حصر العبادة بالله يعْلَمُ، فلا معبد سواه، هذا من جهة ومن جهة أخرى فلا وظيفة للعبد غير العبادة؛ لأنّ هذا هو مقتضى المملوكيّة المطلقة لله يعْلَمُ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٥٤)</sup>، هذه الآية المباركة تحصر وظيفة الإنسان بالعبادة وتقول له ليس لك عمل في هذه الدنيا غير العبادة، وكل عمل ليس عبادة فإنه

يخالف الهدف من الخلق، ويكون حسرة يوم القيمة حتى لو لم يملأه الإنسان بالذنوب، فإنه غفلة عن ذكر الله تعالى، والغفلة تسبب اسوداد القلب، عن أبي عبد الله علیه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: (لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فان الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون) <sup>(٥٥)</sup> حتى لو كان الكلام مباحا وحاليا من كل إشكال شرعي؛ لأن طبيعة الإنسان أنه بمجرد أن يشغل عن الله بشيء يقوس قلبه ويبعد وهذا أمر تكوفي في الإنسان خلقه الله عليه.

جعل كل عمل عبادة لوجه الله يكون بنية القرابة له تعالى، وذلك يوجب رحمة خاصة للعبد من قبل ربها تعالى وهذا الذي خلق الله العبد من أجله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَّالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ <sup>(٥٦)</sup>، لقد خلقك الله ليرحمك برحمته الخاصة، وإنما تتحقق الرحمة الخاصة بالعبادة <sup>(٥٧)</sup>، فكل وقت يقوم فيه الإنسان بعمل لم ينو فيه القرابة لله حتى لو كان نوما أو أكلا، فإنه فوت على نفسه رحمة خاصة، وخالف الغرض الذي من أجله خلق، فكل لحظة لا يكون فيها الإنسان مشغولا بالعبادة فهي لحظة ضائعة من عمره لا توجب له إلا بعد عن الله تعالى، عن النبي صلوات الله عليه وسلم قوله في وصيته لأبي ذر رضوان الله عليه: «يا أبا ذر ليكن لك في كل شيء نية صالحة حتى النوم والأكل» <sup>(٥٨)</sup>.

وما أسهل أن يجعل الإنسان جميع أعماله لوجه الله تعالى، وما أبلغ ذلك في توفيق الإنسان في حياته وأنسه بربه، وما أوجب ذلك لنظر الرب إلى عبده الفقير، الذي يسعى أن يكون كل شيء له تعالى، وكم من أعمال كثيرة نقوم بها من دون نية القرابة، لو نوينا القرابة فيها لطهرت قلوبنا ورفعتنا، فكل أب يخدم عياله، وكل

أم تخدم زوجها وأولادها، وكل رجل يعمل أكثر النهار، والطالب يدرس،... لو نوى كل إنسان كل أعماله قربة إلى الله لكان من العباد حقاً وحقيقة، ولو جد نفسه يملأ علاقة وطيدة بالله تعالى، ثم يجد رغبة وإقبالاً على العبادة والصلوة والمناجاة.

الاستعانة بغير الله شرك: إذا آمن الإنسان بأنه لا يوجد مؤثر في الوجود إلا الله تعالى، فبطبيعة الحال لن يطلب العون إلا منه تعالى، ولن يسد حاجته إلا به سبحانه، وقد ورد أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً لهذا السبب، فإن الخلة التي هي بمعنى الصحبة مأخوذة من الخل أي النقص، فكأن الصاحب يسد حاجة صاحبه، وكان إبراهيم لا يطلب شيئاً من غيره تعالى ولا يستعين بغيره سبحانه، لأنّه وصل إلى الحقيقة القائلة "لا مؤثر في الوجود إلا الله" قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup> وكل استعانة بغيره تعالى شرك؛ لأنّها تعبر عن اعتقاد -ولو كان بسبب الغفلة- بتأثير غير الله تعالى؛ لأنّ الإنسان لا يستعين إلا بنّ له القدرة على الإعانة والتأثير، وهذا شرك في التوحيد الأفعالي لله تعالى، ولذا جاء في النصوص الدينية التأكيد على الذكر الشريف التوحيد "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

وكم هي حياتنا مملوءة بالشرك الخفي بسبب الاستعانة بغير الله تعالى؟ فكل استعانة بغير الله إذا لم يلتفت الإنسان فيها إلى أن المعين إنما أعنان بقدرة الله وأنه مظهر لقدرة وعلم الله تعالى فهي شرك خفي؛ لأنّها توجه لغير الله، وما كان الرياء شركاً إلا لأنّه توجه لغير الله تعالى، فعندما يستعين أحدهنا بصاحب أو أبيه في المال دون أن يلتفت إلى أن المعين إنما هو الله وبقدرة الله فقد أشرك، وعندما يمرض الإنسان ويذهب ليستعين بالطبيب، فإن لم يلتفت إلى أن الشافي هو الله، وأن الطبيب وسيلة خلقها الله، وأن ما عند الطبيب من علم وقدرة هي من الله فقد أشرك، فكم

نحن مشركون، وكل شرك نحس، فكم هي أرواحنا ملوثة بلوث الشرك والتوجه لغير الله، وكل مصائب الإنسان تنشأ من التوجه إلى غير الله تَعَالَى، طبعاً هذا المستوى من الشرك ليس محظياً لكنه مذموم بالنص والعقل، وربما سبب ذنباً شرعاً.

عن الحسين بن علوان قال: كنا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتني في بعض الأسفار فقال لي بعض أصحابنا: من تؤمل لما قد نزل بك فقلت: فلاناً، فقال: إذا والله لا تسعف حاجتك ولا يبلغك أملك ولا تنفع طلبتك، قلت: وما علمك رحمك الله؟ قال: إن أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ حدثني أنه قرأ في بعض الكتب أن الله تبارك وتعالى يقول: «وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي، لأقطعن أمل كل مؤمل من الناس غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحنيه من قربي، ولأبعدنه من فضلي، وأيؤمل غيري في الشدائيد؟! والشدائيد بيدي، ويرجو غيري ويقرع بالفكر بباب غيري؟! وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن ذا الذي أملني لنوائبه فقطعه دونها؟! ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني؟! جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بمحظتي، وملأت سماواتي من لا يمل من تسبيحي وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثروا بقولي، ألم يعلم أن من طرقته نائبة من نوائي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلا من بعد إذني، فمالي أراه لاهيا عنني، أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده وسأل غيري، أفيراني أبداً بالعطاء قبل المسألة ثم أسأله فلا أجيب سائلي؟! أجنيل أنا فيبخلني عبدي، أوليس الجود والكرم لي؟! أوليس العفو والرحمة بيدي؟! أوليس أنا محمل الآمال؟! فمن يقطعها دوني؟! أفلام يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري، فلوا أن أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعاً ثم أعطيت

كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك أنا قيمه، فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراني»<sup>(٦)</sup>. والحمد لله رب العالمين.

### الدرس الخامس (اهدنا الصراط المستقيم)

الهداية بحسب تحليل العقل وما ذكره النص الديني المقدس على أقسام، الهداية الفطرية التي خلق الله الإنسان عليها، فقد خلق الله الإنسان بنحو يلوك روحًا موحدة منشدة إلى الكمال، والهداية التشريعية، وهي عبارة عن بيانات الشريعة فيما ينبغي فعله وما ينبغي تركه من العبد، ويعبر عن هذه الهداية في لسان العلماء "إرادة الطريق"، والقسم الثالث هي الهداية التكوينية وهي عبارة عن تكميل وتنوير قلبه ورفع درجته بعد امتحان الشريعة المقدسة، واعتقاده بالحقائق الكونية والمعارف الحقيقة الصادقة، والهداية تارة تكون في السلوك وأخرى في الصفات النفسية، وأحياناً في المعتقدات، وأهم هداية هي الهداية في العقيدة؛ لأنها أساس الهداية في الصفات والسلوك، إذن هناك صراط عمل وصراط صفات نفسية وصراط معارف ومعتقدات، والصراط المستقيم هو الصراط المطابق للواقع والذي يحقق الهدف - الكمال - من خلقة الإنسان.

ويقابل الصراط المستقيم سبل الضلال وطرق الشر قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، فكل سلوك لا يصب في كمال الإنسان وكل صفة رذيلة وكل عقيدة باطلة إنما هي خروج عن الصراط إلى السبل التي تبعد الإنسان عن الله تعالى، ولنا في هذا دروس وعبر:

## أهمية هذا الدعاء

كل نص ديني وكل فكرة دينية يحدد مقدار عظمتها بلحاظ مضمونها وما تكشف عنه من حقائق، سواء كانت في الأفعال أم المعتقدات، فالنص الذي يتحدث عن التوحيد مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ﴾<sup>(٦٢)</sup> أعظم من النص الذي يتحدث عن الأمر بالصلوة والزكاة مثلاً، من هنا فإن أهمية وعظمة الدعاء إنما تكون بحسب مضمونه، فالدعاء مثلاً للرزق المعنوي كالتوفيق لصلاة الليل، أعظم من الدعاء للرزق المادي كطلب الدار الواسعة، وطلب المعارف التوحيدية أعظم من طلب التوفيق لقراءة القرآن الكريم مثلاً وهكذا، وعندما نأتي إلى أول<sup>(٦٣)</sup> دعاء في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ نجد أنه يحمل المضمون الذي يلخص الهدف من وجود الإنسان، ويحوي طلب جميع الكلمات المعنوية؛ لأنه كما قدمنا أن المراد من الهداية تشمل الهداية في السلوك والأخلاق والعقيدة، وليس من شيء وراء الهداية في هذه الأمور الثلاثة، وهذا أعظم الدعاء وأي شيء أكبر من أن يكون الإنسان على الصراط المستقيم؟ ولذا جاء الأمر بتكرار هذا الدعاء من خلال قراءة هذه السورة المباركة التي هي أفضل سور القرآن القصار، وعلى العبد وهو يقول أهدانا الصراط المستقيم أن يستحضر خطورة وأهمية ما يطلب، ومقدار حاجته إليه.

## طلب تثبيت وزيادة

عندما يطلب الإنسان الهداية بأن يكون على الصراط المستقيم، فإن هذا الطلب ينحل إلى طلبين أساسيين، الأول طلب الهداية المفقودة، وثانياً طلب الثبات على الهداية الموجودة، فالإنسان يطلب ما يفقد ويدعو الله أن يثبته على ما هداه إليه، فليس المهم أن يهتدي العبد إلى الطريق الحق فحسب، بل عليه أن يسعى لأن

يحافظ على ما اهتدى إليه، وهذا ليس بأسهل من الأول، ولذا فإن من أهم الأدعية القرآنية المرتبطة بهذا الدعاء الأساس ﴿إِهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(٦٩)</sup>؛ حيث أن الإنسان معرض للزيغ والضلالة، وجاء التأكيد على مسألة العبادة لتثبيت الإنسان على الهدى والإيمان، وللهداية مراتب عديدة لا تقف عند حد، فإنه تساوق الكمال، فإن الكمال لا حد له يقف عنده، فالإنسان الذي هدى للدين الحق فهو على الصراط المستقيم من هذه الجهة، ولكنه ربما لا يكون كذلك بالنسبة إلى تجسيده لهذا الدين، فيسأل الله أن يوفقه لتطبيق الدين الحق، فربما وفق لأداء ظواهر الدين كأداء الصلاة والصيام ومحاربة الظالمين، لكنه لا يؤدي هذه العبادات بحسب آدابها القلبية؛ فيكون على الصراط المستقيم من جهة أداء الأعمال ولكنه ليس كذلك بالنسبة لأداء حق الباطن، وربما يوفق لذلك لكنه يكون حبا في الجنة لا حبا لله .... فالصراط مراتبه لا حدود لها، فإنه وإن كان واحدا إلا أنه ذو مراتب عالية، يصل بعضها إلى ما يكون فوق عقولنا، وكل مرتبة يوفق إليها الإنسان فهي عرضة للزوال، فربما يوفق لصلاة الليل فترة من الزمن، لكن عليه أن يعلم أن هذه الهدى وهذا المقدار من السير على الصراط هو عرضة للزوال<sup>(٦٩)</sup>، إلا في المعصوم عليه السلام، فإن له شأنه الخاص.

فعلى العبد أن يعيش الخوف دائما من أن يفعل ما يوجب زوال هدايته ويقرأ الدعاء بتضرع "ربنا لا تزغ..." وقد جاء التحذير في روایات أهل البيت عليهما السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن العبد يصبح مؤمنا ويسي كافرا ويصبح كافرا ويسي مؤمنا وقوم يعارضون الإيمان ثم يسلبونه ويسمون المعارضين، ثم قال: فلان منهم»<sup>(٦٦)</sup>، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: « فمن الإيمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب،

ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور»<sup>(٦٧)</sup>، هذا ما تشير إليه الآية المباركة: «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقِرٌ وَمُسْتَوْدِعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ»<sup>(٦٨)</sup>، وهذا ينطبق على كل مرتبة من مراتب الاستقامة والهدایة، وقد أشارت الروايات إلى أهم علامات المعارضين، الذين تكون قلوبهم مستودعا للإياب ولن يستقر مكانا ليقر فيه، فعن المفضل الجعفي قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الحسرة والنداة والويل كله لمن لم ينتفع بما أبصره، ولم يدر ما الأمر الذي هو عليه مقيم، أفع له أم ضر، قلت له: فيم يعرف الناجي من هؤلاء جعلت فداك؟ قال: من كان فعله لقوله موافقا فأثبتت له الشهادة بالنجاة ومن لم يكن فعله لقوله موافقا فإنما ذلك مستودع»<sup>(٦٩)</sup>.

#### ما يوجب استقرار الهدایة

ولأهمية هذه المسألة التي تثل أخطر أمر في حياة الإنسان المؤمن<sup>(٧٠)</sup>، نشير إلى أسباب استقرار الهدایة والإياب في قلب المؤمن، وأسباب صيرورة الإياب والهدایة أمانة مؤقتة بحيث يكون القلب بالنسبة لها مستودعا مؤقتا، وقد ركزت الروايات على أمرتين أساسين:

**أ - العمل والورع:** عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا كميل، إنما تستحق أن تكون مستقرة إذا لزمت الجادة الواضحة التي لا تخرجك إلى عوج، ولا تزيلك عن منهج ما حملناك عليه و ما هديناك إِلَيْهِ»<sup>(٧١)</sup>.

**ب - الإلحاح في الدعاء:** عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ جَبَلَ النَّبِيِّنَ عَلَى نَبُوَّتِهِمْ فَلَا يَرْتَدُونَ أَبَدًا، وَجَبَلَ الْأَوْصِيَاءِ عَلَى وَصَائِبَاهُمْ فَلَا يَرْتَدُونَ أَبَدًا، وَجَبَلَ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِيَّانَ فَلَا يَرْتَدُونَ أَبَدًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْيَرَ الْإِيَّانَ عَارِيَةً، فَإِذَا هُوَ دُعَا وَأَلْحَنَ

في الدعاء مات على الإيمان»<sup>(٧٢)</sup>.

### إما على الصراط أو في سبل الضلال

مما مر يتبين أن كل عمل أو فكرة إما هي على الصراط المستقيم أو هي اتباع لسبل الضلال، ولا ثالث فلا واسطة بين الحق والباطل، حتى لو كان العمل ليس محراً، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ﴾<sup>(٧٣)</sup>، والعمل كذلك إما حُقْ أو باطل، والمراد من العمل الباطل هو الذي لا يوصل العبد إلى كماله الذي خلق من أجله، والعقيدة إما حُقْة أو باطلة، والعقيدة الحُقْة هي التي تطابق الواقع، بخلاف الباطلة، فالإنسان في كل لحظة إما أن يكون على الصراط المستقيم وإما أن يكون في سبل الضلال، فعندما يتكلم الإنسان بكلام لا فائدة فيه، فإنه ليس على الصراط، وعندما يازح أخيه المؤمن من دون نية القرابة فإنه ليس على الصراط و...، مما أكثر الأوقات التي نسير فيها على غير الصراط المستقيم! ونحن ندعوا كل يوم مرات عديدة ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، لقد خلق الله الإنسان وجعل له في كل لحظة من عمره القدرة على التكامل والسعادة، لكنه لحبه للدنيا وانشغاله بها يضيع أفضل الفرص على نفسه، فراقب أيها المسكين نفسك في كل آن وانظر لها نظر المشفق عليها لعل الله ينظر إليك بعينه ويصنع لك لنفسه.

وأهل البيت عليهما السلام هم الصراط المستقيم، وذلك لعصمتهم عليهما السلام، جاء فيزيارة الجامعة في وصفهم «ومن أبغضكم فقد أبغض الله، ومن اعتض بمِنْهُ فقد اعتض بالله، أنتم السبيل الأعظم، والصراط الأقوم»، فعلى العبد عندما يريد أن يُقيِّم نفسه، ويُقيِّم مقدار استقامته على الصراط، عليه أن يقاييس سيرته بسيرة المعصوم عليهما السلام، في ترك المعاصي والحفظ على الواجبات، وهنا أريد أن أشير إلى مسألة مهمة جداً.

وهي المذر من الغفلة عن المحاسبة الدقيقة، فكثير منا يقتصر -عند محاسبة نفسه وتقدير مقدار استقامته على الصراط - على الأمور الفردية في المحاسبة، كأن يحاسب نفسه على النزرة المحرمة أو الغيبة أو...، وهذا أمر مهم، ولكن عليه أن لا يقتصر على ذلك، بل لابد أن يتعدى ليحاسب نفسه على الوظائف الاجتماعية كذلك، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل يؤدي وظيفته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وهل يقوم بوظيفة ردع الظالم والوقوف إلى جانب المظلوم؟ وهل يقوم بدوره التبليغي لنشر دين الله ... .

### صراط الذين أنعمت عليهم

هذه الآية تشير إلى أن التوفيق للسير على الصراط المستقيم نعمة إلهية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٧٤)</sup>، فقد أنعم الله على الأنبياء العظام والصديقين والشهداء والصالحين<sup>(٧٥)</sup>، ومن هذه الآية نفهم أن كل الكلمات أنها تنشأ من السير على الصراط المستقيم، وأن هذه النعمة إنما تكون بتوفيق من الله تعالى، إذن لابد من اليقين بأن السير على الصراط المستقيم نعمة لا تكون إلا بتوفيق من الله تعالى، ولا يمكن للعبد أن يوفق حتى إلى أدنى مراتب السير على الصراط المستقيم إلا توفيق من الله تعالى، وثانياً على العبد أن يعلم أن السير على الصراط نعمة، ويعني ذلك أن القرآن الكريم والنصوص الدينية عندما تتحدث عن النعم فهي لا تقصد النعم المادية فحسب، بل ما يشمل النعم المعنوية، بل تنتقد النعم المعنوية على المادية في الأهمية والرتبة، حيث هي التي تحقق المهدف من خلق الإنسان، ومن آثار استغراقنا في المادة انصرفنا أذهاننا عند ذكر النعم إلى

النعم المادية، حتى أن الواحد منا يتوجه بكمال قلبه عندما يرزق نعمة مادية -كما لو رزق وظيفة ممتازة-، لكن لا يكون حاله ذلك لو وفق لترك الذنب مثلا، وهذا من موجبات زوال النعم المعنوية لأن العبد ربها يكفر بها.

### غير المغضوب عليهم ولا الضالين

غضب الله تعالى عقابه للعبد، إما في الدنيا أو الآخرة أو فيما معا، وفي الدنيا ربها يكون سلباً لتوقياته، أو تضييقاً في معيشته، وما شابه ذلك، عن رسول الله عليه وآله وسنه: «يا أبا ذر إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»<sup>(٧٦)</sup>، وروي أن رجلاً قال لأمير المؤمنين عَلِيهِ الْمَسْكُنَةُ: إني أحب أن أصلِي صلاة الليل ولست أستيقظ لها، فقال له أمير المؤمنين عَلِيهِ الْمَسْكُنَةُ: «أنتِ رجل قد قيدتك ذنوبك»<sup>(٧٧)</sup>، وكل هذه آثار غضب الله سبحانه على العبد، وأكبرُ هم عند الإنسان المؤمن هو أن لا يغضب عليه ربه تعالى، يقول الإمام الحسين عَلِيهِ الْمَسْكُنَةُ في دعاء عرفة «اللهم فلا تحلل بي غضبك، فإن لم تكون غضبت عليّ فلا أبالي سواك، غير أن عافيتك أوسع لي».

والسبب الذي يجعل الإنسان المؤمن يعيش خوف غضب الله عليه هو حبه لربه تعالى، فإن الحب يخشي كل الخشية من أن يغضب عليه حبيبه ولا يرضي عنه، فإن غضب المحبوب أشد إيلاماً من النار الحرق، وكلما ازداد حب العبد لربه ازداد خوفه من غضب ربه عليه، والسبب الآخر خوف العبد من العقاب الشديد في الدنيا والآخرة، فإن غضب الله ليس كأي غضب، إنه غضب جبار السموات والأرض، نحن لا نتحمل حتى غضب مخلوق من مخلوقاته تعالى، فكيف بغضبه عَزَّوَجَلَّ، يقول النبي الأكرم عَلِيهِ الْمَسْكُنَةُ في ذكره لما جرى ليلة الإسراء والمعراج: «حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقاً منه، كريه المنظر، ظاهر الغضب، فقال لي مثل ما قالوا

من الدعاء إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه من الاستبشار ما رأيت ممن ضحك من الملائكة، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فإني قد فزعت منه، فقال: يجوز أن تفرغ منه فكلنا يفزع منه، إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط، ولم يزل منذ ولاد الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم، ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعده لضحك إليك ولكنه لا يضحك، فسلمت عليه فرد السلام علي وبشرني بالجنة، فقلت لجبرئيل -وجبرئيل بالمكان الذي وصفه الله مطاع ثم أمين:- ألا تأمره أن يربيني النار؟ فقال له جبرئيل: يا مالك أرّ حمداً النار، فكشف عنها غطاءها وفتح باباً منها فخرج منها هب ساطع في السماء وفارت وارتقت حتى ظنت ليتناولني مما رأيت، فقلت: يا جبرئيل قل له: فليرد عليها غطاءها، فأمرها فقال لها: ارجعِي، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه»<sup>(٧٨)</sup>، ومالك والنار عبدان ضعيفان من عباد الله بَشَّارَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

### مراة الضلال

الإنسان الضال إنسان معدبةٌ نفسه، ضيقٌ صدره، جزوٌ حالي، غيرٌ مطمئنةٌ نفسها، في الشدائـد كالطفل يضعف، وفي الرخاء لا يجد لذة تدوم معه، أما الإنسان المؤمن فإنه مطمئن النفس، حتى أن الجبل يزول وهو لا يزول، فما أشقي الضال وأسعد المهتدي، كل الناس المتحرفين عن خط الله ليس لهم لذة تدوم وهم في هموم الحياة غارقون، وعلى زوال نعمها قلقون، في حرب على موائدها، والمؤمنون في أنس مع ربهم، في لذة لا مثيل لها ولا نظير، فانتظر أيها العاقل أي الطرريقين تختار. هذا قام الكلام في سورة الفاتحة المباركة والحمد لله رب العالمين.



- (١) البقرة: ٢.
- (٢) آل عمران: ٤.
- (٣) التحول: ٨٩.
- (٤) تفسير الميزان: ج ١ / ص ٢٢.
- (٥) الرعد: ١٦.
- (٦) الأنفال: ١٧.
- (٧) المعجم الكبير: الطبراني: ج ١٩ / ١٤٨.
- (٨) ميزان الحكمة: ج ١: باب سخط الحاسد لنعم الله تعالى.
- (٩) الأربعون حديثاً للإمام الخميني: باب العجب.
- (١٠) نفس المصدر: باب الكبر.
- (١١) الآداب المعنوية للصلوة: الفصل الأول: في التوجه إلى عز الربوبية وذل العبودية.
- (١٢) بعض المستحبات ورد استحبابها، ولكن لم يرد كراهة تركها حيث لا ملازمة بين الأمرين، وبعضاً ورد فيها الأمرين معاً، استحباب الفعل، وكراهة الترك مثل صلاة الليل، والبسملة من القسم الثاني.
- (١٣) وسائل الشيعة: باب استحباب البدء بالبسملة.
- (١٤) نفس المصدر.
- (١٥) نفس المصدر: الحديث ١.
- (١٦) الأربعون حديثاً: الحديث الأول.
- (١٧) الصفات الفعلية هي التي تنتزع من مقام الفعل الإلهي، بخلاف الصفات الذاتية فإنها تنتزع من مقام الذات الإلهية.
- (١٨) راجع تفسير الميزان: تفسير سورة الحمد.
- (١٩) نهج البلاغة: خطبة ١٧٩.
- (٢٠) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: عودة أخرى ل يوم السبت: ٤٤٢.
- (٢١) ويحتمل أن يكون معنى الدعاء هنا أن الله عادة يعامل العبد بمقتضى الرحمة والشفقة دون

العقاب والانتقام، لذا فإنَّه فتح له باب التوبة، والشفاعة، بل ويغفر له حتى على الخدش الذي يصيب بدنَّه وأهْمَمَ الذي ينزل به.

(٢٢) راجع تفسير: تفسير سورة الفاتحة.

(٢٣) هود: ١١٩.

(٢٤) توجد روایة جاءت لتقول أن هذه الآية نسخت قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ وللعلامة الطباطبائي في شرحها كلام جميل جداً خلاصته أن النسخ هنا ليس بمعنى نسخ الأحكام بل بمعنى بيان لحقيقة العبادة في قوله ليعبدون، فإنَّ الهدف العام هو العبادة وهي هدف للجميع ولكن ليس كل إنسان يوفق لها بالرجمة الخاصة، والله خلق العباد لهذه الرحمة الخاصة التي تكون بالعبادة. راجع تفسير قوله تعالى ﴿مَا نَسْخَ مِنْ آيَةٍ﴾ - البحث الروائي - الميزان.

(٢٥) طبعاً إذا كانت نفسه صافية وظاهرة، وإلا ربما يكره المحسن الرحيم.

(٢٦) ميزان الحكمة: الإحسان: الإحسان إلى من أساء.

(٢٧) نفس المصدر: لقاء الله: من أحب لقاء الله.

(٢٨) الزخرف: ٦٧.

(٢٩) إلا الصفات الخاصة به سبحانه مثل التكبر؛ فإنَّها من الصفات المختصة به بِهِمَا تَفَعَّلُ.

(٣٠) الكافي: ١٦٤.

(٣١) الفتح: ٢٩.

(٣٢) نهج البلاغة: في كلام له عند تلاوة ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾.

(٣٣) ميزان الحكمة: أدب المراقب.

(٣٤) نهج البلاغة: خطبة ١٠٨.

(٣٥) بحار الأنوار: العلامة الجلسي: ج ٢٣/١٩.

(٣٦) النساء: ٧٩.

(٣٧) الصحيفة السجادية.

(٣٨) لأنَّه لا حمد إلا للرب حيث لا شيء إلا من رب المُحْقِيقِ.

.١٧: (٣٩) الأنفال.

(٤٠) ميزان الحكمة: من لم يشك المخلوق لم يشك الخالق.

(٤١) بحكم العقل.

(٤٢) في قبال الملك الاعتباري.

(٤٣) الروم: ٧.

(٤٤) الكهف: ٤٤.

(٤٥) سورة ق: ٢٢: وفي هذه الآية إشارة أيضا إلى أن الآخرة هي باطن الدنيا فتأمل.

(٤٦) الكهف: ٤٩.

(٤٧) الكافي: الشيخ الكليني: ج / ٣ / باب ما ينطق به موضع القبر: وفي الرواية تغليب للإنذار، ولذا  
قدم أنا بيت الغربة و... .

(٤٨) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٧٦.

(٤٩) تحف العقول: ٣٥.

(٥٠) بحار الأنوار: ٤٢ / ٤٢.

(٥١) غافر: ٦٠.

(٥٢) المائدة: ١٢٠.

(٥٣) راجع تفسير الميزان: تفسير الآية.

(٥٤) الذاريات: ٥٦.

(٥٥) أصول الكافي: باب الصمت وحفظ اللسان.

(٥٦) هود: ١١٨/١١٩.

(٥٧) وهذا معنى النسخ في ما ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ذكر عدة آيات من الناسخ  
والمنسوخ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ونسخ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ:  
﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِكَ خَلْقَهُمْ﴾ أي للرحمة خلقهم. (تفسير  
الميزان/ ج ١/ ص ٢٥٤). فالنسخ في هذه الرواية ليس بمعنى النسخ الاصطلاحي المتعارف.

(٥٨) مكارم الأخلاق: ٢ / ٣٧٠ / ٢٦٦١، بحار الأنوار: ٧٧ / ٨٢.

- (٥٩) النحل: .٥٣
- (٦٠) أصول الكافي: باب التفويض إلى الله والتوكل عليه.
- (٦١) الأنعام: .١٥٣
- (٦٢) الأعراف: تشير هذه الآية إلى التوحيد في الخالقية ﴿أَلَا لِهِ الْخَلْقُ﴾ والتوحيد في الربوبية ﴿وَالْأَمْرُ﴾.
- (٦٣) وإن كان في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكُمْ نَعْبُدُ وَإِيَّاكُمْ نَسْتَعِينُ﴾ معنى طلب العون.
- (٦٤) آل عمران: .٨
- (٦٥) وربما يوفق لفترة للخلو من الحسد، ولكنه ربما يعود إلى حسده.
- (٦٦) الكافي: ج ٢ / باب المعارض: الحديث الثاني.
- (٦٧) نهج البلاغة: الخطبة: .١٨٩
- (٦٨) الأنعام: .٩٨
- (٦٩) الكافي: ج ٢ باب علامات المعارضين.
- (٧٠) أما الإنسان الحب للدنيا فإن أخطر ما لديه دنياه.
- (٧١) ميزان الحكمة: ما يثبت الإيمان.
- (٧٢) ميزان الحكمة: ما يثبت الإيمان.
- (٧٣) يونس: .٣٢
- (٧٤) النساء: .٦٩
- (٧٥) الصديقون: هم الصادقون في القول والفعل، والشهداء هم شهداء الأعمال، والصالحين أصحاب القلوب الصالحة والعمل الصالح.
- (٧٦) مستدرك الوسائل: ج ١١ / ص ٣٣٠
- (٧٧) المقنعة: الشیخ المفید: ١٤٢
- (٧٨) بحار الأنوار: ج ٨ / ص ٢٩١

## الحوطة إلى الذات .. ثورة..<sup>(١)</sup>

محمد باقر خليل الشیخ

كثير واحدة والنصف بعد منتصف الليل - تندفع سيارته بين أزقة قريته وهو يتطلع من خلال نافذتها إلى حركة غريبة في القرية إذ لم يعتد على رؤية أناس خارج منازلهم في مثل هذا الوقت وبهذه الصورة من التدافع، لم يزعجه ذلك كثيراً حينما دقق في مصدر انجذابهم واكتشف بأنه المسجد لأنه سرعان ما أتى في ذهنه بأن أحد الأشخاص قد توفي فهؤلاء لا يخرجون في هذه الأوقات إلا لأجل هكذا مصائب لذالم يكلف نفسه السؤال أو حتى الإطمئنان وأخذ ذاهباً نحو مقصده يقطع ما تبقى من شوارع القرية، تلك القرية التي أزعجها التحرك في مثل هذه الساعة من الليل فهو يعني إزعاج رعاياها التي طالما تبادلت معهم أحلى معاني الحب والإخلاص، عشقها وعشقتهم، بذلوا أقصى ما لديهم من طاقات ليعمروها، وطوال سنين متتماديّة كانت هي الحصن لهم وهم الدروع لها، تستنجد بهم ويستنجدون بها،، ما الذي أخرج هذا الشاب منها؟ ما الذي يعييّها أو يعييّ أهلها؟ والله إن طيبة قلوب أهلها تسع جميع من في الأرض، إذ لم يعرفوا من المعاني الأخلاقية إلا الصدق والكرم والإيثار وما يضارعها من الصفات التي جبلوا عليها وصاروا يمارسونها بدون أدنى تكلّف فكأنها عُجنت بطينتهم!! لم أزل على حبيهم والوفاء لهم فأتى لي أن أجد مثلهم،،، لكن لا أدري لماذا سمحت - إن كنت سمحت في الحقيقة - لهؤلاء بالوصول هنا؟ أولئك الذين ابتدأ سهرتهم الآن لتزعج هدوء الأهالي، إنهم هناك يتداولون الضحكات على ضوء القمر وفي وسط المزرعة التي طالما عقد فيها الأهالي أفراحهم، استبدلت الآن إلى مقهي ليلى يجتمع فيه ما تبقى من مخلفات الاستعمار من أناس يرعون مصالحهم في هذه البلدة

الحالة، ويضربون كل ما عدا ذلك عرض الماء.

يترجل من سيارته التي أوقفها بصف سيارات البقية في المكان المخصص لها عند بوابة المقهى، لا يدرى لماذا يشعر في مثل هذه الحالات برجلة خجلة!! فها هو قد حقق أقصى أحالمه وهو الحصول على بعثة دراسية لفرنسا فلكلم صرف من جهده في سبيلها ليخرج من القوقة التي خلقها حوله فظن نفسه نكرة في عالم المعارف، توقعه إلى التميز وكسب الشهرة دفعاه للجد والمثابرة حاول سرق احترام الأهالي سرقاً ولذا فالأهالي تكن له إحتراماً غريباً يشعر من خلاله بنفس الإحساس!! أراد اغتنام كل لحظة من تلك الليلة في الجلوس مع صديقته بنت التاجر الكبير صاحب أحد آبار النفط، فأزاح تلك الأفكار عن رأسه وأسرع بالتأكد من غلق سيارته واتجه نحو المقهى الذي ملأت أصواته الأشجار والتخيل فعاد القمر خجلاً من هذه المنافسة ولم يكن بأقل منها صوت الموسيقى الصاخبة التي كلما زاد صداتها ازداد معه تكبل أحاسيس مستمعيها بما حولهم فلا يعودون سوى كتل للذلة البهيمية التي ينساقون وراءها فلا يجدون مأوى لهم أمن من هذه الأماكن.

فتح الباب ناظراً للساعة التي كانت عقاربها تشير إلى الواحدة وخمس وأربعين دقيقة فلاحت عليه بوادر الانتصار فلطالما عُيّر بكثرة تأخره عن مواعيده والتي سرعان ما بدتها نظرات القوم إليه التي حولت زهوه إلى دونية فهم لا يعتبرونه سوى متطفل على موائدتهم يتبدلون النكات عنه ويتنافسون في تأليفها، حاول تلاشي ذلك بإلقاء التحية التي لم يحاول أحد الردّ عليها واتجه نحو سالي التي كانت تلوح له بيدها. كانت الطاولة التي تجلس عليها في آخر المقهى مما سبب صدور تألف خفيف منه، لأن ذلك يعني المرور بجميع الطاولات وهو يعرف إن هذا يعني تحول الحديث بينهم حوله ،، يير مسرعاً متحاشياً سماع ذلك إلا أنه يهتم بإستراق كلام من مع والد صديقته على

الطاولة الذي كانوا يستعدون للقيام بالرقص.

• لا أدرى لماذا تسمح لابنتك ببرافقة هؤلاء؟

• (بضحكه خفيفة) لعله خاف عليها التعنس.

• (يحبب الأول بخث) لا تحف يا إليس فالرجال البيض كثيرون.

لم يعد مستعداً لسماع إستهزاء أكثر خصوصاً بعدما اعتلت ضحكات أصدقائه وجعلت الحضور يلتفتون إليهم، فأجاب بنبرة تقطب معها حاجبه امتعاضاً:

• لا أستطيع منعها عن ذلك فإن القانون يساندها عندنا، فهي راشدة وقلك قرارها، وإلا لما سمحت لهذا الجنس الرديء أن يدنس المقهى أصلاً، لقد كلمتها مراراً وتكراراً لكنها كما تعرفون لديها ميلٌ غريبٌ لهؤلاء، فهي لا تفتّأ تقتنى كتبهم وتقرأها بإعجاب وشغف (سكت ملتقطاً نفساً عميقاً وقال بشيء من الفكاهة التي لم تضحك أحداً منهم) لعل فيها سحر.

سكت الجميع عندما اقترب علي من طاولتهم ولم يتكلف أحدٌ منهم رد التحية عليه كما هي العادة، ولعلهم كانوا مشغولين أيضاً في التفكير بإجابة إليس التي أدخلت في قلوبهم بعض الاقتناع وشحنة من الامتعاض، وكأن لسان حاهم يقول: تباً لها من حرية تمنع الأب من السيطرة على ابنته وتكون حائلًا دون تربيتها وتسمح لمثل هذا بالدخول للمقهى الخاص بنا. قامت سالي وقدمت له باقة من الورد الذي لم يكن يتميز بتعدد ألوانه عنها إلا بأنّ ألوانه حقيقة وألوانها صناعية إذ لم يبقى من وجهها مقدار أغلة لم يأتِ عليه المكياح ويغطيه حتى صار وجهها كأنه لوحة فنية ...

• أخيراً حصلت على البعثة..

• لقد تعجبت كثيراً في الحصول عليها، حتى إنّي لم أتم مدة ليلتين استعداداً للامتحان النهائي.

• إنك تستحق هذه البعثة فقد أثبتتْ جدارتك في الحصول عليها من خلال  
تفوّقك، (خففت من صوتها) حتى أبي أبدى إعجابه بذلك!

• أحلاً ما تقولين، آآآاه لا تدررين كم هي سعادتي بعد المقدرة على السفر  
لبلادكم، إنها بلاد العجائب.

• أرجو أن تكون لك القابلية على تحمل المعيشة هناك.

• (بتعجب) ومن لا يستطيع العيش هناك؟! وماذا سينقصني هناك؟ سأكون كالنحلة أتلهمى بالتنقل من مرسم إلى آخر ومن منتدى إلى محاضرة وهكذا سألتّمع برؤيا التطور العمراني بعدهما يئست من رؤية البيوت الطينية، سأتعرف على الشباب الطموح هناك، أتعرفين بماذا حلمت البارحة؟ حلمت وكأنى على نهر السين لأنّا لاحظ اندفاعه بهدوء وأشعر بقطرات الماء الذي يحملها الهواء إلى "كلما مرّ مسلماً على النهر"، يا له من شعور لا يوصف أن تتمشى وأن تستنشق هواء السين (ولأول مرة يصارحها وبشيء من الخجل بداخله أخفض من صوته وواصل) صحيح إني أكره دخولي إلى هنا بسبب عدم رد التحية على وتبادل العنبر والهمس حولي وحول أهلي وأعرف إن الموقف سيتكرر بعينه معى هناك ولكنى لمعرفة سبب ذلك أستطيع أن أغغلب عليه.

• (قاطعته بشيء من الفضول) وما هو السبب في نظرك؟.

• السبب واضح يا صديقي (وكان يحب تكرار هذه الكلمة، ربما لعدم وجودها في غير هذه البيئة مما يجعلها عزيزة في نظره) فأنتم متبعون مثنا نحن الجهلة لعدم معرفة مصلحتنا وإنها في إتباعكم، فأنتم لم تأتوا هنا إلا لرفع مستوىانا على كل المستويات السياسية والإقتصادية والتربية والتعليم وغيرها فإننا نشكّل قمة التخلف فيها،،، آآآاه إنه تعبت الأهالي هو السبب في هذا التخلف الذي نعيشـه، لذا فنحن



نستحق أن يُنظر إلينا هكذا، كنظرة أيّ إنسان لشخص يبتعد عن الإهتمام بصلحته.

- (تقاطعه للمرة الثانية) وهل تظن بأننا نهتم بكم هذه الدرجة؟ وإنّنا على هذه

الدرجة من النبل؟

- أنتم بالنسبة لي كما وصفكم شكسبير "من الأنس الذين إذا نظرنا إليهم نظرة شاملة لن نشاهد أمثالهم مرة أخرى".

- وهل تريد أنت أن تشاهد من هذه الأمثال؟ (سؤاله وهي تشير بعينيها إلى من في المقهى وقد كانوا ما بين راقص وسكران) أعتقد بأنه أمر مقرز، إصح من هذه الأحلام وأعرف بأنّا ما جئنا هنا إلا لسلخكم وإبعادكم عن هوّتكم والسلط عليكم بعد سلب أعزّ ما تملكون.

- أنت تبالغين في ذلك دائمًا، وخير دليل على صحة كلامي هو تخرجني من المدرسة التي شيدتوها هنا قبل سنين، يحزنني فعلاً أن تقولي ذلك.

- كلام فارغ، أقرّ بأننا بنينا المدارس ولكن هل تعلم لماذا بنوها؟ إنها لسرقتك أنت وأمثالك من المتفوقين في الدراسة وتهجيرهم إلى بلادنا للاستفادة منهم ومنعهم من تطوير أنفسهم بأنفسهم، ومن ثمّ أعتقد بأنّا أتينا بشيء جديد؟؟ هل تعلم بأنّ أهمّ علماء الرياضيات والكمياء بل أكثر العلوم هم من المسلمين؟؟ هل تعرف جابر بن حيّان، الخواجة نصیر الدین الطوسي، صدر المتألهين وغيرهم الكثير الكثير من العلماء الذين أذعنـتـ أعرق الجامعات لدينا بعلمـهـمـ وـتـفـوـقـهـ؟؟ هل احتاجـواـ مدارسـناـ وـوـصـاـيـتـناـ عـلـيـهـمـ،ـ إـنـ خـيرـ دـلـيلـ عـلـىـ فـسـادـ كـلـامـكـ هوـ تـخـرـجـكـ مـنـ مـدـارـسـناـ بـعـثـلـ هـذـهـ الـأـفـكـارـ وـالـنـظـرـ إـلـيـنـاـ بـعـثـلـ هـذـهـ النـظـرـةـ.

- (لم يحر علي جواباً فلطالما ردّ عليه أبوه هذا الكلام، فأجابها بشيء من السخرية ..) الطوسي الطوسي، تذكّريني بكلام والدي عن هؤلاء، ماذا يفيدني تفوق

## الطوسي في الفلك والرياضيات ونحن في هذا الزمن؟

• ما يفيدك هو معرفة تراثكم العظيم والمضي في سبيل تتميمه والعمل به، إن الاستعمار الذي سيطر عليكم بل الاستحمار هو سبب ما أنتم فيه ولا أرى لكم حيلة في ذلك إلا بالخروج عن هذه الوصاية، وعناد الأهالي الذي نشهده هذه الأيام بين الفترة والأخرى هو شرارة التطور، ألا يحق لك يا علي أن تفتخرون بأمثال هؤلاء العلماء بدل ترديد كلمات شكسبير وغيره (تسكت قليلاً وكأنها تستذكر شيئاً مهماً) إنّها العودة إلى الذات نعم العودة إلى الذات هي سبيل النجاح، ألا تلاحظ عدم تطور الشعوب بسرعة إلا المستقلة منها؟؟ أؤكد لك إن حصركم النظر في إنجازاتنا وتناسيكم وتغافلكم عن تاريخكم وطاقاتكم هو سبب ما يحدث، لم يتجرأ أحد من الغرب ولن يتجرأ على فسح المجال لتطوركم خوفاً من منافستكم لنا .. ولن يجدوا طريقةً لذلك أقرب من تذويبكم في الغرب كما السكر في الماء تكونوا بذلك لقمة سائحة لهم.

هزّ على رأسه مستنكراً بشدة -شاء القدر أن ترجع ذاكرته ليوم مهم في حياته وحياة جميع الأهالي ولم يكن ليدرى لماذا في هذه اللحظات طافت به ذكرياته على اليوم الذي أتى فيه الجيش لقريتهم وأمر جميع الأهالي بالخروج وإعلان الطاعة للقائد العسكري وكيف أنّ جمّعاً منهم تقدّر على ذلك وكان من ضمنهم أخوه الذي قُتل بعد مدة بيد القائد العسكري نفسه وذلك حينما امتنع عن الدخول كمنفذ لخطشه، وكم من التضحيات قدّم أهله في سبيل التخلص من هذا الجحاثوم الراسخ على صدورهم فشعر بالخجل في نفسه وبينما هم يحاربون من أجل طردتهم يحارب هو من أجل إيقائهم بل ويعرض جميع خدماته في سبيل ذلك، وتنظر في الأثناء أنه تطوف عليهم قبل النوم بآيات القرآن وتوقظهم بها - وبصوت من أسكننته الحجة:

• يا صديقي، يا صديقي كيف لنا التطور ونحن نعيش هذه الخرافات والأوهام،  
لولاكم لما وصل لنا القانون والنظام والعدالة، منذ متى ونحن نتصارع فيما بيننا لأجل  
أمور تافهة لا تستحق التفكير فيها فضلاً عن إقامة الدنيا عليها، صدقيني أنت من  
تحررنا من الجاهلية الثانية.

• ولكن لا تنسي، إن ما أنتم فيه مما تصفه بالجاهلية هو من صنع أيديكم،  
فأنتم باختياركم رضيتم بهذه الجاهلية إن نظرياً وعملياً كما أنت فيه أو عملياً على  
الأقل كما هو أكثركم إذ اعتمدتم علينا كلياً بما أفقدكم الإبداع والتفكير، فكل هذا  
التغرّب الذي تعيشونه والذي يغوص إلى أعماق أفئدتكم فيجعل الفكر عندها ضالاً  
أو غائماً، ويحدث شططاً فكريًا، ونفسياً، سلوكياً لدلكم، أنتم أجبرتم أنفسكم عليه  
بما تعيشونه من نظرة عمياء.

• ولكن لا يمكن (يسكت قليلاً) .. آآ لا يمكن تناسي ما قدمتم وتقدمون لنا  
على أيّ حال، مهما وصفتي، فإقامة المدارس والمستشفيات وعلاج المرضى وتطور  
العلوم و...و..و. كل هذا لا يمكن التغاضي عنه .. ثم هل تعتقدون بأن تراثنا الذي  
تزعمون يحوي هذه الأمور؟؟

• بل أكثر من ذلك، إنّ عندكم ما إن حدّثتم به الناس اتبعوكم.  
ولما لم يعي علي ما تقصده، سكتا برهةً من الزمن وكأن كل منهما أفرغ ما في  
جوهه من كلمات رغم الشحنات المتصادمة التي تبعث من رأسيهما، وأخذت سالي  
تنظر إلى أبيها الذي كان يرقص بكل ما أوتي من قوة مع إيقاعات الموسيقى  
وسرحت تفكير في نصّه الدائم لها بترك هذا الشخص الذي عادة لا يجد كلمة  
بذيئة في قاموسه إلا ووصفه بها، وترك الكتب التي تتحدث عن الإسلام وتاريخه  
وعن عقيدته تلك العقيدة النقية التي يجتمع فيها صفاء الفطرة وسمو الفكرة وقوتها

البرهان، وكيف ينظر هو وأصدقائه بل وجميع المجالية لها وبتهيدة عميقة "آآآآ لو يتركون هؤلاء هذا الشعب، لعاش كلنا بأمن وتطور، لماذا يريدون احتكار ذلك لهم ؟؟ أهذا الحد يخشون من استقلال الشعوب؟؟ أهذا الحد يحرص الإنسان على سعادته ولو عن طريق سلبها من الآخرين؟؟ ماذا لو تعاونا معهم ألم نكن لنستفيد أكثر من خبراتهم وتجاربهم؟؟ والأهم أن نعيش وضمائرنا لا تؤنبنا، ألا تؤنبهم ضمائرهم مما يفعلون أم أنها في إجازة؟؟ تعساً لفكرة يُوصل الإنسان لهذا المستوى من الدناءة.

وفي الأثناء قطع علي تفكيرها:

• لا أدرى إلى متى سنظل هكذا.

• كيف؟؟

• لا نفهم بعضاً البعض.

• أنا أيضاً لا أدرى (قالت وهي تبتسم ثم تلاشت بسمتها وبشيء من الجدية) كل ما أعرفه ..... (وسكتت)

• كل ما تعرفيه إننا يجب أن نعود لذاتنا، أهذا ما كنت تودين قوله؟؟ لقد حفظته من كثرة ما أسمعه منك ومن الجميع في البيت والقرية، أتصدقين حتى شيخ القرية صار يردد هذه الكلمة أكثر من مرة أثناء خطبه المطولة والمملة!! (وباستهزاء) لعلك من كتب يحرض على الثورة تحت هذا الشعار؟؟

• ليتني أستطيع ذلك .. فإنها هي المُخرجة لكم من الظلمات إلى النور. (باندفاع) وهل عاودوا نشر تلك الكتب؟

• إنها في ازدياد.

• أتفى أن يسري مفعولها عند الناس في هذه المرة.

- (أجابها بشيء من القسوة) وهل تغير فيها شيء ليتغير تأثيرها؟؟
- وهل تقتني أنت هذه الكتب؟
- لا أظن بأنني ساحتاج إليها أو إلى ما فيها من أفكار بعد دراستي، خصوصاً وإن سفري لفرنسا قد اقترب.
- لماذا لا ...

ولم تكمل كلامها إلا وقد سمعت ضربة قوية على السقف، فجفل الجميع ذعرين وتسابقت أنظارهم نحو مصدر الصوت.. خيم الستوت على المقهى إلا من صوت الموسيقى وفي لحظات اشتدت أصوات الضربات واحدة تلو الأخرى يتبعها صوت تكسر بعض النوافذ ووابل من أسلحة الأهالي يتسلط على المقهى.... انقلب شيء في قلب علي، وكانت لحظة من اللحظات التي يعي الإنسان فيها تغييراً هائلاً يطأ على حياته وبسرعة البرق يتتجاوز الطاولات وأشباه الطاولات ليتلاقى خروجه من المقهى مع دخول النادل يهرع ويصرخ بصوت عالٍ طغى على صوت الموسيقى ((إلهها ثورة.....))

و قبل أن ينطق أحدُ منهم انساب مع الريح هتف أقوى وأعظم تسلل عبر زجاج نوافذ المقهى المتكسرة بل ومن جدرانه وملأ داخله صفاءً وخشوعاً تنسوا معه أصوات الموسيقى والأحجار وكل شيء وأخذت أعضاء الجميع تتقارب بشدة إنه نداء الشّائرين: (الله أكبر الله أكبر)

### **المواضيع:**

- (١) فازت هذه القصة بالمركز الأول في مسابقة القصة القصيرة التي نظمتها مجلة العصر صيف ٢٠٠٧م تحت رعاية الأديبة خولة الفزويني.

وَالْعُلَمَاءِ بِاَفْوَهِهِ مَا يَقْبَلُ الرَّهْرَهُ، اَلْحِيَانُ هُجُومٌ  
مَفْقُودَهُ، وَالْمَنَاطِحُ فِي الْقُلُوبِ  
مُوْجَوَّهَهُ

١٥٣

تتقدم رسالة القلم بأحر التعازي للعالم  
الإسلامي أجمع، فقد المرجع الكبير  
والعارف الزاهد سماحة آية الله العظمى  
الشيخ بهجت، رحمه الله وتغمده بواسع رحمته.